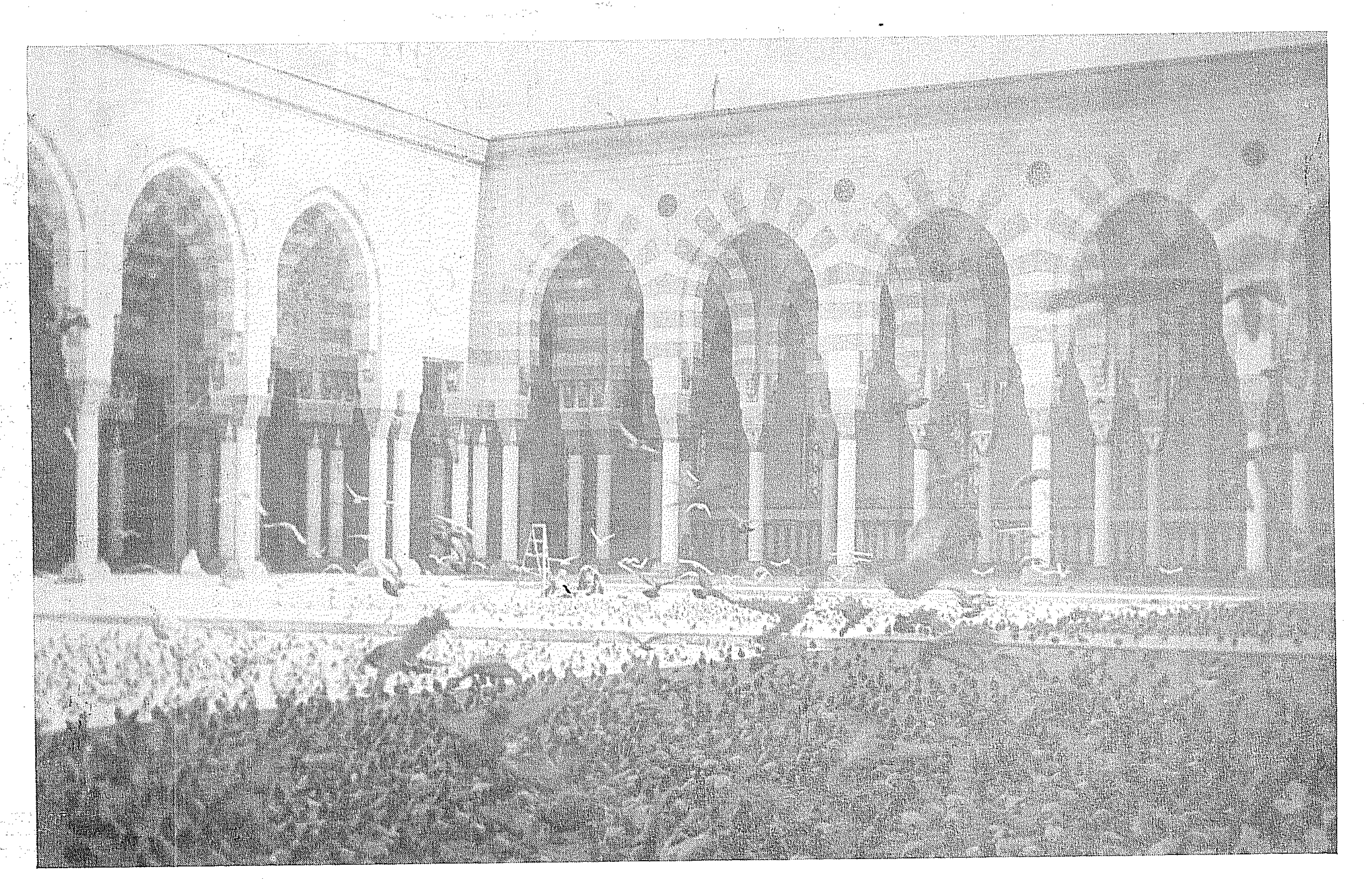
الوعي الإسلامي

إسلامية ثقافية شهرية

السنة الثالثة * العدد الخامس والعشرون * غرة المحرم ١٣٨٧هـ - ١١ ابريل ١٩٦٧م

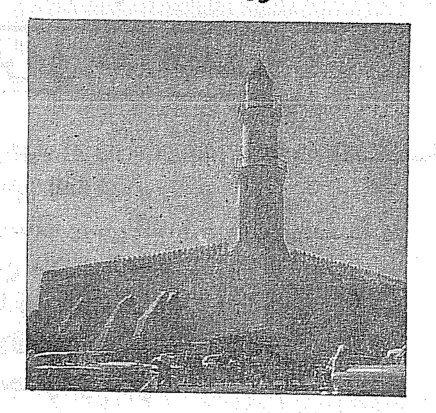
عدد الهجرة الممتاز





روعة الهندسة العربية تتمثل فى هذا المنظر للحرم النبوي من الداخل ، واسراب الحمام تغطي ساحة الحرم

صورة الغلاف



مسجد قباء

أول مسجد أسس على التقوى . بناه رسول الله صلى الله عليه وسلم فى قباء عند وصوله الى مشارف المدينة المنورة واستراحته هناك وقد جدد على مر الايام حتى أصبح كما تراه .

يقول الله سبحانه عنه (لمسجد أسس على التقوى من أول يوم أحق ان تقوم فيه . فيه رجال يحبون أن يتطهروا والله يحب المتطهرين) .

الوعي الإسلامي

اسلامية ثقافية شهرية

العدد الخامس والعشرون ــ السنة الثالثة

غرة المحرم سنة ١٣٨٧ هـ

١١ من ابريل (نيسان) ١٩٦٧ م

تصدرها وزارة الاوقاف والشئون الاسلامية بالكويت فى غرة كل شهر عربي

هدفها : المزيد من الوعى ، وايقاظ الروح ، بعيدا عن الخلافات المذهبية والسياسية

المجلة حرة ، والوزارة غير مسئولة عما ينشر فيها من آراء

الثمن

الكويت	٥٠	فلسا
السعودية	١	ريال
العراق	٧٥	فلسا
الاردن	٥٠	فلسا
ليبيا	١٠	قروش
الخليج العربي	١	روبية
اليمن وعدن	٧٥	فلسا
لبنان وسوريا	٥٠	قرشا
مصر والسودان	٤٠	مليما

الاشتراك السنوى للهيآت فقط

فى الكويت ١ دينار

فى الخارج ٢ ديناران

(أو ما يعادلهما بالاسترليني)

اما الافراد فيشتركون رأسا مع متعهد التوزيع كل فى قطره

عنوان المراسلات :

مدير ادارة الدعوة والارشاد
وزارة الاوقاف والشئون الاسلامية
ص.ب ١٣ هاتف ٢٢٠٨٨
الكويت

اقرأ فى هذا العدد



مَعالي وَزيـر الأوقاف وَالشـؤون الإسـلاميّة يتحدّث عَن

جهود الوزارة فى نشر الدعوة الاسلامية

بمناسبة بدء العام الهجرى الجديد توجهت المجلة الى معالى الوزير عبد الله المشارى الروضان ليحدث القراء فى بدء عامها الثالث عما تضطلع به الوزارة من أعباء ، وخاصة فى نشر الدعوة الاسلامية على المستوى المحلى والعالمى ، فأفضى سيادته مشكورا بالحديث التالى :

يطيب لى فى هذا العدد الذى تبدأ به المجلة سنتها الثالثة أن أتوجه بخالص الحمد والثناء لله سبحانه وتعالى الذى شرح صدورنا لحمل أمانة الدعوة للاسلام العظيم ، ونشر الوعى الاسلامى على كل صعيد.. يدفعنا الى ذلك ايماننا العميق الواعى بعظمة الاسلام ، وكونه السبيل الوحيد لانقاذ البشرية من التخبط فى دياجير المادية المعاصرة التى حملت فى طياتها من ألوان الشقاء والاضطراب والقلق ، ما لا يمكن كشفه والتخلص منه الا بالعودة الى الاسلام عقيدة ونظام حياة وسلوك. ليعيد البشرية الى الجادة القويمة المثلى ، ويبدلها أمنا بعد خوف ، واستقرارا بعد اضطراب ، وسلاما بعد قلق، وسعادة بعد شقاء ..

وانطلاقا من هذا الايمان العميق ، والشعور بالمسئولية خطت وزارة الاوقاف والشؤون الاسلامية خطوات ايجابية فعالة نحو تحقيق رسالتها الاسلامية

على كل صعيد .. مستعينة بالله جلت قدرته ، ومسترشدة بتوجيهات صاحب السمو أميرنا المفدى ، أيده الله وحماه .

فعلى صعيد الدعوة والتوجيه الروحي والخلقي تبذل الوزارة جهدا كبيرا لبناء المساجد في كل مكان وتعميمها خاصة في المناطق الجديدة والقاصية . واتماما لرسالة المساجد أنشأت الوزارة معهد الامامة والخطابة ، ولا تدخر وسعا في تدعيمه وتطويره، ليتمكن من تخريج عدد كاف من الخطباء والائمة والموجهين على مستوى لائق يمكنهم من أداء رسالتهم على أكمل وجه .

ويأتي في مقدمة المشاريع التي تعمل الوزارة لانجازها من حيث أهميتها للمواطن الكويتي، مشروع مدينة الحجيج الكويتية ، والقصد من اقامة هذه المدينة في الديار المقدسة هو توفير جميع أسباب الراحة للحجاج خلال اقامتهم فيها وتأمين سلامتهم وراحتهم ان شاء الله .

وتيسيرا على اخواننا المواطنين الذين يتعرضون في أمور حياتهم الى مشاكل يلتبس عليهم فيها الحلال من الحرام ، فقد شكلنا لجنة للفتوى في الوزارة مهمتها اصدار الفتاوى لمن يطلبها .

وأما شؤون الوقف فان الوزارة تهتم بأمره بما يكفل حسن الاشراف عليه وحسن استثماره وسلامة توزيع عائداته على مستحقيها ..

وفي مجال الدعوة وايقاظ الروح الاسلامية خارج الكويت فان الوزارة تعنى بنشر الدعوة الاسلامية في جميع أنحاء العالم وخاصة في قارتي افريقيا وآسيا اللتين تتعرضان للحملات المعادية للاسلام التي تنظمها المؤسسات الصهيونية والصليبية ، بالاضافة الى ما تتعرض له من موجات الاباحية والالحاد .. فمن أجل مقاومة هذه الحملات وصد هجماتهم وحماية المسلمين في كل مكان من اخطارها، تعمل الوزارة بشكل دائم للاتصال بسائر الجمعيات والمراكز الاسلامية في أنحاء العالم لدعم نشاطها والتعاون معها ، والتعرف منها على أحوال المسلمين وحاجاتهم في كل مكان وتزويدها بكل ما تحتاجه من دعم مادي ومعنوي ، كتزويدها بالكتب الاسلامية المتنوعة بمختلف اللغات من عربية وأجنبية ، وتوزيع كميات كبيرة من المصاحف الشريفة بعضها مترجم الى أهم اللغات الحية .. والى جانب هذا تهتم الوزارة بالمؤتمرات الاسلامية وتساهم فيها وتعمل لتدعيمها وتشجيعها لتكون أكثر جدية وايجابية لتحقيق نفع أعم وأكمل .

وأما على الصعيد الفكري والثقافي فتعمل الوزارة على نشر الثقافة الاسلامية النيرة الاصيلة ، وزيادة الوعي الاسلامي تلبية لحاجة المثقفين من أبنائنا وشبابنا المتعطش لفهم الاسلام ، والتزود بثقافته وعلومه من منابعه الصافية ، ولهذا أصدرت مجلة « الوعي الاسلامي » التي تعرض الاسلام بأقلام رصينة متمكنة، وأسلوب مشوق جذاب، وتعالج المشكلات على ضوء الدين والعقل ، وتقدم ذلك كله للقراء في ثوب أنيق لم يعهد من قبل في المجلات الاسلامية .

واننا لنحمد الله على أن ذلك قد أثمر ثمرته في النجاح الكبير الذي حققته المجلة في زمن وجيز من عمرها ، لمسنا ذلك في زياراتنا لبعض البلاد الاسلامية الشقيقة، وفيما نتلقاه من رسائل القراء ، ومن الطلب المتزايد عليها ، مما حدا بنا الى أن نرفع كمية المطبوع منها في سنتها الثانية ثلاثة أضعاف الكمية التي بدأنا بها في عددها الاول . وان شاء الله سنحقق للقراء الكرام رغباتهم ، ونزيد كمية المطبوع منها في سنتها الثالثة .

وان هذا النجاح سيحملنا بلا شك على مضاعفة الجهد والعناية بها لتظل جديرة بثقة القراء فيها ، وتحقق في كل عدد تقدما جديدا في مستواها من حيث الشكل والموضوع . لتؤدي رسالتها الفكرية والروحية على خير وجه .

كما تقوم الوزارة بترجمة عدد من أهم الكتب الاسلامية وطبعها وتوزيعها على جميع المراكز الاسلامية في العالم .. وقد تم ترجمة كتاب «شبهات حول الاسلام» الى اللغة الانجليزية ، وسيتم عما قريب ترجمته الى الفرنسية .

وفي مجال نشر الثقافة والوعي تقيم الوزارة كل عام موسما ثقافيا تستقدم للمشاركة فيه نخبة من قادة الفكر والرأي والعلم في العالم الاسلامي . وقد كان لهذه المواسم أثرها المحمود الذي لمسناه من اقبال جمهور المثقفين على سماع محاضرات هذه المواسم بشكل يؤكد التجاوب الكبير الدال على الحاجة القائمة لمثل هذه المواسم النافعة .

وعلى ذكر المثقفين فان الوزارة تهتم برعاية أبنائنا الذين يدرسون في ديار الغرب وتزويدهم بالكتب والمجلات والنشرات الاسلامية التي تحفظ عليهم عقيدتهم ، وتغنيهم برصيد طيب من الثقافة الاصيلة كما تجيب على كل ما يرد منهم من استفسارات تتعلق بشؤون دينهم الحنيف .

وعلى صعيد العلوم الفقهية والشرعية، فقد أخذت الوزارة على عاتقها تحقيق مشروع هام جدا كان ولا يزال أملا وحلما يراود الغيورين من فقهاء الاسلام وعلمائه ، ألا وهو مشروع موسوعة الفقه الاسلامي الذي بدأ العمل فيه بعون الله. والوزارة بهذا العمل العظيم الجليل تسدي للفقه الاسلامي أجل خدمة من نوعها في التاريخ الاسلامي .. اذ تهدف الموسوعة الى جمع الفقه من أشهر مذاهبه ومن آراء الصحابة والتابعين والفقهاء .. وعرضه عرضا جديدا على نسق أشهر الموسوعات القانونية والعلمية العالمية الحديثة ، مما يسهل على الباحثين في الفقه من رجاله ومن علماء القانون والتشريع أمر الرجوع الى هذا الكنز العظيم الخالد الذي نفاخر به الدنيا في كل زمان ومكان .. ومن حقنا أن نفخر بهذا المشروع الجليل الذي سيفتح للكويت أوسع ابواب المجد والخلود على مدى الزمن ، كما سيسجل التاريخ لها هذه المكرمة بأحرف من نور .. واننا لنشكر الله تعالى أن شرح صدورنا لهذا العمل العظيم ، ونسأله سبحانه أن يباركه ويعين على انجازه في اقرب وقت ..

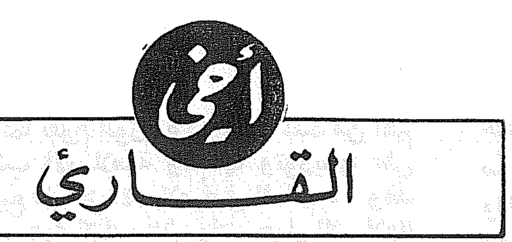
والى جانب هذا العمل العظيم تقوم الوزارة باحياء التراث الاسلامي عن طريق تحقيق وطبع أهم المخطوطات الاسلامية ونشرها اتماما للفائدة وخدمة للشريعة الاسلامية الخالدة .

هذه هي أهم المشروعات التي تضطلع وزارة الاوقاف والشؤون الاسلامية بعبء تحقيقها والسير بها ، وهي لن تألو جهدا بعون الله من أجل عمل كل ما من شأنه اعلاء كلمة الله ورفع لواء الاسلام عاليا شامخا عزيزا .

ولا يفوتني في ختام كلمتي أن أشكر جميع الذين أسهموا بالعمل الجدي في سائر هذه الجوانب. منتهزا هذه المناسبة الكريمة . مناسبة العام الهجري الجديد لارفع الى حضرة صاحب السمو أمير البلاد المعظم الشيخ صباح السالم الصباح وسمو ولي العهد الشيخ جابر الاحمد وجميع اخواني المسلمين في أنحاء العالم أصدق التهاني بالعام الهجري الجديد مبتهلا الى الله العلي القدير أن يلهمنا جميعا الرشد والتوفيق للانتفاع بدروس الهجرة في توحيد صفوفنا وجمع شملنا لنستعيد أمجادنا ونحقق العزة التي كتبها الله لنا .

والله ولي التوفيق

بسم الله الرحمن الرحيم



هذه باقات من زهور اقتطفتها من مئات الرسائل التى وافانا بها القراء من كل مكان لتكون بدلا من حديثي معك عن المجلة ، وقد أتمت من حياتها الحافلة عامين ، وبدأت بهذا العدد عامها الثالث .

باقات أعتز بها ، ويعتز كل سائر معنا على هذا الدرب الذى نسير فيه ، وينشرح لها صدور المؤمنين فى كل مكان .. اننى لاعتز بباقة الطالب الصغير أعتزازى بباقة العالم الكبير .. بل أصارحك بأن احتفالي بالباقة التى يقدمها الطالب أو الشاب ، أو القارىء العادى أكثر وأعمق .. ذلك لاحساسى بأن رسالة المجلة تتجه الى هؤلاء أكثر من أن تتجه الى غيرهم .. وأن هؤلاء هم موضع العناية والرعاية منا ومن العالم وغيره على سواء ..

وما أصدق رسالة تأتينا من بعيد ، لم يحمل صاحبها على كتابتها الا فيض من الشعور الصادق الذى لا يخالطه تزويق ولا ملق .

انها الرسائل أو الباقات التى أعتز بها حقا .. تلك التى أضع أمامك نماذج منها لتعيش معى قليلا فى روضة من روضات الاخلاص : ـ

***

من هنا على شواطىء الخليج العربى انطلقت مجلتكم الى جميع الاقطار العربية والاسلامية ، فأثلج ذلك صدور المسلمين فى مشارق الارض ومغاربها ، وأصبح الجميع يتطلعون نحو هذا المكان الذى صدرت منه مجلتكم الغراء ، لتنير الطريق أمام السائرين في طريق الخير ، ولتضيف الى ما في أفكارنا أفكارا جديدة علينا ، عزيزة على نفوسنا .

انني فى الوقت الذي اتمنى لمجلتكم فيه اضطراد التقدم والانطلاق آمل أن تستمر فى سيرها على طريق الاصلاح والعمل المثمر .

محمد أحمد ـ الكويت

***

أبعث اليكم بتحياتى وبتقديرى العميق على جهودكم الموفقة فى مجلة ((الوعى الاسلامى)) ، انه ليهمنى كثيرا نجاح المجلة ، بل يهمنى كثيرا امتيازها بالنجاح ، لانها مجلة تحمل صبغة اسلامية ، وقد تعثرت المجلات الاسلامية من قبل ، فقضى على أكثرها فى المهد . وبقى قسم منها يعانى الضعف والهزال مادة وروحا .

حوربت تلك المجلات بشتى الوسائل ، وحاربها قادة الفكر الاسلامى أيضا من حيث لا يشعرون بالسكوت عن معاونتها بالمادة اللائقة بها .

واليوم تبرز هذه المجلة قوية أمينة ، وستعيش طويلا بما يتوفر لها من عون قوى من قادة الفكر الاسلامي وجنوده .

اللواء الركن : محمود شيت خطاب ـ بغداد

***

والحق أن مجلتكم هذه تحفة التحف من حيث الطبع والاخراج والروح التى تضفونها عليها ، ان هذه المجلة كان يمكن ألا تزيد عن عشرات من المجلات (النصف ميتة)

ولكن هذه الروح المتوثبة ، وهذا الافق الواسع ، والعلم الغزير هو الذى يضفى على المجلة هذا الشمول ..

سأظل أكتب لك عن مدى نجاح المجلة الذى يتجلى فى اختفائها من الاسواق بمجرد صدورها. ان الباعة يعتبرونها سلعة يؤثرون بها من يحبون ويعتزون، وأصحابى يحدثوننى : اما عن العناء الذى يلاقونه للعثور على نسخة ، واما عن وسائل الاعزاز التى هم محل لها ، حيث يحتفظ لهم البائع بنسخة يخفيها عن الانظار ، وهى لا تباع بأربعة قروش الا فى النادر جدا ..

ان مجلتكم فى طريقها الى أن تصبح مجلة العالم الاسلامى الاولى .. فيجب أن ينظر لها بهذا المنظار ، وأن توضع الخطط لتضطلع برسالتها على هذا الوجه الشامل.

أحمد حسين ــ المحامى ــ القاهرة

***

اطلعت على مجلة ((الوعي الاسلامي)) . وما كان أعظم شوقي الى نبع المعرفة الدينية من خلالها . وما أشد اعجابى بموضوعاتها الاسلامية الحية التى تسهم بقدر كبير في ابراز معالم ديننا الحنيف وتصد كيد أعداء الدين الاسلامى الى نحورهم ، وتعمل على دحض الشبهات التى يثيرها حوله المغرضون الذين لا هم لهم الا تشويه قيمه . ان مجلة ((الوعى الاسلامى)) شمعة مضيئة فى ظلام عصر تتصدى فيه المادة للقيم الروحية ، وتعمل جاهدة على بلبلة الافكار وابعادها عن القيم الروحية .

رزق جاد همام ــ المانيا الغربية

***

باطلاعى على محتويات هذه المجلة ادركت الجهد الكبير الطيب المبذول فى اعدادها للمشاركة البناءة فى خدمة الفكرة الاسلامية ، وبعث التراث العربي ، الامر الذي يجعلها فى مقدمة الركب الداعى الى طريق الحق ، والسائر نحو الهدف الامثل .

انني أبارك جهودكم وأرجو لكم ــ من كل قلبي ــ توفيقا مطردا وتقدما متواصلا.

مصطفى عبد السلام التريكي
عميد كلية أصول الدين ــ الجامعة الاسلامية ــ ليبيا

***

يسرني أن أخبرك أن مجلة « الوعي الاسلامي » تصل الى أقاصي المعمورة وتؤدي عرضها الجليل . أنا طالب سعودى فى جامعة كاليفورنيا بالولايات المتحدة ، وقد تعرفت على المجلة صدفة عند صديق مسلم هنا لا يتكلم العربية ، ولكنه مشترك فى المجلة . ناسبتنى فيها المقالات التحليلية والموضوعات التعليمية ، وأعجبت خاصة بروحها . أعانكم الله على خدمة دينه ونشر الاسلام على الطريقة السليمة البعيدة عن مصطلحات السجع والقافية التى سئمها الناس .

عادل أحمد بشناق ــ كاليفورنيا

***

بارك الله جهودكم وأيدكم بروح من عنده .. والحق يقال ان مجلة الوعى قد سدت ثغرة فى مجال الصراع الفكرى لم تسدها غيرها حتى اليوم ، وذلك من فضل

الله تعالى وبتوفيق العاملين فيها والمشرفين عليها .. سدد الله خطاكم وقواكم لنصرة دينه واعزاز شرعته وقرآنه ــ والله معكم ولن يتركم أعمالكم .

فتحي يكن ــ طرابلس ــ لبنان

***

لقد سنحت لى الفرصة وأطلعت على مجلتكم الغراء ، وقد احتلت مكانا عاليا فى نفسي لما فيها من موضوعات اسلامية ، ولحسن تبويبها ، وانها ان دلت على شيء فانها تدل على جهود قيمة مخلصة .

بياض الدروبى ــ لندن

* * *

لا داعى هنا أن أسطر اعجابى الشديد بمجلتكم الغراء ، فرسالتى هذه تؤكد ذلك ، كما أن حرصي الشديد على قراءتها ومطالعتها يثبت ذلك .. وقد سرني تأكيدكم المستمر بأن المجلة لن تكون نسخة مكررة من المجلات الاسلامية الاخرى ، بل ستحاول أن تتفاعل مع مشاكل الحياة المتجددة والتطور الدائم ، وتقيس لك الامور بمقاييس الاسلام .

أبو عبد الله ــ كريتر ــ عدن

* * *

يسرني أن أهنئكم بهذا المجهود الكبير ، وهذا العمل الشامخ الذى تقومون به خدمة للاسلام والمسلمين على صفحات ((الوعي الاسلامي)) التى قرأتها هنا ، فقرت عيني وسر قلبي ، وقمت بتسطير هذه الرسالة اليكم داعيا لكم بالتوفيق والسداد والعون على أداء هذه الرسالة العظمى .

سليمان محمود عطا ــ سيراليون

* * *

مجلتنا ــ الوعى الاسلامى ــ خطوة فى طريق نير طويل ، وشمعة متقدة تضيء الطريق لاولى الالباب والابصار .

فالله أكبر .. وضح الحق ، وانبلج الصبح ، وبدأ الظلام وأنصاره يلملمون مؤخرتهم الى غير ما عودة .

فحمدا لله على نعمائه أن قيض لنا هذه المجلة ، نافذتنا على الحياة الاسلامية الصحيحة ، ومستندها فى بيان الحق عندما يعز المستند .

محمد سعيد ــ جامعة دمشق

* * *

من بلاد الامير عبد القادر الجزائري العربية المسلمة ، ومن عاصمته بالذات ((معسكر)) يسرني أن أكاتبكم مهنئا اياكم بصدور مجلتنا ((الوعى الاسلامى)) التى أضفتم بها الى جيش الاسلام والعروبة ، كتيبة أخرى لتساهم بدورها في ايضاح وجه الحقيقة الذى طالما عملت على طمسه أغراض مسمومة ..

فباسمي وباسم جماعة ((معسكر)) المثقفين أهنيء العروبة والاسلام بهذه المجلة، وبهذا الكوكب الوضاء الذى طلع من بلاد عربية اسلامية عريقة ، لها مواقف حميدة

في مجالات العلم والمعرفة ، فتحياتنا الى الكويت الشقيقة أميرا وحكومة وشعبا ، من الجزائر العربية المسلمة المجاهدة .

محمد عبد الوهاب – الجزائر

***

لقد كان لبروز مجلة الوعي الاسلامي الى حيز الوجود أعظم الاثر في نفسي ونفس كل شاب مسلم يتطلع الى الغد الاسلامي ويعمل لمستقبل الاسلام .

ان اشراقة هذه المجلة الاسلامية الواعية سيكون لها ولا شك أثر كبير في تبديد الظلام . وستكون كذلك ولا شك مصباحا يستضيء به الداعية الاسلامي في دروب الحياة وفي دروب الدعوة.

نرجو من الله أن يوفق مجلتكم لما تصبو اليه ، وأن ييسر لها شرف الاخذ بيد أمتنا الاسلامية التائهة في حاضرها . وأن تكون صوتا للاسلام ينبعث من الكويت الى كل الآفاق ليملأها شذا وعطرا . ونرجو من الله أن يجد فيها الشباب المسلم بغيته ومنفعته .

قارىء من قطر

***

مرحى لهذه المجلة وبالقائمين عليها والمساهمين على نشرها بين الامة الاسلامية .

ولا يسعنا في هذه المناسبة الا أن نرفع أكف الضراعة الى الله جل وعلا أن يجعل لهذه المجلة مستقبلا باسما ونجاحا دائما . آمين

محمد بلي الفوتي المشرف على شئون المسلمين
توجو غرب أفريقيا

***

أكرر لكم التهنئة على مجلة الوعي الاسلامي موضوعا واخراجا ، فان ما يلف اطارها كله – من سماحة الاسلام والتجديد فيه – في اتزان ، وتوفيق حكيم بين المحافظة ومجاراة التقدم لما يؤكد البشرى دائما في نجاح دعوتها واتساع رسالتها .

وبهذه المناسبة أرجو زيادة ما يرسل منها الى مصر كل شهر ، فلا تزال أعدادها قليلة مع باعة الصحف ، وما يرد من النسخ شهريا يتخطفه السابقون من المشترين ، على حين لا يحظى المتخلفون يوما واحدا بما يريدون .. وقد عاينت هذه الظاهرة وعانيتها بنفسي ، وسمعتها من اخواني الحريصين على اقتنائها ، فلا يجدونها الا بشق الانفس ، وقد تفوتهم بعض أعدادها .

محمد عبد الغنى حسن – القاهرة

***

لقد كان لظهور مجلتكم القيمة أثر فعال في كل مجتمع كان ولا يزال يتخبط في مشاكل دينية ، والكل يؤمن بانها هي الوحيدة القادرة على اخماد هذه التيارات ، وعلى تمزيق الحجب عن مشاكل غمضت على أي واحد ، ولم يجد السبيل الى حلها حلا صحيحا ، ولذا فاني كقارىء عربي ، أرفع الى أسرة المجلة التهاني الحارة . وأملي الوحيد هو أن يطول عمرها لتخدم الشريعة الاسلامية وتعمل على توطيد ركائزها .

واني آسف كثيرا لعدم وجود مجلة ((الوعي الاسلامي)) ، بكثرة هنا ، فمدينة الدار البيضاء أهم المدن المغربية قاطبة ، فمجلتكم ليست موجودة في جميع المكتبات

ك ((العربي)) مثلا ، فيتعذر علينا اقتناء المجلة . ويرجع السبب الى قلة اعـدادها المرسلة من الكويت على ما أظن .

مصطفى قبال ـ الدار البيضاء

***

ومن متعهدي التوزيع .

الخرطوم . لامرتجع . نرجو زيادة كمياتنا . برقية

بورسودان . زيدوا الكمية المرسلة لنا . كتاب

القاهرة . نفد عدد رمضان من الاسواق فى الساعات الاولى ، نرجو زيادةكمياتنا.
(برقية) شركة توزيع الاخبار .
وكان قد نزل السوق بعد ٢٠ من رمضان .
نرجو مضاعفة الكمية المرسلة لنا (كتاب) شركة توزيع الاخبار .

***

وهكذا يفرض العمل الجاد المتقن وجوده ، ويثمر الاخلاص ثمرته ، ويتجاوب معه المخلصون من كل مكان وتشرئب اليه أرواح عطشى وجدت فيه ريا طال انتظاره ، وأملا كان يراود نفوسهم ويتمنون تحقيقه ولقاءه . وغرسا نما وأثمر قبل أوانه ، ومولودا تكلم في مهده ، فأحاطوه برعايتهم ، وتعهدوه بعنايتهم ، وأمدونا بطاقة قوية من روحهم ، فضاعفنا الجهد ، واستعذبنا الجهد،وحاولنا أن يكون كل عدد جديد خطوة الى الامام، وحمل معنا هذا العبء ، زملاء القلم والفكرة من كل مكان ، فقدموا ثمار أفكارهـم ، وخلاصة تجاربهم ، وعصارة بحوثهم ، مشكورين .

وها نحن أولاء نقف على عتبة العام الثالث مغتبطين بمـا حققنا ، متطلعين الى أفق أوسع ، وغد أرحب نستزيد من عزمك عزما ، ومن تقديرك قوة وحزما ، ومـن اخلاصك حماسا وتفانيا ، ومن اقبالك دأبا ومثابرة ، سائلين الله العلي الكريم ـ بقدر اخلاصنا له وتفانينا في كسب رضاه ـ أن يسدد خطانا ، ويمنحنا الجلد والصبر على مشاق الطريق ، ويلهمنا بفضله الرشد والتوفيق ، ويعفو عن العثرات ، ويتجاوز عن الهفوات ، فما قصدنا الا وجهه ، وما هدفنا الا الى رضاه .

أخـــي :

لا زلت أقول وأرجو ـ ونحن فى ذكرى الهجرة وبدء العـام الثالث ـ أن تكون مجلتكم هذه هي مجلة الشباب المسلم ، الذي تخطفته الاقوال المعسولة والاغراءات المجنونة والبهارج الزائفة ، والاغاليط المحبوكة ، واستغلت فيه أحيانا غريزته ، وأحيانا قلة بضاعته ، وأحيانا نزوعه للانطلاق والتحرر ، بل وللتمرد على موروثاته وتقاليده لتفصله عن دينه ، وتعزله عن أمته ، وتصنع منه انسانا بلا أصول ولا جذور ، ولا روح، ليسهل عليها بعد ذلك أن تقطعه عن ماضيه . وتلقى به في ظلمات التيه .

هذا الشباب الذي تتساقط عليه هذه المعاول ، نريد أن نخاطبه بلغته ، ونعيش معه فى مشاكله ، وننظر ، اليه على أنه فى حاجة الى رعاية وعناية وحماية . هو ابننا تريد الذئاب أن تتخطفه . ولا نحتمل أن نتركه لهؤلاء الذئاب ..

ان جانبا كبيرا من حمايته يتوقف علينا نحن الذين ندعوه ليحتمي بدينه ، ويدرع

بعقيدته . انه في المدرسة لا يأخذ المصل الواقى الكافي ، وهو في قراءته الحـرة أكثر أقبالا منه على قراءته المقررة .. فماذا علينا أن نفعله ؟ ..

انه يجابه مشاكل ، وتتوارد على أفكاره تيارات وشبهات ، ولا بد لنا كأطبـاء الكلمة والروح أن نطب له ، ونختار أحسن الدواء وأنجحه ، ونقدم له ما يحل مشاكله، ويقضي على ((التلبك)) النفسي والفكري الذي يصاب به ونحصنه ضد النزلات التي يصاب بها من التيارات العاصفة ..

ومن أجل ذلك ، وشعورا بالمسئولية أكرر ندائي لارباب القلم ، وأطباء النفس والروح ، أن يؤثروا الاتجاه الى هذا الميدان بالاسلحة الحديثة التي ينازلنا بها أعداؤنا ، والا يجعلوا كل همهم أن يكتبوا مقالا ، بل يجعلوا هدفهم أن يصيبوا مرمى الاعداء ، أو يبددوا ظلاما يحيط بأبنائهم ، ليتضح لهم الطريق، أو يقتلوا جرثومة تلعب بافكارهم، وتصيبها ((بالانيميا)) وتفقدهم التوازن .

كم أحس الخطر .. اذا تركنا شبابنا بدون حصانة روحية حتى يشبوا ويتسلموا مقاليد الامور فى بلادهم . وكم أحس المسئولية .. مسئوليتنا نحن حكاما ومحكومين تجاه مستقبل هذا الدين وهذه الامة .

ان كل تهاون منا الآن ـ مهما يكن صغيرا ـ ربما يحول مجرى المعركة ، ويحول بالتالي مجرى التاريخ ، تاريخ هذه الامة .. ومن هنا أقول : ((خذوا حذركم)) .

أقولها لكل من يستطيع أن يتحدث بكلمة الله . كلمة الخير والدين والحق ..

أقولها لكل من يستطيع أن يخط سطرا يرسم به طريق الهداية ..

أقولها لكل من يضع أو ينفذ منهجا يربي على أساسه الجيل الناشىء الجديد .

أقولها لكل من يستطيع أن يضع توقيعـه على أمر فتسخر قوى الدولـة كلها لتنفيذه ..

أقولها لهؤلاء جميعا ونحن نحتفل بذكرى الهجرة ونردد دروسها وعبرها،ونسجل مواقف البطولة والتضحية والاخلاص فيها .

أقولها ونحن نذكر اسلافا كراما ضحوا بكل ما يملكون من مادة وجاه، واسترخصوا فى سبيل العقيدة الحياة ..

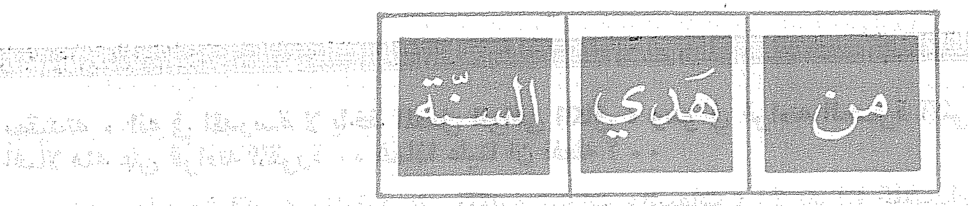
أقولها وأمامنا تجربة . نعم كانت مريرة وقاسية ، ولكنها كانت ناجحة ومظفرة ..

واذا كان هؤلاء الكرام على الله وعلى الناس قد تركوا أوطانهم ، وعرضوا حياتهم للاخطار نجاة بعقيدتهم وكرامتهم فلقد أصبحت الهجرة معنى يرتبط بهجر الانسان لشهواته وأهوائه حين تقف فى سبيل اعزازه لدينه وأمته ..

وما أشد حاجتنا الآن الى هذا المعنى من الهجرة نحققه فى نفوسنا ونجعله سلاحنا للنصر فى هذه الحياة وفى كل مجال ...

وتهنئة مخلصة لاخواننا المسلمين بذكرى الهجرة ورجاء من الاعماق أن يسدد الله الخطى ، ويجمع الصفوف ، ويوحد القلوب ، حتى نرى فى هذا العام الجديد الصورة الكريمة التي نبتغيها لامتنا الاسلامية ..

عبد المنعم النمر



للشيخ علي عبد المنعم عبد الحميد
المستشار الثقافي
لوزارة الاوقاف والشئون الاسلامية

رسالة رسل الله رحمة وحجة

« عن عبد الله بن مسعود قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم . ليس أحد أحب اليه المدح من الله عز وجل، من أجل ذلك مدح نفسه ، وليس أحد أغير من الله ، من أجل ذلك حرم الفواحش ، وليس أحد أحب اليه العذر من الله ، من أجل ذلك أنزل الكتب وأرسل الرسل » .

رواه مسلم

اقتضت حكمة الله العلى الكبير ألا يعذب أحدا بأى نوع من العذاب الدنيوى أو الاخروى مجازاة له على فعل شىء أو تركه الا اذا أرسل رسولا يهدى الى الحق ، ويردع عن الضلال ، ويقيم الحجج ، ويمهد الشرائع ، ويبلغ الدعوة ، قال سبحانه . (وما كنا معذبين حتى نبعث رسولا) وقال تعالى . (كلما ألقى فيها فوج سألهم خزنتها الم يأتكم نذير . قالوا بلى قد جاءنا نذير فكذبنا وقلنا ما نزل الله من شىء ان أنتم الا فى ضلال كبير . وقالوا لو كنا نسمع أو نعقل ما كنا فى أصحاب السعير . فاعترفوا بذنبهم فسحقا لاصحاب السعير) وقال عز من قائل (أو لم نعمركم ما يتذكر فيه من تذكر وجاءكم النذير فذوقوا فما للظالمين من نصير) ...

فقد أرسل الله المبشرين والمنذرين الى العباد منذ بدء الخليقة ، فما من بقعة عمرت على ظهر الارض الا وجاء أهلها رسول من عند الله داعيا الى الحق باذنه وسراجا منيرا .

قال تعالى : (وان من أمة الا خلا فيها نذير) . وما ذهب اليه بعض أهل التأويل من أن هذه الآية الكريمة لا تدل

على أن الله سبحانه أرسل رسله الى جميع الاقوام والامم ، اذ المراد أن الله عز وجل لم يستأصل أمة بالعذاب الا بعد ان قطع أعذارها بارسال رسول اليها يحذرها عاقبة كفرها وانحرافها . هذا التأويل يأباه قوله تعالى . (ولقد بعثنا فى كل أمة رسولا ان أعبدوا الله واجتنبوا الطاغوت) .

وهؤلاء المرسلون صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين منهم من ورد ذكره وذكر أمته فى الكتاب الكريم ، ومنهم من لم يرد فيه خبره ولا خبر قومه . قال سبحانهوتعالى . (ورسلا قد قصصناهم عليك من قبل ورسلا لم نقصصهم عليك) كالذين أرسلوا الى الامم المجهول تاريخها عند قومك وعند أهل الكتاب المجاورين لبلادك .

جاء فى تفسير المنار فى الجزء السادس منه ص « ٧٠ » عند تفسير قول الله تعالى (ورسلا قد قصصنا هم عليك من قبل ورسلا لم نقصصهم عليك) الآية ١٦٣ من سورة النساء ـ ما نصه . « ورسلا لم نقصصهم عليك » أى كالمرسلين الى الامم المجهول علمها وتاريخها عند قومك وعند أهل الكتاب المجاورين لبلادك ، كأمم الشرق . الصين واليابان والهند ، وأمم بلاد الشمال ، أوربة ، وأمم القسم الآخر من الارض (أمريكا) .

وانما لم يقص الله تعالى عليه خبر الرسل الذين أرسلهم الى أولئك الاقوام لان حكمة ذكر الرسل وفوائد بيان قصصهم له صلى الله عليه وسلم لاتتحقق بقصص أولئك المجهول حالهم وحال أممهم عند قومه وجيران بلاده من أهل الكتاب ، وهذه الحكم والفوائد هى المشار اليهافى مثل قوله تعالى (لقد كان فى قصصهم عبرة لاولى الالباب) سورة يوسف : ١١١ وقوله وكلا نقص عليك من أنباء الرسل ما نثبت به فؤادك وجاءك فى هذه الحق وموعظة وذكرى لمؤمنين) سورة هود : ١٢٠ وقوله (وما كنت بجانب الغربى اذ قضينا الى موسى الامر وما كنت من الشاهدين ولكنا أنشأنا قرونا فتطاول عليهم العمر وما كنت ثاويا فى أهل مدين تتلو عليهم آياتنا ولكنا كنا مرسلين وما كنت بجانب الطور اذ نادينا ولكن رحمة من ربك لتنذر قوما ما أتاهم من نذير من قبلك لعلهم يتذكرون) سورة القصص . ٤٤ ـ ٤٦ .

فالعبرة والتثبيت والذكرى والاحتجاج على نبوته صلى الله عليه وسلم كل ذلك يظهر فى قصص من ذكرهم من الرسل دون حاجة الى من لم يذكرهم ، وحسبنا العلم بأن الله تعالى أرسل الرسل فى كل الامم ، فكانت رحمته بهم عامة لا محصورة فى شعب معين احتكرها لنفسه كما كان يزعم أهل الكتاب . غير مبالين بكونه لا يليق بحكمة الله ، ولا ينطبق على سعة رحمته قال تعالى . (سورة النحل ٣٦ ولقد بعثنا فى كل أمة رسولا ان اعبدوا الله واجتنبوا الطاغوت) وقال (انا أرسلناك بالحق بشيرا ونذيرا وان من أمة الا خلا فيهانذير) سورة فاطر : ٢٥ .

وهذه حقيقة من حقائق العلم الالهى والدين السماوى لم يكن يعلمها أهل الكتاب الذين يزعم مشاغبوهم ان القرآن مقتبس من كتبهم ، وكم فيه من هذه الحقائق ولكن طبع على قلوبهم فهم لا يعقلون . ولا نخوض فى احصاء

الانبياء والرسل فانه لا يعلم الا بوحى من الله تعالى ، ولم يبين الله ذلك فى كتابه ، ولا رسوله فيما صح من الخبر عنه .

وكل هذا الكلام واضح بيّن صريح فان الله تبارك وتعالى لم يحرم أمة نصيبها فى هداية الرسل فأرسل رسله تترى ليعلموا الناس ما يجب عليهم فعله ، وما يجب عليهم تركه ، حتى يثابوا أو يعاقبوا (أفحسبتم انما خلقناكم عبثا وانكم الينا لا ترجعون ..) (لئلا يكون للناس على الله حجة بعد الرسل) (ولو انا أهلكناهم بعذاب من قبله لقالوا ربنا لولا أرسلت الينا رسولا فنتبع آياتك من قبل أن نذل ونخزى) فالدين تشريع الهى لا يستقل العقل بالوصول اليه ، ولا يعرف الا بالوحى ، وهو موافق لسنة الفطرةفى تزكيته للنفوس واعدادها للحياة الأبدية فى الدار الباقية ، ويترتب على العمل به أو تركه جزاء حدده الله فى الدنيا والآخرة ..

ولن يكون هذا الجزاء الا لمن بلغته الدعوة على الوجه الأكمل الصحيح الذى يريده الله ، ويبلغه رسله عليهم السلام، والله تبارك وتعالى لم يقصص علينا سير جميع الرسل عليهم أفضل الصلاة وأزكى السلام ، والحكمة فى هذا جد واضحة كل الوضوح ، فان عدد الذين بعثوا منذ أن استقر الانسان على الأرض من الكثرة بحيث لا تتسع عدة أسفار حتى لمجرد سرد أسمائهم عليهم السلام ، وقد ورد الكلام عنهم مجملا فى كثير من آيات الذكر الحكيم قال تعالى . (ثم أرسلنا رسلنا تترى كلما جاء أمة رسولها كذبوه فاتبعنا بعضهم بعضا وجعلناهم أحاديث فبعدا لقوم لا يؤمنون) .. وهذا يفيد كثرة المرسلين وان من أرسلوا اليهم كذبوهم واتبعوا أهواءهم .

ولئن كانت معظم الأخبار المنقولة عن الأمم السابقة تدل على أن تلك الجماعات عولت فى عقائدها على الأوهام فلا يصح بناء على ما قرره القرآن الكريم ... أن يقال انها لم تنل حظها من الرسل فضلت هذا الضلال البعيد وانما المقطوع به والذى لا يتسرب اليه الشك لدى المؤمن أنها حادت عن جادة المبعوثين ، فهوت فيما تردت فيه من البعد عن الحق واتباع الهوى (وكم أرسلنا من نبى فى الأولين . وما يأتيهم من نبى الا كانوا به يستهزئون) وقد اقتصر القرآن العظيم فى حديثه عن الرسل عليهم السلام على المعروفين لاتباع موسى وعيسى عليهما الصلاة والسلام ، لأن فى ذكر غيرهم اطالة لا مبرر لها يغني عنها الاجمال الذى أورد فى هذه الآية الكريمة التي سبقت الاشارة اليها ، وهذا من معجزات القرآن الكريم ، فالله سبحانه عالم بأنه سيأتى زمان تترابط فيه الأمم ترابطا قويا باكتشاف وسائل الانتقال السريعة ، وحينئذ يتساءل الناس هل أرسل الله رسلا الى الأمم التي لم يكن بيننا وبينها اتصال قبل رسالة سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم ؟ واذا لم يكن فلماذا حرموا ذلك ؟

وربما بدت شبهة أخرى على القرآن المعجز وقد جاء فيه . (ما فرطنا فى الكتاب من شىء) فالالمام بالقضية على

هـذا الوجه المجمل الكافي يعد آية تثير الاعجاب لدى المفكرين الذين يعلمون أن من عاصروا نزول القرآن كانوا يظنون أن حدود العالم لا تمتد الى أكثر مما وصل الى علمهم حينذاك .

ولقد قرر القرآن العظيم أن الله تبارك وتعالى كان يرسل الرسل الى تلك الأمم، فلا يرفعون بهدايتهم رأسا ، ولا يقبلون هدى اللـه الذى أرسلوا به ، بل كانوا يسخـرون منهم ، ويسـفهونهم قـال تعالى . (وكذلك ما أرسلنا من قبلك فى قرية من نذير الا قال مترفوها انا وجدنا آباءنا على أمة وانا على آثارهم مقتدون. قال أولو جئتكم بأهدى مما وجدتم عليه آباءكم قالوا انا بما ارسلتم به كافرون). وقال سبحانه . (يا حسرة على العباد ما يأتيهم من رسول الا كانوا به يستهزئون) وصدق اللـه القائل . (ولا يسمع الصم الدعاء اذا ما ينذرون) والقائل سبحانه . (.. وما تغنى الآيات والنذر عن قوم لا يؤمنون. فهل ينتظرون الا مثل أيام الذين خلوا من قبلهم ..).

فتلكم الآيات الكريمة وكثير غيرها مما اشتمل عليه الكتاب العزيز تدفع ما قد يقال . ان الديانات التي عمت الجماعات البشرية فى جميع أطوارها التاريخية انما كانت مجموعة من الأباطيل والأضاليل . فلو أنهم حظوا برسل يهدونهم سـواء السبيل لكانوا أفضل مما وجدوا عليه ، فلهذا كان فى تأكيد القرآن أن الله سوى بين البشر جميعا فى ارسال رسله بهداية السماء اليهم ، ولكنهم آثروا أن يقيموا على أساطيرهم وان يطرحوا ما جـاء به الوحى من عند العلى الكبير دافع قوى لهذا الالتباس .

ويؤيد ذلك تأييدا لا يقبل النقض ما هو مشاهد من أحوال الأمم التي دخلها الفاتحون من أوروبا وأمريكا ، ولا يزال معظمها على حاله يوم دخلوها رغم محاولة تغيير عقائدهم التي ورثوها بأسـاليب شتى لكنهم لم يظفروا الا بالنجاح القليل رغم الجهود الجبارة التي لا حدود لها .

ولقد حدثنى سيد فاضل منذ أيام جاب كثيرا من البلاد المتأخرة فى عقائدها ، وأقام بين أهلها طويلا قال . ان المثقفين مـن بعض الطوائف التي تعج بها تلـك البلاد يعودون بعد أن نهلوا مـن أرقى جامعات أوروبا فيرتدون رداء العقيـدة التي شبوا فى نطاقها ، مع أنه لا يمكن لها أن تنسجم مع العقل ، ولا تتفاعـل مع الواقع وكأن لسـان حالهم يردد الآية الكريمة . (انا وجدنا آباءنا على أمة وانا على آثارهم مقتدون) .

أعتقد أنه بعد هـذه الآيات الكريمة ، وبعد هذا البيان الواضح لا يصح بحال أن يقال . ان الله لم يرسل رسلا الا فى رقعة ضيقة من الأرض هى ما بين الفرات والراين ، وما بين قزوين والنيل وانما الواقع أن الله أرسل رسله لكل البشر ولكن من أقوامهم من آمن ومنهم من كفر.

- اسوأ حاكم من لم يستطع أن يحكم نفسـه .
- عير شريف رجلا بأنه ليس ذا نسـب عـريق فقـال الثاني : ان اسرتي ابتدأت بي واسرتك انتهت بك .
- العبيد يحكمون بسادتهم ، وضعاف النـاس يحكمون بأهوائهم .

من ملامح النبوّة

الارهاص قبل الوحى

لم تكن نبوة الانبياء ، ولا رسالات الرسل — عليهم جميعا صلاة اللهوسلامه — من قبيل الوحى المفاجيء كما يتوهم البعض .

بل كانت بعد مقدمات من جانب الله — تعالى — تتعلق بالانسان الذى سيختاره الله لنبوته ، أو لرسالته .

فتكون هذه المقدمات امارات سابقة ، تدل الناس — فى حينها — على ما سيكون لهذا الانسان من شأن خاص . . ثم يحقق الله تلك الامارات بالوحى من عنده ، الى عبده الذى اختاره وأرهص له .

وليكن حديثنا — أولا — عن الارهاص حتى نفرغ منه — بعد — ثم يكون الحديث عن الوحى .

(أ) الارهاص

١ — قال فى القاموس المحيط : أرهص الله عبده : جعله معدنا للخير . . وقد اصطلح العلماء قديما على تسمية الملامح التى تبدو فى جانب هذا العبد — ارهاصات — .

والمعنى المقصود : أنها أمارات من الله على أن هذا الانسان معدن الخير ، كما هو المدلول اللغوى . .

وقد حدثنا القرآن الكريم ، والسنة النبوية والتاريخ عن جملة — من الارهاصات بالنسبة لفريق من الانبياء والرسل ، من غير استيعاب للجميع .

ولم يتوسع القرآن الكريم ، ولا السنة فى هذا الشأن عن الجميع لانه شيء يطول . . والله — تعالى — يريد أن يبين لنا فى تخفيف عنا : دون ان يشق علينا ما لا نطيقه « يريد الله ان يخفف عنكم وخلق الانسان ضعيفا » .

« ورسلا قد قصصناهم عليك من قبل ورسلا لم نقصصهم عليك » .

وأما التاريخ فلم نجعله عمد تنافى هذا، لما عسى أن يقال فيه .

هذا وقد ذكر الامام القرطبي — فى تفسيره — ما روى عن أبى ذر الغفارى — رضي الله عنه — أنه قال : « قلت يا رسول الله . . كم كانت الانبياء . . وكم كان المرسلون ؟؟ قال صلى الله عليه وسلم — كانت الانبياء مائة ألف ، وأربعة وعشرين ألف نبي . . وكان المرسلون ثلاثمائة وثلاثة عشر رسولا » .

ثم قال القرطبي : هذا أصح ما روى فى ذلك . . وهذا كلام بين ، وفيه الكفاية لان ما روى فى ذلك كثير ، وليس كله راجحا ، كما صرح الامام القرطبي .

والقرآن الكريم لم يتعرض لهذا العدد كله ، كما نوهنا : تخفيفا ، وتيسيرا .

والرسالة

للشيخ محمد عبد اللطيف السبكى

وحينما نستعرض ما ورد موجزا فى القرآن الكريم ، والسنة من تلك الارهاصات ، أو الملامح : سنراها تأخذ فى القلب نصيبها من الروعة ، وتثير فى النفس مباهج الاعجاب ، وتنبه الانسان : رويدا ، رويدا من غفلة الى يقظة .. ومن جهالة الى معرفة .. ومن انكار الى ايمان يوم كانت تلك الارهاصات فى عصرها ، او بعد عصرها لمن لا يزالون فى شقاق عن بعض الانبياء ، والرسل .

وحينما يفقه الانسان ، ويصيب الحق يتأكد أن تلك الارهاصات كانت وسيلة رحيمة بالانسان الذى تعلقت به اذ جعله الله معدنا للخير لانها تمهيد له ، وتوجيه للانظار نحوه .. فلا يكون ظهوره بالوحي فيهم بعد ذلك : بعيدا كل البعد عن مألوفهم ، وما عهدوا فيه من الخير ولا يستوحشون منه كما يستوحشون من غريب دخيل عليهم ، فيتجهمون له جميعا ، أو يتهجمون عليه .

وكذلك يتأكد من يفقه ، ويصيب الحق: أن تلك الارهاصات كانت وسيلة رحيمة بالقوم .. لانها تخلق فيهم وعيا سابقا وتثير بينهم تفكيرا فى شأنه، ومناجاة فيما عهدوا من ملامحه التي لم تكن لغيره من جمهرة الناس فى محيطهم .

وذلك التمهيد يقرب الساعة العقلية بينهم وبينه ، ويدنيهم أو يدني فريقا منهم الى الاستئناس به ، ويكون هذا التمهيد سبيل التجاوب بين الداعى ، والمدعوين ، وأيسر على الجانبين كثيرا مما لو فاجأهم بالوحى من الله ، دون ارهاصات تتقدمه، توقظهم من غفلاتهم .

ويوضح قولنا هذا أن الله ــ تعالى ــ جرت سنته على أن يختار نبيه أو رسوله من بين قومه ، ليكونوا على معرفة بشخصيته ، وعلى علم بسيرته ، وعلى خبرة بأصوله ، وبكل ما يدور حوله فيهم .

فلا يكون مريبا .. ولا مسترابا فيه .. ولا يكون مغمورا فى نفسه ، ولا مغموزا فيه .

واذا سفهوا فى شأنه كان مردودا عليهم بالواقع الذى يعلمونه حقا دون أن ينزل قدره عن مكانته التي هيأها له ربه ، ولا عن كرامته التي أقامه الله عليها ..

وان تناولوه من ناحية تمسه من هذا القبيل أو من قبيل دعوته : فالله كفيل بحمايته ، ويظل بتكريم الله من المصطفين الأخيار ، لم يمسسه سوء القالة .

وان ازهقوا روحه وسفكوا دمه : فانما هو الاستشهاد فى سبيل الله : يذهب

ضحيته الأخيار من عباد الرحمن .. ويبوء باثمهم الأشرار من جنود الشيطان.

وكان المفروض بعد أن تحصل الارهاصات لمن جعلهم الله معدن الخير أن يكون للعقول رشاد ، وللقلوب تبصر ، فلا تتخلف الاستجابة المرموقة عن المقدمات المشهودة بما أرهص الله به لعبده ..

ولكن الناس يختلفون فى فطرتهم ، وفى ميولهم .. فمن حسنت فطرتهم واستقامت ميولهم كانوا مهتدين ، وقليل ما هم ، ومن عميت بصائرهم وانحرفت ميولهم ضلوا عن الرشد ، واستحوذ عليهم الشيطان فأنساهم ذكر الله « ولو شاء ربك لجعل الناس أمة واحدة ولا يزالون مختلفين ، الا من رحم ربك .. » .

الارهاص لآدم « عليه السلام »

١ — كان الارهاص من فجر الحياة الدنيا .. فحينما أراد الله أن يلقى الأضواء حول عبده آدم قبل أن يكون له شأن معروف أخبر الملائكة بقوله — سبحانه — « انى جاعل فى الأرض خليفة » فأدرك الملائكة من هذا ، أو من امارات بجانب هذا النبأ : أن ذلك تنويه بما سيكون لآدم فى هذا العالم من قدر خطير .. لأن آدم هو الوافد عليهم ، فليس لديهم من مخلوق يتجه اليه الفكر سوى هذا الانسان الأرضي الذى كرمه ربه ، فذلك ارهاص مبكر ، تنبه له الملائكة ، وعلقوا عليه بالاستفهامات ، والتعاجب ، وسبق الى ذهنهم أنهم خير وأولى بالخلافة فى الأرض من هذا الانسان الذى لم يكن مستخلصا مثلهم من عالم النور ، ولا مطبوعا مثلهم على تسبيح الله ، والتقديس .. ولكن الله رجع بهم الى حكمته ، وعلمه الرباني فقال لهم « انى أعلم ما لا تعلمون » .

٢ — ثم كان ارهاص آخر : بما أفاض الله على آدم من علم لم تتهيأ له طبيعة الملائكة « وعلم آدم الأسماء كلها » اسماء المخلوقات من بحار ، وأشجار ، وجبال ، ونجوم ، وكائنات أخرى .. مما له ارتباط بحياة آدم فى الأرض ، التي سيكون خليفة فيها .. هو وذريته الى يوم القيامة ، يعبدون الله فيها ، ويستثمرونها بجهودهم .

٣ — وكان ارهاص ثالث : بتلك المناظرة التي امتحن الله فيها الملائكة اذ عرض عليهم أن يجيبوا عن تلك المسميات ، فلم يكن لهم الأمداد الذى ظفر به آدم . وهذا لعدم الأهلية لذلك العلم .. ولكن كان بطبيعته متأهلا ، وكان بامداد الله له عالما ، ومجيبا عما سئل ..

٤ — ثم كان ارهاص رابع : بتكليف الله للملائكة أن يعظموا آدم تعظيما يناسب مقامه بعد أن تبين لهم ما كان خافيا عليهم من حكمة الله فى صنعه ، واختياره للانسان دون الملائكة ...

٥ — ويكون الارهاص الخامس بتوبيخ الله لابليس على امتناعه من تعظيم آدم تعظيما أشاد الله به، حتى سماه سجودا ، وأن لم يكن سجودا على الجبهة كما نعهد .. فان هذا النوع لم يشرع لغير الله .

٦ — وينتهى ذلك الارهاص فى هذه القضية بطرد ابليس من الجنة ، رجيما مسخوطا بلعنة الله الى يوم الدين بسبب عصيانه لله فيما أمره من تعظيم آدم ، ويلعنه الناس على وجه الأرض دائما .

لم يكن آدم أثناء هذا نبيا ، ولا رسولا، وانما هى تمهيدات لما يصادفه بعد ذلك من الوحى .. فأى ارهاص يكون أبلغ من هذا فى مطلع التاريخ البشرى ؟ .

ثم يقال : هل كان هذا الارهاص تمهيدا لنبوة آدم ، أو لرسالته كذلك ؟ .

ويختلف العلماء في تحقيق هذا .. ففريق يقرر أنه نبى فقط ، لعدم وجود قوم يحتاجون الى رسول فيهم .. وآخرون يعتبرونه رسولا الى ذريته الذين عاش فيهم أزمانا وعلمهم مما أوحى اليه ربه .. وكيفما كان الرأى الأرجح .. فآدم نبى على أقرب الوجوه ، ورسول على قول راجح .

وتلك ارهاصات له — عليه السلام — وهذا ما أثبتناه من نصوص القرآن الكريم — وكفى .

الارهاص لاسماعيل عليه السلام

١ — قدم ابراهيم — عليه السلام — على مكة وهى خلاء من السكان ، ومعه زوجته هاجر المصرية وولده اسماعيل ، ثم تركها فى رعاية الله حيث لا أنيس ، ولا جليس ، ولا زرع ، ولا ضرع ، وانما هو تنفيذه لأمر الله ، واستئناس منه برعاية الله وقال « ربنا انى أسكنت من ذريتى بواد غير ذى زرع عند بيتك المحرم ربنا ليقيموا الصلاة فاجعل أفئدة من الناس تهوى اليهم وارزقهم من الثمرات لعلهم يشكرون » (٣٧ — سورة ابراهيم) .

فهذه الدعوات التي جرت على لسان ابراهيم حين مبارحته لتلك البقعة الجرداء التي اختارها الله مقاما لزوجته ، ولولده الوحيد الذى رزق به على كبر من السن ، وبعد تشوق ورجاء — تعتبر ارهاصة لاسماعيل ، وفى طيها أسرار علوية ستبدو على الأيام .

ثم يخلق الله الماء — بعد ذلك — بجانب اسماعيل ، ويجمع حوله السكان ، ويعمر الوادى بأهله الذين استوطنوه من العرب ، ويشب اسماعيل فيهم ، ويترعرع جسمه على خير ما كان يرجو أبوه ، وعلى خير ما كان يطمع ابراهيم فى تأهيل المكان بأفئدة من الناس تهوى اليه .

٢ — وبعد ذلك أذن الله بارهاصة ثانية لاسماعيل ، وهي موقفه من أبيه حينما أخبره ابراهيم بما أوحى اليه من ذبحه قربانا الى الله « فلما بلغ معه السعى (يعنى شب ، وتهيأت قدرته لمزاولة الاعمال) قال يابنى انى أرى فى المنام أنى أذبحك فانظر ماذا ترى » .

وكان ابراهيم لا بد منفذا لرؤياه ، لأنها وحى كما هو الشأن فى منامات الأنبياء .

وهذا موقف ليس هينا على والد مع ولده : وخاصة ابراهيم فى شيخوخته مع وحيده اسماعيل الفتى .. ولكنها عزيمة الرسالة ، وصدق العهد مع الله من أنبيائه فوق عاطفة الأبوة والرفق بالبنوة .

بل كانت عاطفة ابراهيم برؤياه الى ولده ، حتى لا يكون التنفيذ على غرة من اسماعيل . مع التصميم على التنفيذ فان الغرة ليست من صنائع المؤمنين فضلا عن النبيين ثم كان بالاستفهام ، ولم يكن بالأسلوب الخبرى ، لأن ابراهيم كما يشهد الله له رقيق القلب ، كثير الضراعة والاسترحام ، « ان ابراهيم لحليم أواه منيب » فهو يترفق بولده فيما يسوق اليه من تنفيذ ذبحه : طاعة لربه ، ويكل الأمر ظاهرا الى رأيه بهذه الاستشارة .

وكان اسماعيل يدرك أن أباه فاعل ولا محالة ، فماذا أجاب فى طاعة أبيه ؟ ؟ قال : « يا أبت افعل ما تؤمر ستجدنى ان شاء الله من الصابرين » وكان هذا وعدا صادقا حقا ، واستسلاما طيعا .

ثم ما كاد ابراهيم يتناول سكينه ، ويلقى ولده على وجهه ليذبحه من الخلف ، ويتفادى النظر الى وجهه ، لتخفيف

الهول عن نفسه : حتى كانت رعاية الله أرفق من أبوة ابراهيم ، وأسرع من وضع السكين على مقتل اسماعيل .. اذ هتف هاتف السماء برحمة الله : « يا ابراهيم قد صدقت الرؤيا انا كذلك نجزى المحسنين . ان هذا لهو البلاء المبين . وفديناه بذبح عظيم » — أى كبش كان ضحية اسماعيل — فهذه ارهاصة ثانية غير هينة الشأن ، وقعت لاسماعيل وكانت مقرونة بالثناء من الله على ابراهيم وولده بما أثنى من الخير حتى كرر وصفهما بالمحسنين فى القصة بسورة الصافات (آية ١٠٢ — ١١٠) كما تحدث القرآن بعد ذلك عن صدق اسماعيل فى قوله تعالى : « واذكر فى الكتاب اسماعيل انه كان صادق الوعد وكان رسولا نبيا » . (آية ٥٥ سورة مريم) .

٣ — ثم كانت ارهاصة ثالثة مذكورة فى قوله تعالى « .. وعهدنا الى ابراهيم واسماعيل أن طهرا بيتي للطائفين والعاكفين والركع السجود » (١٢٥ — سورة البقرة) .

فتطهير مكان الكعبة داخل المسجد الحرام مما يكون به من أقذار وآثار تراكمت على طول الزمن ، واعداده لما تهيأ له من طواف الطائفين ، وعبادة العاكفين والقائمين والركع السجود لا يعتبر هذا كله شأنا عاديا يعهد الله به الى مطلق انسان ، وانما هو قضاء رباني يعهد الله به الى رسوله ابراهيم ليقوم بتنفيذه مع ولده اسماعيل .

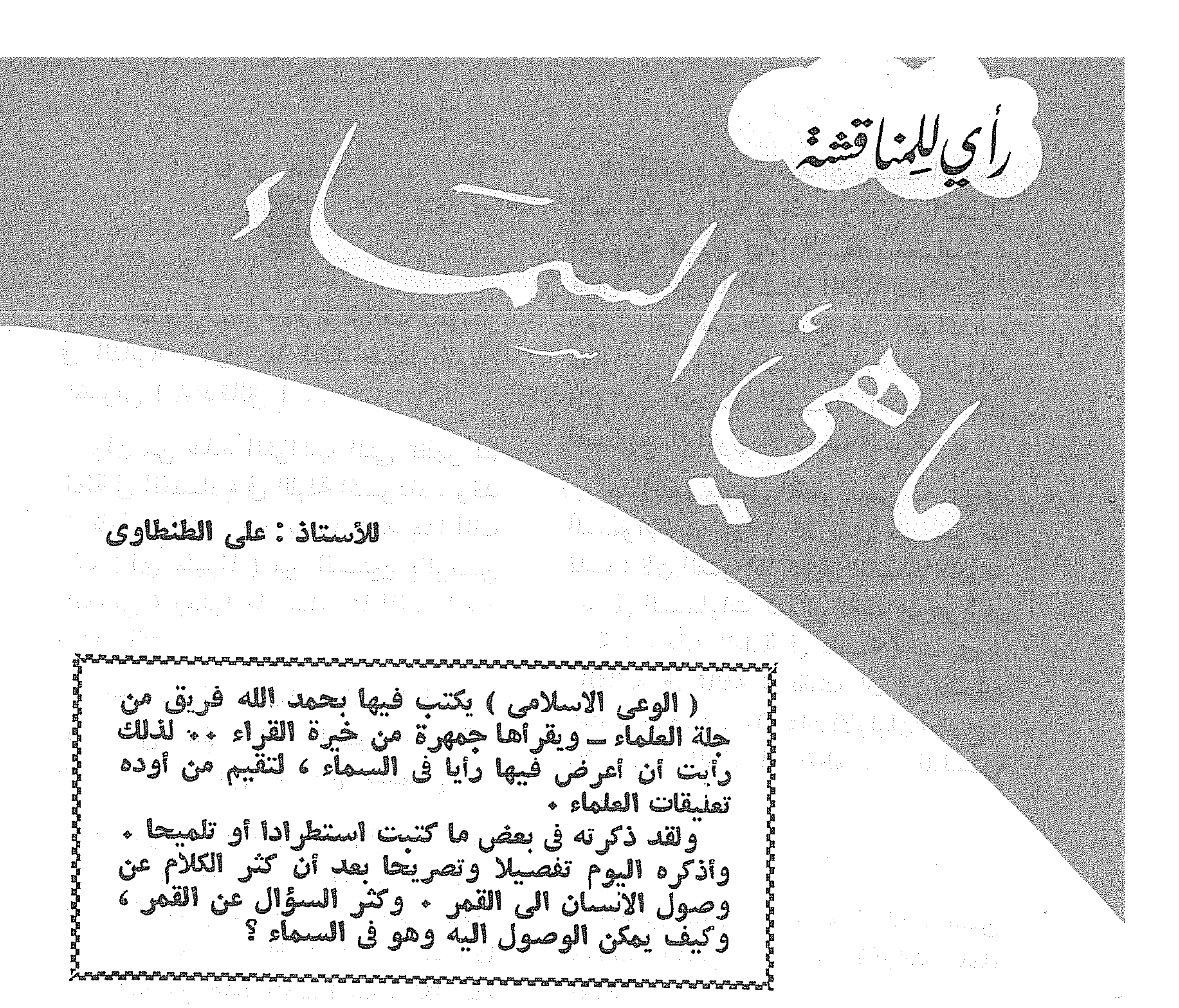
وقد كان ذلك التعاون ، وتحقق العهد ، وأقيم بناء البيت فى البقعة المطهرة على يد رسول الله ابراهيم ، وولده اسماعيل ، وهما يجأران الى الله بأطيب الدعوات « واذ يرفع ابراهيم القواعد من البيت واسماعيل ربنا تقبل منا انك أنت السميع العليم .. ربنا واجعلنا مسلمين لك ومن ذريتنا أمة مسلمة لك وأرنا مناسكنا وتب علينا انك أنت التواب الرحيم » (١٢٧ — ١٢٨) سورة البقرة .

وعلى ذلك تم البناء ، وتحقق الدعاء ، وشرع الحج ، وصار البيت ملتقى جامعا للمسلمين من كل فج ، ومناطا لهديهم ، وجمعا بين قلوبهم على توحيد الله ، وعصمة لهم بدين الله وتنظيما لصفوفهم حول من يصطفيه الله لدعوته « جعل الله الكعبة البيت الحرام قياما للناس » تقويما لهم آية (٩٧ — المائدة) .

فان يكن تطهير مكان البيت الحرام ، واقامة بنائه عهدا من الله تعالى الى ابراهيم ، وهو نبى مبعوث : فان هذا بالنسبة لاسماعيل ارهاص واضح من جانب الله بما سيكون له من شأن بعد ذلك .. وقد كان ، وتحققت رسالته بعد تلك الملامح السالفة .

وهى باكورة الرسالات فى العرب ، من نسل اسماعيل بصفة أخص .. ثم لم تعقبها رسالة فيهم : الا أخيرا ، برسالة خاتم الأنبياء محمد عليه الصلاة والسلام .

وانما تحولت الرسالة من بعد اسماعيل الى اسحاق أخيه لأبيه ثم استرسلت فى يعقوب وبنيه من أنبياء بنى اسرائيل — يعقوب — وعلى أى حال فقد ظلت فى ذرية ابراهيم : مبدأ ، ونهاية « وجعلنا فى ذريته النبوة والكتاب » .



ما هي السماء

للأستاذ : على الطنطاوى

(الوعى الاسلامى) يكتب فيها بحمد الله فريق من جلة العلماء ـ ويقرأها جمهرة من خيرة القراء .. لذلك رأيت أن أعرض فيها رأيا فى السماء ، لتقيم من أوده تعليقات العلماء .

ولقد ذكرته فى بعض ما كتبت استطرادا أو تلميحا . وأذكره اليوم تفصيلا وتصريحا بعد أن كثر الكلام عن وصول الانسان الى القمر . وكثر السؤال عن القمر ، وكيف يمكن الوصول اليه وهو فى السماء ؟

وموضوع المقال (ما هى السماء) ؟

عندنا نصوص ثابتة فى الدين ، وعندنا أقوال مقررة فى العلم .

أما الثابت فى الدين فهو أن السماء ليست حدودا وهمية ، ولا مدارات كواكب ، كما ذهب الى ذلك بعض العصريين من المفسرين ، ولكن السماء (جرم) حقيقي ، لان الله سماها (بناء)، وقال (بنيناها) ، (وبنينا فوقكم سبعا شدادا) (والسماء وما بناها) ووصفها بأنها سقف لهذا العالم ، فقال (وجعلنا السماء سقفا) وقال (والسقف المرفوع) وجعل لها أبوابا تفتح وتغلق ، فقال (ففتحنا أبواب السماء) (لا تفتح لهم أبواب السماء) ونفى أن يكون فيها منافذ غير هذه الابواب ، فقال (ومالها من خروج) . وأن السماء تفتح يوم القيامة (وفتحت السماء) وانها (تشقق) (فاذا انشقت السماء) ، وتنفطر وتكشط ،ولها بروج (والسماء ذات البروج) (جعل فى السماء بروجا) .

وأما المقرر فى العلم فهو أن الشمس والقمر ، يسبحان فى الفضاء (وهذا شىء صرح به القرآن فقال : « وكل فى فلك يسبحون » ، وان الشمس على بعدها عنا ، وكبرها بالنسبة الى أرضنا يصل نورها الينا فى نحو ثمان دقائق ، لان

النور يقطع فىمسيره ثلاثمئة ألف كيلومتر فى الثانية ، أى أنها تبعد عنا بالزمن الضوئي (٨ دقائق) .

وان من هذه الكواكب التى تظهر لنا نقطة فى الفضاء ، فى الليلة السوداء ، وقد لا تظهر لنا أبدا ، منها ما يبعد عنا ألف ألف (أى مليونا) من السنين بالزمن الضوئي ، ومنها ما يبعد عنا ألف مليون سنة وأكثر ...

فاحسبوا كم (ثمان دقائق) فى هذه المدة التى تبلغ (ألف مليون سنة) لتتصوروا كم هى أبعد من الشمس !

أما كبرها . فنحن نعلم أن القمر أصغر من أرضنا ، والارض لا تعد شيئا الى جنب الشمس . والشمس وما يتبعها من سيارات ، لو ألقيت هى وسياراتها فى كوكب من هذه الكواكب ، لكانت بالنسبة اليه كحبة رمل ألقيت فى وادى نجد ، أو كقطرة ماء قطرت فى البحر المحيط .

وهذه الكواكب ، على ضخامتها ، كثيرة لا تحصى ، يزيد عددها على ملايين الملايين ، وتسير بسرعة مهولة ، ومع ذلك لا تصطدم الا اذا اصطدمت ست نحلات تطير وحدها حول الارض ، لان هذا الفضاء واسع واسع كسعة جو الارض بالنسبة الى النحلات .

هذا ما يقوله علماء الفلك .

فأين مكان السماء من هذا الفضاء ؟

ان الله عز وجل بعد أن وصف السماء بأنها بناء ، وأنها سقف مرفوع ، أكمل الصورة فجعل لهذا السقف مصابيح ، فقال : (وزينا السماء الدنيا بمصابيح) وصرح بأن هذه المصابيح هى الكواكب ، فقال (بزينة الكواكب)، فدل ذلك على أن الكواكب تحت السماء الدنيا ، لان المصابيح لا تكون الا تحت السقف .

أما آية (وجعل القمر فيهن — أى فى السموات — نورا) فلا يدل على غير ما قلت ، لأن القمر اذا كان فى السماء الدنيا ، فهو فى السماوات كما لو كانت جوهرة فى علبة ، وهذه العلبة فى علبة أخرى ، والثانية فى ثالثة ، فقلت ان فى هذه العلب جوهرة . والآيتان الاوليان أصرح . ولا يترك الدليل القطعى لدليل (محتمل) (١) .

★ ★ ★

والذى تبين لى من هذا كله ، من نصوص الدين .. ومن مقررات علماء الفلك .

أن الشمس وتوابعها (وهن الأرض وأخواتها) وهذه الكواكب التى لا يحصى عددها تسبح فى فضاء عظيم ، وهذا الفضاء تحيط به كله (كرة) هائلة . وهذه الكرة هى (السماء الدنيا) وهذا العالم بأرضه وشمسه وكواكبه فى وسطها .

ولهذه الكرة سمك الله أعلم بمقداره ، قال تعالى (رفع سمكها) وهى فى فضاء لعله مثل هذا الفضاء ، أو أصغر أو أكبر ، وحوله كرة أخرى — لها سمك — هى السماء الثانية) ثم فضاء ثم كرة — وهكذا الى السماء السابعة .

---

(١) قالوا : الدليل اذا تطرق اليه الاحتمال امتنع به الاستدلال .

وبغير هذه الصورة لا تكون السماوات (طباقا) .

وخارج الكرة الكبرى التى هى السماء السابعة ، أجرام أكبر ، أجرام لا يستطيع العقل مهما جهد وكد ، أن يتصور مدى كبرها ، هى (الكرسى والعرش) و (سدرة المنتهى) .

هذه كلها عظمة المخلوق . فما بالك بعظمة الخالق !

* * *

واذا نحن وصلنا الى القمر والمريخ بل والشمس فأين القمر والمشترى والشمس من السماء ؟

اذا كان بعد الشمس عنا ، كبعد ابهامك عن خنصرك ، تكون السماء أبعد عنك من أمريكا ، بملايين الملايين من المرات .

واذا كان علماء الفلك يقولون ، بأن من الكواكب ما يسير ضوؤه فى الفضاء من أول الزمان ولم يصل الينا الى الان . فمعنى ذلك ، أننا لو اخترعنا مركبة فضائية ، تسير بسرعة الضوء ، أى أنها تقطع ثلاثمائة ألف كيلو متر في الثانية الواحدة ، وأننا لو ركبنا فيها يوم ولد نوح ، وسرنا من ذلك الوقت الى اليوم لا نكون قد قطعنا من طريق السماء (الدنيا ..) الا كما تقطع النملة التى تمشى دقيقة واحدة ، من طريق (الكويت ــ أميركا) !

وأنا حين انتهى الى هذه الصورة ، وأرى أن عالمنا كله ، بكواكبه وفضائه ، (محبوس) فى وسط الكرة الصغرى التى هى (السماء الدنيا) ، أجد ذهنى ينتقل الى الجنين (المحبوس) فى بطن أمه .

هذا الجنين ، لو استطعت أن تسأله ، واستطاع أن يجيبك ، وقلت له ، ما هى الدنيا ؟

لقال لك : الدنيا هى هذا البطن ، وهذه الأغشية .

فلو خبرته ، ان ها هنا (دنيا) أكبر . عالما فيه بر وبحر ، وسهل وجبل ، ومدن كبار ، وان دارا واحدا من دور هذه المدن ، أكبر من دنياه هو بملايين المرات ،

لم يستطع أن يفهم ما تقول أو أن يتصوره ، وكذلك نحن حين نسمع أن الجنة عرضها السماوات والأرض ، وأن قصرا واحدا من قصورها ، أكبر من هذه الارض كلها .

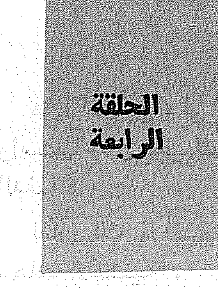
ان نسبة ملك الله ، الى هذا (الفضاء) الذى فيه الكواكب والنجوم ، كنسبة هذا الفضاء الى بطن الام .

وهذا العالم البالغ الضخامة ، موجود مثله على صورة بالغة الصغر . موجود فى (الذرة) ، الذرة التى لا تراها عين الانسان ولا بالمجهر (الالكترونى) فيها فضاء كهذا الفضاء ، وكواكب مثل هذى الكواكب ، تسبح فيه ، ويدور بعضها على بعض ، بنظام مقرر وقدر معلوم .

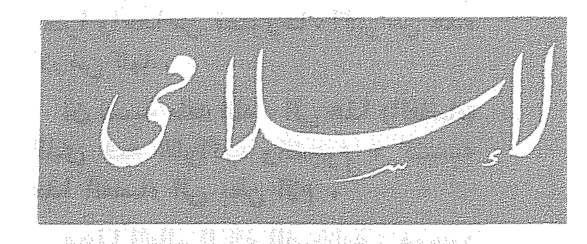
فسبحان الله ، لا اله الا هو .

وما أحمق من لا يؤمن بالله !

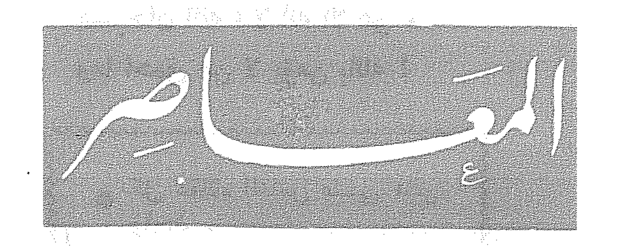
- كل عقلاء الناس على دين واحد .
- قد يصح للانسان أن يغير رأيه ولكن لا يصح له أن يغير مبدأه .
- انما يعتذر عما لا يمكن تغييره .



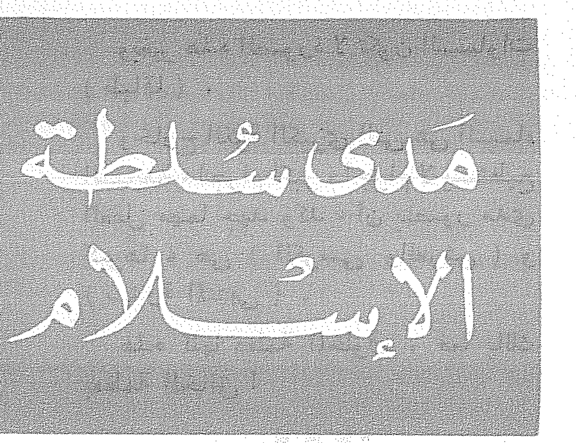








للدكتور محمد عبد الله العربى
عميد معهد الدراسات الاسلامية ـ بالقاهرة



رأينا كيف جرت سنة الاسلام فى تنظيم المجتمع فى كل جانب من جوانبه على البدء بفرض تعاليمه الخلقية على أفراد المجتمع ، لكى يذعن الافراد لهذه التعاليم عن اقتناع ، وعن طواعية واختيار ، فاذا صدع بها الافراد خفت مؤونة الدولة ، واذا أحجموا عن تنفيذها بدأ تدخل الدولة .

ذلك لأن الاسلام هو دين الفطرة ، والله سبحانه هو العليم بفطرة الانسان الذى خلقه ، وهداه النجدين ، وترك له حرية الاختيار بين الفجور والتقوى ، وبين الخير والشر ، فكان لا بد لضمان نفاذ تعاليمه الهادية من أن تقوم فى كل مجتمع دولة تسهر على نفاذ هذه التعاليم .

فاذا سار أفراد المجتمع فى سلوكهم الفردى على ضوء هذه التعاليم قلت حاجة ولى الامر الى التدخل لالزامهم بتنفيذها ، وبالعكس اذا هبط مستوى التمسك بالتعاليم الخلقية التى فرضها الاسلام كبر دور ولى الامر فى التدخل لحمل الافراد على تنفيذها .

الدولة فى تنفيذ تعاليم
فى ملكية المال

ذلك مقياس تدخل ولى الامر ، ينقبض وينبسط تبعا لمستوى السلوك الخلقى السائد فى المجتمع ، بالاضافة الى الظروف الاستثنائية التى قد تعرض للمجتمع وتهدد كيانه .

واذن لا توجد قاعدة جامدة يتقيد بها ولى الامر فى تحديد مدى تدخله لتنفيذ تعاليم الاسلام الخلقية فى تنظيم المجتمع ، بما فى ذلك ملكية المال .

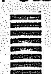
فمثلا اذا كان أفراد المجتمع يؤدون فريضة الزكاة ، ويزيدون عليها بانفاق العفو فى سبيل الله ، فقد لا يحتاج ولى الامر الى اتخاذ اجراءات الجباية القهرية للزكاة ، ولا الى فرض ضرائب اضافية لتكملة الوفاء بنفقات المجتمع ، بل يقتصر دوره على توجيه هذه الحصيلة كلها الى الوفاء بحاجات المجتمع ، وفاء يحقق مشيئة الاسلام فى أن يكون مجتمعه كالبنيان يشد بعضه بعضا .

وبالعكس اذا ضعف الوازع الايمانى ، وهبط المستوى الأخلاقى لدى بعض قطاعات المجتمع ، فأحجموا عن أداء فريضة الزكاة ، وعن الانفاق الاختيارى فى سبيل الله للوفاء بحاجات المجتمع ، لم يكن مناص من أن يتدخل ولى الامر ، وأن يتخذ الاجراءات القهرية التى تكفل نفاذ هذه الفريضة ، ولو باعلان الحرب على هؤلاء المحجمين كما فعل أبوبكر رضى الله عنه .

هذه سنة الاسلام فى تنظيمه للمجتمع الاسلامى ، وقد رأينا التكاليف التى فرضها الاسلام على ملكية المال ، وصاغها فى البداية فى صيغة تعاليم خلقية ، فلننظر الآن فى مدى حق ولى الامر فى التدخل لضمان نفاذ هذه التكاليف من ايجابية وسلبية ، تكاليف ترد على ملكية المال ، بعد أن عرفنا أن المال كله مال الله ، وأنه وديعة بين يدى حائزه من البشر يؤدى عنها الحساب يوم الحساب .

قلنا أن أول تكليف ايجابى على مالك المال هو شكر الله على نعمائه ، اذ أتاح له الانتفاع بهذا المال ، وأودعه بين يديه ليستثمره ويتصرف فيه . والشكر انما يكون بأن يوجه نشاطه وكفايته الى استثمار هذا المال — مهما كانت طبيعته — فى نطاق الوجوه المشروعة للاستثمار ، على نحو يفى بحاجاته وحاجات من يعولهم وفاء طيبا ، وبغير عدوان على مصلحة المجتمع .

فاذا أبقى مالك المال ماله عاطلا بغير استثمار يعود بالنفع على ذاته وعلى المجتمع ، وكان هذا التعطيل متعمدا



من المالك وطال أمده ، واذا كان تعطيل استثمار المال يؤدى الى فقر المجتمع ألا يجوز لولى الامر أن يتدخل ليحمل مالك المال على مداومة استثماره استنادا الى أن الاسلام يبغض الفقر ويكافحه ، لا سيما اذا كان المجتمع الاسلامى فى عصر معين ينوء كاهله تحت أعباء الفقر وأوزاره ؟

نعتقد أن هذا التكليف أجازه الصدر الاول من الاسلام لولى الامر . فقد قال الرسول عليه الصلاة والسلام . « ليس لمتحجر حق بعد ثلاث سنين » والاحتجار كما هو معلوم هو وضع اليد على الارض الموات لمحاولة احيائها وتعميرها ،والارض الموات هى التى لم تربط ملكيتها لأحد من الناس ، فهى كما قال الرسول . « لله وللرسول ثم لكم من بعد » أى للمجتمع كله . وقد ثبت أن عمر رضى الله عنه قد طبق هذا التكليف عندما قال على المنبر . « من أحيا أرضا ميتة فهى له ،وليس لمحتجر حق بعد ثلاث سنين » ثم عمم تطبيقه عندما قال . « من عطل أرضا ثلاث سنين لم يعمرها فجاء غيره فعمرها فهى له » وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم قد أعطى بلال بن الحارث جميع أرض العقيق ، فلما كان زمن عمر قال لبلال . « ان رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يقطعك لتحجرها عن الناس ، انما أقطعك لتعمل ، فخذ منها ما قدرت على عمارته ورد الباقى » .

وحكمة هذا التطبيق ظاهرة فى كل عصر ، لا سيما فى عصرنا هذا الذى عطلنا فيه استثمار أكثر مواردنا الطبيعية ، تلك الموارد التى أغدقها الله على العالم الاسلامى ، فأهملنا استثمارها حتى جاء الاستعمار ، فأطبق على أراضينا ، ومضى يحاربنا بما يستخرجه منها .

فالشارع الاسلامى يحرص كل الحرص على مداومة استثمار المالك للمال الذى بين يديه ، لأنه أصلا مال الله ومال الجماعة . ومداومة استثمار المالك له تعود بالنفع على ذاته أولا ، وعلى المجتمع ثانيا ، باعتبار هذه الثمار زيادة فى الدخل القومى وفى الثروة القومية ، وباعتبار ما يخرجه المالك من ماله فى أداء الفرائض الاسلامية الموجهة الى خدمة المجتمع .

ولما كان ولى الامر هو المسئول عن تنفيذ التكاليف الاسلامية ، فيكون له اذن حق التدخل بكل ما يكفل نفاذ هذا التكليف .

أما كيف يكون تنفيذ ولى الامر هذا التكليف ، فهذا أمر تعالجه السياسة الشرعية فى كل بلد اسلامى على ضوء ظروف هذا البلد ، وطبيعة الموارد المعطلة ، وتحديد مدة التعطيل التى تجيز تدخل ولى الامر اذ لا بد أن تتفاوت هذه المدة بحسب طبيعة المورد من أرض قابلة للزراعة ، أو منجم أو مصنع أو متجر ، وعلى ضوء الاسباب التى أدت الى التعطيل . هل كانت مجرد عناد واستكبار من المالك ، أو كانت لاسباب قهرية لا قبل له وحده بالتغلب عليها .

واذا سلمنا بشرعية التكليف الاول ، بالاضافة الى ضرورته الحتمية فى ظروف العالم الاسلامى المعاصر ، ألا يجوز لنا أن نبنى عليه — قياسا — تكليفا آخر بحكم اشتراك العلة فيهما ؟

العلة فى مداومة استثمار المالك لماله هى السعى الى رفع أوزار الفقر عن المجتمع بالامتناع عن تعطيل تدفق الخيرات التى تنبع من استثمار المال الذى سخره الله لنا . وهى ذات العلة الملحوظة فى وجوب اتباع أرشد السبل فى الاستثمار .

لقد كشف العلم الحديث عن أساليب جديدة فى استثمار المال ، سواء كان فى ميدان الزراعة أو الصناعة أو التعدين

أو التجارة ، وواجب المسلم أن يتزود بهذا العلم فى كل ما يباشره من عمل وسعى وراء الرزق الكريم الذى أنعم الله به عليه . بذلك أمره الله ، وفضل الذين يعلمون على الذين لا يعلمون درجات (قل هل يستوى الذين يعلمون والذين لا يعلمون) وهذه الأساليب ليست الا نتيجة استنباط أسرار الكون الذى سخره الله للانسان ، وأمره بالكشف عنها ، والتدبر فيها ، حتى يحقق معنى استخلافه فى عمارة الارض . ومن الاصول الشرعية المقررة أن ما لا يتم الواجب الا به فهو واجب .

وكلنا نعلم كيف عنى الاسلام أكبر عناية بالحث على التدبر فى معالم الكون ، والتدبر فى آيات قدرة الخالق . والتدبر معناه الدرس والتمحيص، وهما السبيل الى المعرفة والكشف والابتكار ، واستغلال مكنون القوى التى أودعها الخالق العظيم فى هذا الكون الذى سخر لنا كل ما فيه . وعندما كنا نهتدى بهذه التعاليم كانت الاكتشافات العلمية ، والابتكارات الفنية التى زخرت بها حضارة الاندلس وسائر الحضارات الاسلامية ، وتناقلتها الجامعات الاوربية يومئذ ، وأسست عليها العلم الحديث والحضارة المادية التى أذهلنا بريقها .

هذا من وجه ، ومن وجه آخر نرى ان تعاليم الاسلام كما تكررت فى الآيات والاحاديث تفرض على المسلم عندما يباشر عملا ان يتقنه ويحسنه ، فهذا سبيله الى ابتغاء رضاء الله وحب الله . واستثمار مالك المال لماله لم يخرج عن كونه عملا له وزنه فى سجل العمل الصالح ، ومن هنا كان عليه واجب مباشر فى اقتباس كل أسلوب فى الاستثمار يفضل الاسلوب الذى درج عليه ، ويؤدى به الى اتقان هذا الاستثمار واحسانه وتنمية ثماره ومضاعفة انتاجه .

واذن فاذا عمد مالك المال الى أسلوب فى استثمار ماله يؤدى ،الى ضآلة الانتاج أو يؤدى الى تلف رأس المال ، كان لولى الامر فى كل مجتمع اسلامى ان يرده عن الاسلوب العقيم الذى درج عليه الى الاسلوب الرشيد طالما كانت ظروف المجتمع ومستويات المعيشة فيه تقتضى اتباع أرشد الاساليب فى الاستثمار .

واذا تضخمت الثروة فى أيدى فئة قليلة من الرعية ، وكانت هذه الثروة من مصادر الانتاج التى عليها قوام المجتمع ، ثم ثبت عجز هذه الفئة عن استثمارها استثمارا رشيدا ، وأدى هذا العجز الى حرمان المجتمع من منافع هذا الاستثمار الرشيد ، كان لولى الامر أن يتدخل بما يدرأ عن المجتمع هذا الضرر العام . تطبيقا للقواعد الشرعية التى تقرر أن « التصرف على الرعية منوط بالمصلحة » و « يتحمل الضرر الخاص لدفع الضرر العام » و « يتحمل الضرر الادنى لدفع الاعلى » .

أما كيف يكون تدخل ولى الامر فى دفع هذه المفسدة ، فهذا تتولاه السياسة الشرعية فى كل بلد اسلامى على ضوء الواقع فيه . بحيث لا يؤدى الى ضرر أكبر من الضرر الذى تعالجه .

فقد يكون هذا التدخل اما بالزام هؤلاء الملاك باتباع الاساليب الرشيدة فى استثمار مصادر الانتاج التى بين أيديهم، أو بابقاء بعضها بين أيديهم على قدر طاقتهم فى الاستثمار ، والاستيلاء على باقيها على النحو الذى يفى بمطالب الجماعة وفاء طيبا ، بعد تعويضهم عنها نقدا بما يعادل قيمة رأس المال .

وانى لأرى من أسباب السياسة الاقتصادية التى انتهجها الفاروق عمر رضى الله عنه فى شأن أرض السواد ، وامتناعه عن تمليكها للجند الفاتحين ، أنه فطن الى عجزهم عن استثمارها استثمارا طيبا يعادل استثمار زراعها المحترفين ، بالاضافة الى الاسباب الاخرى المعروفة .

وأخيرا المجتمع الاسلامى يجب أن يكون مجتمعا متوازنا فى كيانه الاقتصادى كما هو متوازن فى جميع مقوماته وخصائصه .

واذن يجب أن يتوازن فى كيانه الاقتصادى بقدر ما تتيح له موارده وامكانياته اقامة هذا التوازن . وما أكثر هذه الموارد والامكانيات ، فقد تجمعت فى أرجاء العالم الاسلامى من خيرات الله فى ظاهر الارض وباطنها ما لم يتوافر على هذا النحو من التجمع فى أية أمة فى الارض .

هذه الموارد وهذه الامكانيات يجب أن تتوزع بينها القوى الاستثمارية فى توازن قويم ، فلا تقتصر مثلا على توظيف الاموال فى زرع الارض ورعى الاغنام ، وتترك الصناعة والتجارة والتعدين وغيرها من مصادر الانتاج المختلفة !!

ان مباشرة كل منها يدخل فى فروض الكفاية التى يأثم ولى الامر – ويأثم معه المجتمع – اذا لم يقم بين الناس من ينهض بها ، ويتوافر عليها . فاذا عمد الناس الى تركيز استثمار أموالهم فى تملك الارض الزراعية وفلاحتها دون المصادر الاخرى لتوظيف المال كالصناعة والتجارة ، كان لولى الامر ان يتدخل بالاجراءات التى تكفل توزيع القوى الاستثمارية بين هذه المصادر جميعا ، لأن ولى الامر هو المسئول عن صلاح أحوال رعيته ، ودرء المفاسد عنهم وجلب المصالح لهم .

والآيات القرآنية وأحاديث الرسول عليه الصلاة والسلام صريحة وحاسمة فى توجيه المجتمع الاسلامى فى هذا الاتجاه المتوازن .

يقول المرحوم الاستاذ الشيخ محمود شلتوت فى هذا المعنى .

« الاسلام حينما طلب تحصيل الاموال بالزراعة ، والصناعة والتجارة نظر الى ان حاجة المجتمع المادية تتوقف عليها كلها ، فانه كما يحتاج الى الزراعة فى الحصول على المواد الغذائية التى تنبتها الارض ، يحتاج الى الصناعات المختلفة فى شئونه المتعددة . فى ملابسه ومساكنه ، فى آلات الزراعة وتنظيم الطرق ، فى حفر الانهار ومد السكك الحديدية ، فى حفظ الكيان والدولة ، وما الى ذلك مما لا سبيل اليه الا بالصناعات » .

« ويحتاج ايضا الى تبادل الاعيان والمواد الغذائية والمصنوعات مع الاقاليم التى ليست فيها زراعة ولا صناعة . ولا تسعد أمة لا تسد حاجتها بنفسها ، واذن لابد من الاحتفاظ بالزراعة والتجارة والصناعة » .

« ومن هنا قرر علماء الاسلام ان كل ما لا يستغنى عنه فى قوام أمور الدنيا ، فتعلمه ووجوده من فروض الكفاية قالوا . « ومن ذلك ، أصول الصناعات كالفلاحة والحياكة والخياطة وما اليها مما هو ضرورى ، أو كالضرورى فى المعاملات ويسر الحياة ودفع الحرج عن الناس » ومعنى أنه من فروض الكفاية ، أنه اذا لم يتحقق فى الامة أثمت الامة كلها ، وأن الاثم لا يرتفع عنها الا اذا

قامت كل طائفة بنوع من هذه الانواع . وليس من ريب فى ان أساس هذه الفرضية ، هو العمل على تحقيق المبدأ الاسلامى الذى يوجبه الاسلام على أهله ، وهو مبدأ استقلال الجماعة الاسلامية فى تحقيق ما تحتاج اليه من الضروريات والحاجات ، فيما بينها ، وبيد أبنائها دون أن تمد يدها الى غيرها من الامم » .

« وبذلك لا تجد الامم الاخرى ذات الصناعات والتجارات ، سبيلا الى التدخل فى شئونها ، فتظل محتفظة بكيانها وعزتها ونظمها وتقاليدها ، وخيرات بلادها . وكثيرا ما اتخذ هذا التدخل سبيلا لاشتراك الدول الاجنبية فى ادارة البلاد وتنظيمها واستعمارها استغلالا لحاجتها فى الصناعات والتجارات » .

« ولا ريب أن هذه الطرق الثلاثة . الزراعة والتجارة والصناعة ، وهى الطرق الطبيعية لتحصيل الاموال ــ عمد الاقتصاد القومى لكل أمة تريد ان تحيا حياة استقلالية ، رشيدة عزيزة . ومن الضرورى عملا على تركيزها فى البلاد ، حتمية العمل على تنسيقها تنسيقا يحقق للامة هدفها الذى يوجبه الاسلام عليها ، والذى يجب أن تحصل عليه وتحتفظ به وتنميه ، صونا لكيانها واستقلالها فى سلطانها وادارتها . وقد أرشدنا تاريخ الاستعمار أن أهم أسبابه وأول نافذة ينبعث منها الى الامة تياره الكريه ، وريحه الثقيل ، هو نقص الاجهزة التى تحقق للامة كفايتها من هذه العمد الثلاثة » .

« واذا كان من قضايا العقل والدين ، أن ما لا يتم الواجب الا به فهو واجب ، وكانت عزة الجماعة الاسلامية ، أول ما يوجبه الاسلام على أهله ، وكانت متوقفة على هذه العمد الثلاثة ، كانت هذه العمد الثلاثة واجبة ، وكان تنسيقها على الوجه الذى يحقق خيرها واجبا » .

« ومن هنا كان على ولى الامر فى الجماعة الاسلامية ، المهيمن على مصالحها وتوجيهها أن يعمل جهده بما يحقق للامة الانتفاع بها كلها . وأن يعمل على تنسيقها بحيث لا يترك الاموال تتكدس فى تركيز عنصر واحد منها دون سواه . فلا عليه أن يحول بعضا من الاراضى الزراعية الى رؤوس أموال تجارية أو شركات صناعية على حسب حاجة البلاد المبنية على تقدير مصالحها ، ويتم بذلك تنسيقها على الوجه الذى يجعلها غنية بنفسها عن غيرها » .

« فلا يجد الاجنبى بابا للتدخل فى شئونها الا بقدر ما يحتاج اليه من طرق التبادل العام الذى يقع بين الناس بعضهم مع بعض . وهذا نوع من التنظيم فيما ينفع البلاد ، ويقيها شر تدخل الاجنبى بما يركز فيها قدمه ، ويكون سيدا عليها ومستعمرا لها » .

« وليس هذا التنسيق من باب تقييد حرية الملكية ، وانما هو توجيه تستدعيه حالة البلاد ، ويمكنها من حريتها الحقة الكاملة » .

« وهو بهذه الاعتبارات واجب على ولى الامر اذا قصر فيه أو أهمله كان آثما ، وكانت أمته معه آثمة . واذا ما قام به ووفر به مصالح البلاد واستقلالها، وعاونته الامة عليه ، كان سائرا بها فى

طريق الخير والسعادة ، وكانت معه فى مكانة الامن والاطمئنان » (١) .

التخطيط نظام الاسلام

اذن نخلص من هذا الى وجوب تحقيق التوازن بين القوى الاستثمارية فى كل مجتمع اسلامى . وهذا التوازن لا سبيل اليه الا بتخطيط شامل لمصادر الانتاج فى كل مجتمع اسلامى . والاسلام كما رأينا ينوط بالدولة هذه المهمة ، مهمة تخطيط الاقتصاد القومى ، ويكلف ولى الامر وذوى الرأى فى المجتمع أن يتشاوروا ويتناصحوا فى توجيه نشاط الامة فى اتجاه اقتصادى معين ، يرون فيه خيرا أعظم من اتجاه آخر قلت الحاجة اليه ، ونضب الخير منه . فهذا التخطيط من قبيل (اعداد العدة) الذى أمرنا به ، ومن قبيل (الامر بالمعروف) الذى ندب له خيار الامة .

وأول ما يجب أن يتجه اليه التخطيط فى المجتمعات الاسلامية المعاصرة هو التصنيع، بالعمل على توفير الاستثمارات المالية اللازمة له . ذلك لان الصناعة ــ الخفيفة والثقيلة على السواء ــ أصبحت فى عصرنا هذا ضرورة حتمية لكل مجتمع ليس فقط لمالها من نصيب كبير فى تنمية الاقتصاد القومى ، ورفع مستوى المعيشة بين المواطنين ، بل أيضا لأنها أصبحت خير سند للاستعداد الحربى الحديث . والاستعداد الحربى هو أقوى ضمان لاستقلال الاوطان الاسلامية ، وصد أى عدوان عليها .

ان الحرب الحديثة لم تعد صراعا بدنيا أو نضالا يدويا بين طائفتين بل أصبحت حربا ميكانيكية يعتمد التفوق فيها على أمرين . توافر المواد الخام اللازمة لهذه الاجهزة الآلية ، والكفاية الصناعية التى تستطيع تحويل هذه المواد الخام الى أسلحة الحرب الحديثة . وليس من المصادفات أن أقوى دولتين اليوم ــ الولايات المتحدة الامريكية والاتحاد السوفيتى ــ هما الدولتان اللتان تتمتعان بما يقارب الاكتفاء الذاتى فى المواد الخام اللازمة للانتاج الصناعى الحديث ، وما ليس لديهما منها تسيطران على مصادره ، وتتمتعان فى الوقت نفسه بالكفاية الصناعية العالية .

وبغير الكفاية الصناعية لا يكون للمواد الخام من قيمة فى قوة أية دولة الا أن تكون سلعة فى السوق تشتريها الدول الصناعية بأبخس الاثمان وتتحكم فى الدول المنتجة لها . وأمامنا المثل المعاصر . روسيا حطمتها ألمانيا فى الحرب العالمية الاولى ، عندما كانت أمة بدائية فى اقتصادها الزراعى المتخلف ، ثم عجزت عن قهرها فى الحرب العالمية الثانية بعد أن كان التخطيط قد أدى رسالته ، والتصنيع قد آتى ثماره .

ومثل آخر سابق على المثل الروسى . أمة اليابان كانت أمة هاجعة فى غياهب الزمن ففزتها السفن الحربية الامريكية ، فأذهلها هذا الصنيع، وأيقظها من سباتها

(١) منهج القرآن فى بناء المجتمع ص : ٩٣ ــ ٩٦

فأرسلت البعثات ، لا لاستيعاب فلسفة الغرب وآدابه ، بل على الاخص لدراسة العلوم الطبيعية ، واقتباس الاساليب الصناعيةالتى بهرتها ثم دأبت علىتصنيع بلادها ، وتوجيه استثمارها المالى الى هذا الميدان حتى بلغت تلك المكانة الرفيعة فى الصناعة الحديثة ، وحتى غزت سلعها ، أسواق الارض ، واكتسحت فى طريقها مصنوعات أوروبا وأمريكا ، وحتى بلغت من القوة الحربية ما مكنها من أن تطاول أمريكا وروسيا وبريطانيا مجتمعة ، حتى قهرتها القنبلة الذرية ، ولكن الاجماع الآن عند ساسة الغرب أنها بفضل ما كسبته من كفاية صناعية ستعود سيرتها الاولى .

ونحن شعوب العالم الاسلامى قد وهبنا الخالق فى أراضينا من الموارد الطبيعية والمواد الخام ما ميزنا به على أمم كثيرة ، ولكننا عكفنا فى القرون الاخيرة ــ فى جمود بليد ــ على استثمار جزئى للظاهر منها على سطح الارض ، وقصرت همتنا عن استغلال ما فى باطنها من معادن مخبوءة ومن قوى كامنة ، وعن استثمار هذه الموارد وهذه القوى فى مجالات التصنيع الحديث .

يتضح مما تقدم أن اضطلاع كل مجتمع اسلامى بهذا التكليف الثالث فيما يقضى به من توجيه استثمار المال الى جميع المسالك التى تقتضيها ضروريات المجتمع ، واجبحتمى تفرضه ضرورة البقاء فى هذا العصر ازاء القوى العدوانية التى تحدق بالعالم الاسلامى من كل جانب .

والتصنيع أهم هذه المسالك ، والصناعة عمل صالح ينعكس نفعه على المجتمع برمته ، والاسلام يعتبر كل عمل صالح عبادة وقربى الى الله ، والله يحب المؤمن المحترف ، ويحب العبد اذا عمل عملا ان يتقنه .

والكفاية الصناعية تفتح مغاليق الرزق ، وتحارب الفقر ، والفقر ألد عدو يكافحه الاسلام ، ويعمل دائما على ابراء المجتمع من آثامه .

والكفاية الصناعية تغنينا عن أن نكون عالة على خصومنا فى استيراد أو استجداء ما نفتقر اليه من سلع مصنوعة ، وتعصمنا من أذى موالاتهم فى الحق وفى الباطل ، وتعصمنا من اضطرار البعض الى اتخاذهم أولياء .

وأخيرا الكفاية الصناعية أصبحت أشد وجوبا على كل مسلم فى عصرنا هذا، بعد ان اصبحت ضرورية للاستعداد الحربى ، فدخلت بذلك فى نطاق التكليف الموجه الى الكافة . ((واعدوا لهم ما استطعتم من قوة)) .

ولا أرى علاجا عمليا للنقص الذى تعانيه الشعوب الاسلامية فى الكفاية الصناعية الا أن تتكاتف وتتعاون جميعا ــ بمواردها الفنية والمالية والطبيعية المتباينة ــ على وضع برنامج شامل للتصنيع ، يخططون مراحله ويتعاونون فى اعداد وسائله ، واقتباس أساليبه من مراكز الصناعة العالمية فى كل مكان يتيح لنا هذا الاقتباس بغير تقيد بشرق أو غرب .

وبعد فهذا تفصيل التكليف الاول من التكاليف المفروضة على ملكية المال واستثماره وفى المقال القادم نعالج سائر التكاليف .. وأولها الزكاة .

وَجدتُها وَجدتُها

حجة الشريعة على العقل

في حديث عابر مع أحد الاصدقاء من الشباب المؤمن الواعي ، وهو شاب طلعة يحب أن يزداد علما كل يوم ، وأن يتفهم وأن يسأل عما لا يعلم ، وأن يعلم عن دليل ، وأن يناقش ليفهم ، ونحن زمرة من الاصدقاء في بيته منذ ثلاث ليالي نودعه ليلة سفره الى الحج ، ولم يترك السؤال والبحث والنقاش في شئون من الشريعة وأحكامها – استطرد الى الحديث عن صاحب له زميل في الوظيفة من رواد الحقيقة المتطلعين الى المعرفة ، مولع بالجدل صعب الانقياد ، فيه شيء من العناد ، ولكنه ليس من الذين يحبون الجدل للجدل ، بل يريد أن يعرف الحقيقة وأن يقع عليها .

في غمرة تلك الأحاديث ونحن مع صديقنا في وداع الحجة الى موطن حجة الوداع ، عندما وصل به الحديث الى صاحبه هذا الزميل في الوظيفة ، ووصفه بما ذكرنا قال لنا . انه على جدله الذي يجاوز به أحيانا حدود الاعتدال قد سمعت منه بالأمس جملة عبر بها عن ملاحظة من ملاحظاته ملكت على اعجابي كله ، وحضرت في ذهني فنزلت منه في مستقر ومستودع وأصبحت عندي احدى ذخائر الفكر التي اختزنها .

قلنا فما هي تلك الجملة الحكيمة التي نزلت من اعجابك هذه المنزلة الرفيعة ، أشركنا معك فيها يا رعاك الله، وهذا ثمنها نقدمه اليك سلفا . دعوات صالحات نرفعها الى رب البيت المعمور الذي أنت اليه قاصد ، أن يكتبك في المقبولين الأبرار ، ويجعل حجك مثمرا

للأستاذ مصطفى أحمد الزرقا
خبير موسوعة الفقه الاسلامي بوزارة الأوقاف
والشئون الاسلامية

لديه ، وفى نفسـك ثمرته التي شرع لأجلها ، ويجعل متعتك الروحية فيه أعظم مما تؤمل .

تهللت أسارير صديقنا لهذه الدعوات، وانبرى يتابع حديثه ويروى لنا تلك الجملة التي سمعها من صاحبه الجدل .

فقال :

قال لي صاحبى هذا الذى حدثتكم عنه . ان من أعجبما هو جدير بالملاحظة والاعتبار من غرائب الواقع فى حياة الانسان أن كل جزء فى جسمه من الأجزاء التي لا تفهم ولا تعقل ، يعمل بانتظام واتقان **دون خطأ** . فالمعدة مثلا لا تخطىء فى عملها وافرازها وسائر نواحى وظائفها ، ومثل ذلك الأمعاء ، والكبد ، والغدد المختلفة ، والكلى ، والعروق ، والأعصاب بمختلف شعبها ومناطق نفوذها ، الى غير ذلك من آلاف أو ملايين الأجهزة وأجزائها وجزيئاتها فى اداء وظائفها الحيوية التي تقوم بها حياة الانسان ، والتي تحير عقول علماء الطب والتشريح وعلم الفريزة (الفيزيولوجيا) ، وان كان كثير من هذه الأجهزة والأجزاء قد يعجز ، وقد يصاب بآفة مرضية فيختل عمله أو يقصر فيه . فهذا ليس بخطأ فى عمله ، فالمهم أنه لا يخطىء أبدا ، وأن كان قد يعجز أو يمرض أو يصاب بآفة .

أما العقل وهو الجانب المدرك ، أو مجموع القوى المدركة فى الانسان، والتي يمتاز بها عن سائر الحيوان ، ويمثل الفكر والذكاء وقدرة الابتكار التي لا حدود لها، والتدبير والتخطيط للمقاصد المستقبلة ، والحيلة البارعة للتغلب على جميع العقبات والصعوبات التي تواجهها حياة الانسان ، الى غير ذلك من المواهب التي تضافرت على تزويد الانسان بالعلم فى كل مجال وميدان بكل ما فى كلمة العلم من معنى وما تشمله من آفاق وأعماق ، هذا العقل الذى هو الجانب المدرك الواعى ، أو هو أداة الفهم والتعقل والبصيرة لا يعمل دون خطأ ، وخطؤه أكثر من صوابه !! أليس ذلك مثار عجب ، ومدار اعتبار ؟ .

قال صديقى الذى كنا فى زيارته . فأنا لا أزال أتدبر هذه الجملة من صاحبى هذا ، فقد نزلت فى قرارة نفسي ، وأصبحت لدى فى جملة الملاحظات الهامة التي اكتسبتها فى حياتي .

قلت له . حقا انها ملاحظة قيمة ، وقد وجدت بها أنا أيضا ضالتي المنشودة ، كما وجد الحكيم اليوناني أرخميدس ضالته عندما لحظ ، وهو فى حوض الحمام أن وزن الأجسام وهى فى الماء ينقص عن وزنها وهى خارجه ، فصاح وجدتها وجدتها Eureka Eureka واستنبط القانون الطبيعي فى نسبة نقصان الوزن فى هذه الحال ، ذلك القانون الذى استخدم بعد ذلك فى مجالات علمية وصناعية ذات شأن كبير .

ذلك انني تعهدت لمجلة الوعى الاسلامي بكتابة كلمة للعدد الممتاز منها ، وقد قرب موعد تسليم الكلمة ، وأنا لا أزال محتارا فى اختيار موضوع مناسب

جديد . فقد وجدته الآن ملاحظة صاحبك جزاه الله تعالى خيرا .

قال صديقي : فما هو الموضوع الصالح الذى وجدته فى ملاحظة صاحبي هذه ؟ قلت انه حجة الشريعة على العقل ، هذا الموضوع الخطير فى ميزان الايمان ، حيث يقوم به الدليل على أن العقل مهما سما شأنه ، وعظمت قدرته على المعرفة والاكتشاف والفهم ، فان صاحبه الانسان هو فى حاجة دائمة مع عقله هذا الى النور السماوى الذى يهدى الى الصواب وينير له سبيل الرشاد ، ويجنبه كثيرا من الوقوع فى المآزق ، والتردى فى الهاويات . أفتدرى أيها الأخ لماذا كان كل جزء غير ذى فهم فى الانسان يعمل بانتظام دون خطأ ، وكان العقل الذى هو أداة الفهم والادراك يخطىء أكثر مما يصيب ؟ قال : لماذا كان ذلك ؟ قلت : اليك التعليل والبيان .

ان كل جهاز من أجهزة جسم الانسان أو جسم أى حيوان ، وكل جزء أو غدة أو خلية حية من خلاياه انما يعمل بحكم الغريزة ، وانما يعمل عملا نمطيا رتيبا فى وقت ثابت أو عند منبه معين ، وانما يعمل عمله هذا فى طريق معبدة ووسيلة وظرف مهيأين ، ففى هذه الشرائط يقوم الجزء الحى بعمله النمطى بحكم الغريزة فيصبح عمله ووظيفته أشبه بانحدار الماء الذى صب فى طريق محصورة منحدرة . فالماء فى هذه الحال لا يخطىء فى الانحدار ، ولا فى سلوك المجرى الذى يراد انحداره فيه حتى يصل الى مقره بحكم الجاذبية الأرضية فيحجز فيه ويستقر .

فالمعدة اذا نزلها الطعام قامت بعملها فيه بانتظام من الحركة والافراز ، وكذلك اذا رأت عين الجائع طعاما شهيا أو شم رائحته ، أو ذكر اسمه له كان ذلك منبها عصبيا يشبه نزول الطعام الى المعدة ، فتبدأ أيضا بالافراز اللازم . وهذا منها عمل نمطى رتيب فى ظروف وشرائط متماثلة ، فكلما توافرت وتكررت هذه الشرائط والظروف نبهت المعدة فعاودت عملها نفسه ، وكررت قيامها بوظيفتها ذاتها بصورة لا تختلف عما عملته فى مرة سابقة وعما ستعمله فى مرة لاحقة . وهذا ما نعنيه بنمطية العمل .

ومثل ذلك يقال فى الكلية أو الكبد أو العين الخ ... بل فى الكريات الحمراء أو البيضاء ، وكل خلية من خلايا الجسم الحى ، مما هو معروف فى علم الغريزة (الفيزيولوجيا) .

واذا رأيت فارقا فى التمثيل لهذا النوع من العمل الوظيفي الغريزي النمطى بين عمل أجزاء الجسم الحى وانحدار الماء فى المجرى المحصور المنحدر من حيث أن الماء مادة غير حية ، فينحدر كما يسقط الحجر بحكم قانون الجاذبية فى اتجاه معين نحو مركز الأرض اذا قطع الخيط الذى يحمله فى حين أن الجزء العامل فى الجسم الحى هو جزء حى يعمل عن احساس وتنبه هو مظنة الخطأ ، ولكنه لا يخطىء فانى عندئذ أنقلك الى مثال آخر أقرب الى مطلوبك وأوضح . مثال العامل الواقف أمام آلة واحدة فى معمل كبير عظيم فيه آلات كثيرة لكل واحدة منها وظيفة ، وأمامها عامل يقدم لها المادة أو القطعة التي تعمل فيها . فلا أشبه لك الجزء الحى العامل فى الجسم بالآلة التي تعمل فى هذا المعمل ، بل أشبهه لك بالعامل الواقف أمامها ، ووظيفته كلما وصلت اليه القطعة محمولة على حاملة آلية أن يتناولها ويقدمها الى الآلة التي أمامه لتعمل فيها عملها وتدفعها الى حاملة آلية أخرى بجانبها فتحملها الى عامل آخر ، وهكذا ...... ولا بد أن تكون قد رأيت طريقة صناعة الأجزاء فى المعامل فهذا الشخص العامل الواقف أمام الآلة ليتلقى القطعة القادمة اليه ،

ويقدمها الى الآلة التي أمامه هو انسان حي كامل مفكر فاهم واع ، ولكنه في عمله هذا النمطي الرتيب بتقديم القطعة الى الآلة كلما وصلت اليه قد أصبح أشبه بالآلة يقوم بهذا العمل الواحد بصورة تلقائية عفوية تعتمد على الاحساس الغريزي دون اعمال الفكر وتجميع المعلومات واستنباط النتائج منها . وهو في عمله هذا لا يخطيء أو قلما يخطيء كما لا يخطيء العضو أو الجزء من الأجهزة العاملة في جسم الانسان الحي .

وكلما خرجت المهمة في العمل عن النطاق الضيق المحصور والنمطية الرتيبة ، فاتسع النطاق ، وتنوعت الوظيفة ، وأصبحت عرضة لمواجهات جديدة ومفاجآت فانها عندئذ تحتاج الى تفكير وتدبير ومعالجات مختلفة باختلاف نوعية الطوارىء وما يصحبها من ملابسات معقدة، فتجعل المهمة معقدة وتستوجب من الفكر عملا يعتمد على التشخيص والتمحيص والتحليل والتركيب ، فان الخطأ عندئذ يتسع مجاله فيقوى احتماله ، ويكثر وقوعه .

ولنأخذ مثالا على ذلك عمل الطبيب الذي عليه تشخيص الداء ووصف الدواء النوعي له ، فانه كثيرا ما يواجه في المرضى بمرض واحد لدى كل مريض حالة جديدة تحتاج الى ترتيب مختلف ، فانه ان لم يختلف عليه المرض فقد اختلف المريض ، وما يحمله مع المرض الرئيسي من ملابسات ومضاعفات وحساسية المريض واختلاف درجة المرض وحدته أو أزمانه ، مما يستدعي ترتيبا وتدبيرا خاصا بهذا المريض دون آخر ، فان العلاج النوعي الواحد قد يفيد مريضا ولكنه يؤذي مريضا آخر بالمرض نفسه . ومن ثم يكثر خطأ الطبيب ، لأنه يجب أن يكشف حالة غامضة مبهمة ، وأن يعرف الطريق الصحيح الموصل في وسط متاهة مظلمة . وهذا بخلاف الصيدلي ، فانه قلما يخطيء في تقديم العلاج أو تركيبه وفقا لوصفة الطبيب .

بعد هذا أيها الأخ أصل بك الى الناحية المقصودة كثرة خطأ العقل ، وسببها وعلاجها .

نعم ان العقل كما لاحظ صاحبك وقال هو ذلك الجزء المدرك في تكوين الانسان ، هو الجانب المختص بالفهم والفكر ومعرفة الحقائق والوعي في السلوك ، هو ذلك المصباح الكهربائي العظيم القوة البعيد المدى في الانارة ، ينير للانسان ما حوله فيستطيع بذلك أن يبصر وأن يتبصر ، ولكن مهمة العقل ليست نمطية رتيبة كعمل جزء من جهاز في جسم الانسان أو خلية من خلاياه . ان مهمة العقل متنوعة معقدة ، بل هي أكثر ما في الحياة تنوعا وأشدها تعقدا . انها أصعب بملايين المرات من مهمة الطبيب الصعبة في تشخيص الأمراض الباطنة ومعالجتها في كل مريض .

ان العقل لكي لا يخطيء يجب أن يستطيع معرفة كل ما يحيط به من الأشياء المادية والاعتبارات المعنوية في كل ما هو حاضر أو غائب ، قريب منه أو بعيد عنه وأن يعرف الملابسات التي تتصل بكل شيء من ذلك ، ويبقى بعد كل هذه المعرفة لو استطاعها عرضة للخطأ بما يطرأ من تحولات ومفاجآت على الأوضاع والحالات في الظروف والأشياء التي تغير منها ما كان يعهده ويبني عليه . وأنى للعقل الانساني كل هذه المعارف ، وهو انما يعيش في متاهات ، في وسط مجاهل من هذا الكون العظيم الرهيب وموجوداته ونواميسه . ومهما ملك الانسان وعقله الجبار من معارف وبصائر ، فانه لن يبلغ علمه وبصيرته أكثر مما يصل اليه نظر واقف على ساحل البحر المحيط الهادي مثلا بالنسبة الى ما وراء الحدود التي يقف عندها امتداد بصره ، وما في أعماق ذلك المحيط ، وغيره من البحار

الكبرى ، وما فى أجواز الفضاء وأغوار الكون كله ، مما يقف عقل الانسان تجاهه وتجاه ما يسمع عن بعضه فى موقف حقارة وصغار ، كحقارة الترابة الواحدة بالنسبة الى الكرة الأرضية كلها ، ولا سيما اذا تصورنا مدى ما يعنيه قول العلماء اليوم . ان بين الكرة الأرضية وبعض النجوم التيتراها أعيننا مسافة مائة سنة ضوئية أو أكثر (وأنت تعلم معنى السنة الضوئية فى تقدير مسافات الفضاء الكونى) (١) .

فما مبلغ علم الانسان وقدرة عقله بالنسبة الى ما فى الحياة البشرية ونواميس الكون من حقائق وخفايا وملابسات وتعقيدات ، بالنسبة الى الفرد والى الجماعة والى الحاضر والمستقبل اذا أراد أن يعرف كيف يبنى حياته وسلوكه فى طريق قويمة حكيمة رشيدة بين أمواج هذا الخضم العظيم الهائل ؟ .

صدق الله العظيم بقوله فى قرآنه الكريم (وما أوتيتم من العلم الا قليلا) .

فعقل الانسان فى هذه المتاهة الهائلة والمجاهل المذهلة أشبه ما يكون بالطفل الصغير الذى كان يحبو فقويت رجلاه بعض الشيء فنهض يمشى وفرح بما وصل اليه من قدرة ، وهو لا يعرف شيئا عما يعرض له من مزالق ونواتىء يتعثر بها ، ولا يعرف ضعف ساقيه وعدم مرونته ، فهو تارة تخونه قدرته فيهوى على شيء يؤذيه ، وتارة يصطدم فيشج ويقع ، وتارة يتعثر بذيله ، انه يقع ويقوم ويصل الى الجدار مرة ويسقط دونه أخرى ، وهكذا . ولكن الفرق بين عقل الانسان وبين الطفل الذى بدأ يتعلم المشى هو أن الطفل سوف يتغلب على صعوبة المشى ، بما يزداد من قوة ومن خبرة ومن مرونة ، فيستطيع بعد مدة أن يمشي فلا يقع وأن يركض ويقفز . أما عقل الانسان فيبقى ما بقيت الحياة طفلا يترعرع فى بداية تعلم المشى ، يقع ويقوم ويتعثر وينزلق فى مجالات سلوكه فى مسالك الحياة ، مهما بلغ من علم ومعرفة ، ومهما انكشف له من آفاق ، لأن مدى علمه لا يعد شيئا يذكر بالنسبة الى مدى جهله بما وراءه وأمامه من أمور مغلقة ومخاطر محجبة .

ذلك أن وظيفة العقل البشرى هى أعظم شيء تنوعا وتعقدا . فهى ليست مهمة بسيطة نمطيةفيمجال محدود ممهد معبد يستطيع أداءها غريزيا بصورة آلية ، أن وظيفته كوظيفة الطبيب المكلف بتشخيص داء باطن مستخف فى الجسم بين مئات العلل التي لها أعراض مشابهة وعليه وصف الدواء الصحيح . وهذا تشبيه تصغير وتقريب . فمهمة العقل البشرى فى الواقع أعظم تعقيدا من مهمة هذا الطبيب بما لا يمكن معه قياس . ان مهمته هى اختيار السلوك الصحيح المستقيم الموصل الى أحسن النتائج فى حياة الأفراد والجماعات ، والمتنكب للمزالق المتوقى من العثرات والهاويات المغطاة بالأعشاب الفشاشة كمزارع الألغام فى أرض العدو . بل ان التشبيه الادق الاقربلمهمةالعقلالبشري،وموقفه بين مصاعبها التي لا تغلب ، هو أنه كشخص ملقى فى مفازات ومتاهات غير متناهية الأبعاد ، وهى مليئة بالحيوانات المفترسة ، والحشرات القتالة ، والمزالق المردية ، وتغمره فيها ظلمة حالكة دائمة لا تنجلى ، ومعه مصباح يضيء له ما حوله الى مسافة أمتار محدودة ، وعليه

(١) سرعة الشعاع الضوئي يقدرها علماءالفيزياء بأكثر من ثلثمائة ألف كيلو متر فى الثانية الواحدة . ومسافة السنة الضوئية هي المسافةالتي يحتاج الشعاع الضوئي أن يستمر سائرا بهذه السرعة مدة سنة كاملة حتى يقطعها !!! المجلة .

أن يسلك طريقا آمنة الى رزقه وقوام حياته ، يصل فيها الى مطلوبه ويتوقى المخاطر المهلكة .

ذلك لأن مدى العلم الذى يمكن أن يبلغه الانسان بعقله بالنسبة الى ما فى هذا الكون الشاسع الزاخر بالعجائب والمتاهات والمجاهل هو أقل كثيرا كثيرا من مدى نور هذا المصباح فى هذه المفازات المظلمة . هذا اذا اقتصرنا فى التصوير والتشبيه على مدى كل من أفق العلم وآفاق الجهل بما فى الكون من حقائق وواقع ، وأسقطنا من الحساب ما يحول بين العقل والتقدير الصحيح وحسن الاختيار من شهوات الانسان وعوامله النفسية والمغريات التي تجذبه وتطغى على علمه وعقله ، والمطامع المتسلطة على العقول والنفوس البشرية ، وحب الأثرة والحظوظ ، مما يدعو الانسان الى ايثار اللذائذ على الواجبات المتعبة ، وما ينشأ عن كل ذلك من تغشية على الأبصار والبصائر ، ودفع للأفراد والجماعات الى أرض الألغام المكسوة بالأعشاب الغشاشة بدلا من طريق الأمان .

ففى هذا الواقع من طريق الانسان ووعورتها وظلمتها ومن مهمة عقله ذلك المصباح المنير المحدود المدى ، كان لا بد لهذا الانسان من قائد ودليل بصير خبير الى جانب المصباح الذى بيده ، والا كان أمام مفاجآت حتمية من المخاطر وضلال الطريق ، ان هذا القائد هو الشريعة الالهية (والشريعة فى أصل اللغة هى الطريق) ، وان الدليل هو أحكامها وتوجيهاتها وأوامرها ونواهيها . انها ترسم له طريق الهدى البعيد المدى الذى يجهله ولا يعلم منه الا القليل ، بمقدار ما يمتد اليه نور مصباحه القاصر من أمتار يرسم له هذه الطريق الأقوم الأسلم ، خالق الكون العالم بخوافيه وبكل ما فيه من مسالك ومهالك ، والخبير بما ركبه هو فى الانسان من طبائع وغرائز ودوافع خير ونوازع شر ، وما حف طريقه من مخاوف ومخاطر . فخالق الكون أعلم بما فيه ، جعل للانسان شريعته تعبيدا لطريق العقل . نعم ان الانسان لا يستغني عن هذا المصباح مع الشريعة . ولكنه لا ينبغي له أن يغتر بمسافة النور القصيرة التي يبلغها ضوء هذا المصباح ، فيظن فى نفسه القدرة على الاستقلال عن الشريعة والانفصال عن الطريق الذي خططه له خالقه ومهده كي يجنبه المفاجآت الخطرة والمهالك . بل عليه أن يتلمس بمصباحه المتواضع معالم هذه الطريق فى حدود الشريعة الالهية ، لأن خالقه أدرى بما يصلحه وبما يفسده ، لأنه أدرى بما يحيط به من مجاهل لا يستطيع هو معرفة ما فيها من آفات . فما حسنته له الشريعة بنصوصها الثابتة فهو حسن ، ولو لم يستطع عقله ادراك حسنه ، وما قبحته له فهو قبيح خطر وخيم العواقب على الفرد أو على الجماعة عاجلا أو آجلا .

هذه حجة الشريعة على العقل تقوم على أساس هذا الواقع لمن كان له قلب أو ألقى السمع وهو شهيد . فليس للانسان المؤمن أن يناقش الشريعة بعقله القاصر مناقشة الند للند ، فيقول : ما قبله عقلي قبلته ، وما لم يقبله رفضته !! فما هو عقله ؟ وما مدى الثقة به ؟ ! .

انما عليه أن يتفحص بعقله أوامر الشريعة ونصوصها ، ويناقشها مناقشة المتفهم المطيع المستسلم الذى يريد أن يعرف ماذا يريد الشارع ليعرف كيف يطيع ، هذا هو شأن العالم البصير وما سواه فشأن الجاهل المغرور .

نعم ان هذه الحجة تقنع المؤمن . أما الملحد المادى الذى لا يؤمن بالخالق ورسالاته الهادية بل يجحد الحقائق ويكابر فى المحسوس مغرورا بعقله القاصر ، فذلك لا ينفع معه الاحتجاج ، بل يجب التأسيس معه أولا ، والبدء بمناقشته من مبدأ آخر .

الهجرة بين التفسير

١ – لماذا هاجروا ؟

يستقبل المسلمون هذه الايام غرة عام هجرى جديد ، هو العام السابع والثمانون بعد الثلاثمائة والألف من هجرة رسول الله صلى الله عليه وسلم هو وأصحابه من مكة الى المدينة .... ويحتفل المسلمون فى مطلع كل عام بذكرى تلك الهجرة ، فيذكرون ما يذكرون من آثارها ، ويفيضون فى تفصيل حوادثها ، كأنك ترى أصحابها ، وتنتقل معهم من مكة ، حيث الجو المخنوق الموبوء ، الى مدينة الانصار ، حيث ترى من سماحة الاستقبال ، وفرحة اللقاء ، وكرم الايثار ما لم يسجل التاريخ مثله لجيل من الاجيال ، أو لامة من الامم .

وتسأل نفسك . لماذا هاجر هؤلاء المهاجرون هجرتهم تلك العجيبة الرائعة ؟ .. هل كانت الشقة يسيرة فأغراهم قرب المسافة برحلة لا يمسهم فيها نصب ، ولا يمسهم فيها لغوب ؟

لم تكن تلك الرحلة يومئذ بالامر الهين فى عصر كانت الاسفار فيه تقاس بالايام والليالى .. وكان المسافر من مكة الى المدينة يستغرق فى سفره عشرة أيام وعشر ليال ، وهى مدة اذا مثلت لخيال البدوى من أهل تلك الحقبة ، وثب له معها بعد الشقة ووعورة الطريق، ووحشة الغربة السحيقة النائية .

وتسأل سؤالا ، أو أسئلة أخرى .

هل كانوا من ذلك الطراز الذى يهون لديهم مفارقة الاوطان ، وما فيها من أهل وأصدقاء وذكريات عزيزة حبيبة ؟

ويجيبك واقع هؤلاء أنهم هاجروا من بلدتهم العزيزة الحبيبة ، وهى أحب أرض الله اليهم ، وقلوبهم تتلفت اليها ، ولما استقروا بدار هجرتهم الكريمة لم تستقر مشاعرهم ، فكان الحنين لا يفتأ ينازعهم اليها . الى ربوعها ، وبطاحها ، وهضابها

« والذين تبوأوا الدار والايمان من قبلهم يحبون من هاجر اليهم ولا يجدون فى صدورهم حاجة مما أوتوا ويؤثرون على أنفسهم ولو كان بهم خصاصة ومن يوق شح نفسه فأولئك هم المفلحون » .

سورة الحشر

المادي والروحي

للاستاذ البهى الخولى

وشجرها ونبتها ، وكان بلال رضى الله عنه كثيرا ما يرفع عقيرته متنهدا أسيفا بقـولـه .

ألا ليت شعرى هل أبيتن ليلة
بوج (١) ، وحولى أذخر (٢) وجليل (٣)
وهل أردن يوما مياه مجنة (٤)
وهل يبدون لى شامة (٥) وطفيل (٦)

فليست الشقة ــ اذا ــ يسيرة ، وليس القوم ممن يهون لديهم مفارقة الاهل والوطن .. فماذا نزع بهم الى تلك الهجرة النائية الشاقة على النفس والبدن ؟

هل كانت لهم هناك مغانم منظورة أو كنوز مذخورة ، أو أموال موعودة ، أو أرض طيبة مأنوسة بما شاءوا من الدور والاهل والاصدقاء ؟ ... ويجيبك التاريخ على سبيل اليقين . انه لم يكن لهم بدار هجرتهم أى عرض منظور أو مذخور ، ولا أى غرض مما يثير الناس ، ويبعث هممهم اليه فى كل أفق .

واذا لم يكن هذا ولا ذاك ، فهل كانوا يقيمون بمكة على هوان وضيم ، أو على عيش جاف خشن ، فحملهم ذلك على أن يفتجعوا على عادة البدو ــ منازل ذات رفاهة وسعة ؟ ... وهذا السؤال أبعد الاحتمالات عن أن يكون سببا لتلك الرحلة الفذة المعنة فى الغرابة والاغتراب ، فقد كان المهاجرون أغلبهم من ذؤابة قريش شرفا ومنعة ، ورفعة بيت ، ورخاء حال ، وكل قارىء للسيرة وتاريخ العرب يعرف شرف البيت الذى ينتمى اليه محمد صلى الله عليه وسلم ، والبيوت التى ينتمى اليها أمثال أبى بكر ، وعمر ، وعثمان ، وغيرهم ... ولم يكونوا على عيش خشن جاف ، فكان بواديهم بيت مبارك تهوى اليه أفئدة من الناس ، وتجبى اليه ثمرات كل

---

(١) وج . واد بالطائف لا يبعد كثيرا عن مكة

(٢ ، ٣) الادخر والجليل . نوعان من النبات .

(٤) مجنة . موضع باسفل مكة على أميال

(٥ ، ٦) شامة وطفيل . جبلان بمكة ...

شـىء .. وكانت لهم رحلتـا الشتاء والصيف ، فآمنهم الله بذلك كله مـن خوف ، وأطعمهم من جوع .. ولم يكن المهاجرون أقل أهل هذا الوادى مالا ، بل كانوا من أوسطهم حالا ، وأيسرهم غنى وسعة ، وتذكر كتب السيرة أن أبا بكر رضى الله عنه ــ أخذ معه يوم هاجر خمسة آلاف ، هى بقية عشرات ألوف كان يملكها فأنفقها كلها على الدعوة ، ولا سيما فى شـراء العبيد الذين كـان سادتهم يعذبونهم على ايمانهم .

٢ ــ بين المادة والروح ..

هذه أسئلة أوردناها وأجبنا عليها من واقع التاريخ ، ولا يستطيع أشد الناس جدلا أو مكابرة أن يزعم أن الهجرة تمت تحت اغراء أو ضغط أى ظرف مـن الظـروف التى جعلناهـا موضـوعـا لأسئلتنا .

وبيننا الآن فلسفة تفسر أحـداث التاريخ على ضـوء العوامـل المادية أو الاقتصادية وحدها ، فكل أحداث التاريخ وتطورات البشر ونظم الحضـارة التي تنقل فيها الناس الى اليوم ، انما صنعتها ــ فى رأيهم ــ عوامل اقتصادية حسية ، وكان الانسـان فيها مستجيبا أو متأثرا بأملاء الاقتصاد ، ونداء حاجاته ، وتوجيه ضروراته .. وهى فلسفة مستفيضـة ينتهون منها الى مقررات معينة ، منها : الايمان بالمادة المحسة وحدها ، وفعل العوامل الاقتصادية فى تطوير الانسان ومنحه ما يكون له من مقومات الضمير من الآداب والمثل ونحوها ... مع انكار ما عدا ذلك مـن العوامل الروحيـة وآثارها ، وادعاء أنها خرافة .

ونحن نسلم بأثر المادة وفعل العوامل الاقتصادية فى حياة الانسان ، وليس من كرامة العقل أن نجادل فى واقع يلابسنا ونلابســه ، ونلمس آثاره فى أنفسنـا ومجتمعنا .. ولكنا مع ذلك نسأل باسم كرامة العقـل أيضا . هـل العوامـل الاقتصادية وحدها هى التى تصنـع للانسان تاريخـه ، وترسم له طـريق تطوره ، وتملى على أفراده وجماعاته ما يجب أن يكون ؟

ان حادث الهجرة يتولى الاجابة عـن ذلك ، فقد سقناه وحاولنا أن نجد لـه تفسيرا على ضوء أوضاع المادة وعوامل الاقتصاد ، فلم نجد فيما عرفنا من كتب السيرة ومراجع التاريخ سببا واحـدا يرده الى منطق هذا المذهب ومقرراته .

ومن المسلم به أن الهجرة من حوادث التاريخ التى لا حيلة فى انكـارها ، أو التشكيك فى حدوثها ، فليس لها مـن تعليل ــ اذاً ــ سوى عوامل أخرى غير حسية ، هى العوامل التـى اقترنت بظروف الهجرة وملابساتها بدءا وختاما ، وكانت هى الباعث وهى الغايـة ... ولسنا نجد شيئا اقترن بتلك الظروف ولابسها سـوى المبادىء التي جاء بها محمد صلى الله عليه وسلم ، وآمن بها هؤلاء فغيـرت ما بأنفسهـم وعقولهـم وقلوبهم ، ونقلتهم من حال الى حال .

كان التفكير الحسى يطغى على وجود أهـل البيئة كلـه ، فأفسـد عقولهـم وأذواقهم ، وعطل ما لهم مـن مواهب وملكات روحية ... كان هذا التفكير هو الذى يتولى لهم تصوير الحقائـق الروحية ، والكائنات الغيبية ، فالملائكة اناث .. والآلهة حجارة .. ولله شريك أو شركاء ... وتعدد المعبودات هـو الامر الذى لا تسيـغ العقـول سـواه « أجعل الآلهة الها واحدا ؟ ... ان هذا لشئ عجاب .. » ... واذ تعطل فى الناس وعيهم الروحى ، فقد أسرع ذلك التفكير الحسى الجاهل ، فملأ فى النفوس فراغها الروحى ، حتى سادت الخرافات والاوهام ، واتخذت فيهم مكان التقاليد والعقائد .

فللجن أثر فى حياة الانسان يجب أن يحسب حسابه .. وللطير اذا أيمنت أو أشملت علاقة بما سيكون من أحداث تسر أو تسوء .. وللأزلام اذا استقسموا بها حكمها الذى تعنو العقول لفصله ، وتتقرر مصائر الارواح والاموال بأمره ونهيه .. وللكهان والعرافين حكومتهم التي تشد اليها الرحال ، فينتهى بها الاشكال ، وينزل المتخاصمون على حكمها .. ولا شيء وراء ذلك الكون الحسى ، وليس للانسان من حياة أخرى يحياها فى عالم غيبى على نمط تسمو فيه أذواق الروح على أذواق البدن وأحكام المادة . (ان هى الا حياتنا الدنيا نموت ونحيا وما نحن بمبعوثين) « وقال الذين كفروا هل ندلكم على رجل ينبئكم اذا مزقتم كل ممزق انكم لفى خلق جديد .. » ... واذ كان الموت هو الخاتمة التى تنهى حياة كل منهم الى غير رجعة — على زعمهم — فقد أقبلوا على شهوات الحس يبادرونها بما ملكت أيديهم ، وكانت المادة هى وسيلتهم الى ذلك ، أو هدفهم الوحيد اليه .

جاء الاسلام وتلك حالهم من مادية الفكر ، والعقيدة ، والذوق ، والاهداف فعالج ذلك كله ، وأزال عن العقل والقلب ما يغشيهما منه ، وبدل الناس وجودا بوجود .

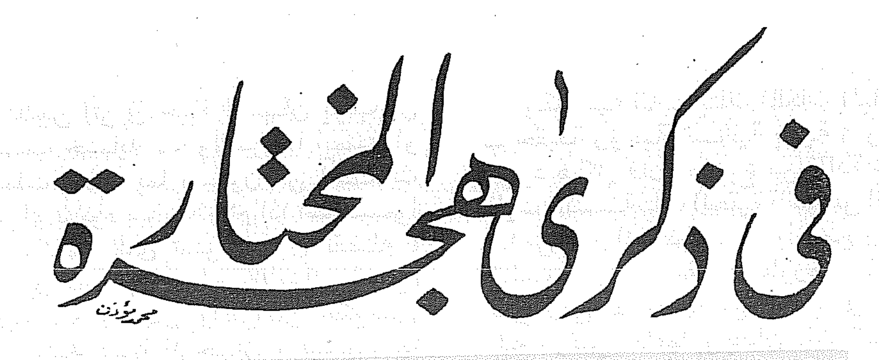
حرر العقل وجعله عماد الاستدلال فيما يؤيد العقيدة ، وجعل له الهيمنة على الحياة كلها ، وتنقيتها من شوائب الوهم والخرافة ... وأيقظ كرامة الانسان اذ لفته الى ما له من ملكات باطنة هى معقد انسانيته ، وأنه لم يوهب تلك المواهب عبثا أو جزافا ، انما وهبها على قدر ليؤدى بها لنفسه وللحياة رسالة فى عمل الخير ، وتحقيق الحق ، واقامة سلطان الله فى الارض ، وبأنه مسئول عن رعاية تلك الملكات واقامة منطقها فيما يأخذ أو يدع « **ان السمع والبصر والفؤاد كل أولئك كان عنه مسئولا** » .

ولقد نبهه أنه — بتلك الملكات الباطنية — حقيقة روحية انسانية باقية ، وليس مجرد هيكل فان مصنوع من المادة ، وأن الموت بالنسبة لتلك الحقيقة انما هو انتقال بها من طور الى طور ... وأن من رسالة الانسان أن يعد نفسه لطورها المقبل ، فمن رعى لها حظها من التفكير فى آيات الله ، وغمر آفاقها بوجدان ذلك التفكر ، وزكى ذلك وأيده بالعمل الصالح ، فقد أعدها لسعادة علوية رافهة ... ومن جعل حظها شهوة الحس ، وعماية الهوى ، وحرص الانانية ، فقد طمس على مواهبه ، وأعد نفسه اعدادا ممسوخا يذوق به الخزى فى طوره المنتظر ..

بهذه المعارف السليمة ، والتوجيهات النفسية الدقيقة تحرر العقل ، وتنبهت الملكات الروحية الباطنة ، وأبصرت فى الكون نفائس ودقائق غير المادة ، وبدأ الادراك الروحى يقدر زاده من الخير والتقوى ، ويفاضل بينه وبين ما هنالك من أزواد حسية ، ويحدد بهذه المقارنة القيم الجديرة بأن يجعلها معقد همته ومناط كرامته .

وبدأ العمل لصلاح النفس يدخل عنصرا جديدا ، بل عنصرا أصيلا فى اقامة حياته على سمتها الحق الى جانب اهتمامه لصلاح بدنه ودنياه .. وبدأ للانسان تعامل مع أفق غير أفق المادة ... بدأت له أشواق الى ما يلوح للبصيرة من اهداف قدسية فى أفق المعنويات .. وبدأت تلك الاشواق تهب له عزائم منهضة نحو تلك الاهداف ، وبدأ الاهتمام بأعراض الدنيا يفقد حدته، أو تنكسر ثورته فى نفوسهم .. وبعبارة أخرى دخلت العوامل الروحية فى حياة هؤلاء المؤمنين ، لتفعل ما تفعله العوامل الاقتصادية فى نفوس الاخرين . ترسم وجهتهم ، وتقرر مناهجهم ، وتبعث عزائمهم وتثير وجدانهم ... وتصنع لهم تاريخهم واخلاقهم ومعاملاتهم ، وسائر روابطهم الاجتماعية ..

البقية على ص ٤٦



هل غير هديك للمؤمل باب ... ياخير من تسمو به الألقاب ؟

شعّتْ بنورِكَ في البرية آيةٌ ... هي في الخلائق سنّةٌ ، وكتابُ

الكوكبُ الدريُّ في أُفُقِ الورى ... هذا النبيُّ ، تبارَكَ الوهّابُ

نزلَ الأمينُ عليه يحملُ معجزًا ... للمرتجين به هُدًى ، وثوابُ

آيٌ من الكلِم الجوامعِ لم يزلْ ... للعقلِ فيها منْطِقٌ ، وخطابُ

بُعِثَ النبيُّ ، وقومُهُ في غمْرةٍ ... وحديثُهم في المرسلين كِذابُ

قد كذّبوه ، وناهضوه ، وأنّه ... فيهم ليَنبوعٌ جرى ، وسحابُ

يدعو الى التوحيدِ ، وهو جبلّةٌ ... دانتْ بها ، وبنورها الألبابُ

بُرْهانه نور الكتاب مُفَصّلاً ... ولهم حِجاجٌ خاسرٌ ، وسِبابُ

نفث الغوى ضلالَهُمْ في رَوْعِهِم ... فغَدَوْا وهم ظُفُرٌ يَصولُ ، ونابُ

يتوثبون ، ودون ما قد قدّروا ... لقتالِ أحمدَ حاصبٌ ، وشهابُ

داروا ببيتِ المصطفى ، وحيالهم ... دون النبيِّ مسالكٌ ، وشعابُ

واستمكنوا كي يقتلوه ، وما غفَا ... في البيت إلاّ الفارسُ الوثّابُ

يتنَظّرون مع الصّباح غُدوّه ... وصباحُ ليلِ المشركين ضبابُ

يا نائمًا ، والرّوحُ حارسُ مهدِه ... وسيوفُ مكّةَ من فراشكَ قابُ

خَفّوا إليك يُناوشونك بالأذى ... يا بئسَ ما خفّتْ له الأعرابُ

بكروا على ما بيّتوا من أمْرهم ... وبِهِم هديرٌ صاخِبٌ ، ووثابُ

ويتمتمون بحسرةٍ ، وفجيعةٍ ... هذا عليٌّ دثّرته ثيابُ

للاستاذ محمد هارون الحلو

صلى الله عليه وسلم

وافَوْا على أملٍ يُقرّ عيونَهم   وغَدَوْا بِخزْى الخاسرين، وآبوا
ومضى رسولُ الله يطلبُ غايةً   يَرعاه من ظلّ الإله جنابُ
وطوى الرسولُ البيدَ، وهو على خُطا   من غار ثَوْرٍ، والطريقُ يبابُ
قِفْ بي حيالَ الغار، وَقْفَةَ خاشعٍ   فالغار في بطحائه محرابُ
حَشَدَ الملائكُ حَوْله مستلئمين وهُمْ لدين المصطفَين غضابُ
هذا هو الغارُ المحجَّبُ سِرُّه   رفَّ الظلامُ به، فما ينْجابُ
فَعشَاشُه فيها الحمائمُ فَرّخَتْ   وعليه من نسْج العناكب بابُ
الله أكبر ذاكَ نَصْرُ محمدٍ   ما فيه شكٌ أو به مُرْتابُ
منعته كفُّ الله من أعدائهِ   فمضَى على التوفيقِ، وهو مهابُ
لله درُّك يا أبا بكرٍ، فقد   شُدَّتْ بك الأوتادُ، والأطنابُ
في الغار كنت المقتدى خير الورى   والقلبُ ظامٍ، والنفوس جدابُ
هذى مشارفُ يثربَ ائتلقت وأشرق بينها للصاحبين رحابُ
وغدا النبيُّ ووجْهُهُ متهللٌ   جذلٌ، فغمرةُ ليلِهِ تنجابُ
ومواكبُ البُشْرى تحفُّ ركابَهُ   وبها قلوبٌ بالنشيد طِرابُ
وترى الكتائبَ والجحافل بالسيوف تشابكتْ منها عليه قبابُ
ويرف حوْل المصطفى نسمٌ وظلٌّ فيه من مِسْكِ الرُبى أطيابُ
عُرْسٌ به غدت المدينة مشهدًا   عجبًا تهيمُ بسحرِهِ الألبابُ
يا قدسَ هذا اليوم يوم محمَّدٍ   فيه تجلّى الواحدُ التوّابُ
هي هجرةٌ ميمونةٌ بجلالها   ذلَّتْ جباهٌ في الورى، ورقابُ

٣ ـ لا مجال للتفسيرات الاقتصادية

ذلك هو التطور الخطير أو التغير الرائع الذى أحدثه محمد صلى الله عليه وسلم بمبادئه فى نفوس هؤلاء .. ولسنا بذلك نجحد أنهم يتأثرون كسائر البشر بالعوامل الاقتصادية ، ولكنا نقرر ما يجحده أنصار المادية الجدلية ، اذ وصفوا العوامل الروحية بأنها وهم لا وجود لها ، ورتبوا على ذلك ما رتبوا من نتائج ومقررات ، فان أيسر ما يفهم من تصرفات هؤلاء المؤمنين ، ومن واقع تاريخ الحقبة النبوية عامة ، أن العوامل الروحية كانت أهم عنصر له أثره البارز فى توجيههم الى جانب العوامل الاقتصادية ، بل كانت هى العنصر الوحيد ذا الهيمنةعلى ما عداه لاستيلائها على مشاعرهم وأفكارهم وانطباع تصرفاتهم بطابعها .

واذا ذهبت تفسر حوادث الهجرة على ضوء مقررات المذهب الاقتصادى أعياك أن توجه حادثا واحدا هذا التوجيه فى نسق مؤتلف مقبول (١) ، وأحسست أن كل شىء يأخذ بزمام ذهنك الى اتجاه روحى صرف ، وأن تلك الاحداث انما تأتلف متناسقة تمام التناسق مع مبادئها التى أوحت بها ومهدت سبيلها الى دنيا الناس وواقع التاريخ ..

لقد عرض خصوم محمد صلى الله عليه وسلم ، أن يعطوه المال الوفير ، وأن يقيموه ملكا عليهم ، وأن يزوجوه من أجمل فتياتهم من أراد ، على أن يدع أويكف عن مبادئه التى يذيعها ، وهو عرض ينبثق من أذهان قوم آمنوا بالحس وحده ، ولا يعجزنا أن نرى فى صبغتها المادية الصارخة تفسيرها الاقتصادى الذى تتناسق به مع مالهم فى ذلك من توجيه .

ولكن ماذا كان رد محمد صلى الله عليه وسلم على ذلك العرض ؟

لو أنه كان منبعثا الى دعوته بمؤثرات حسية ، أو اهداف مادية لوجد فيما يعرضون عليه ما يختصر له الزمن ويوفر عليه الجهد ، ويرضى رغبته فيما يريد ، ولكنه أجابهم تلك الاجابة الرائعة الحاسمة « والله لو وضعوا الشمس فى يمينى ، والقمر فى يسارى على أن أترك هذا الامر ، ما تركته حتى يظهره الله أو أهلك دونه » .. ولا يعجز له أن تتبين فى تلك الاجابة الخالدة أنها تنبثق من ذهن غير أذهانهم ، وتقدير غير تقديراتهم ، وانها تتجه الى اتجاه غير اتجاههم .. وأن نرى فيها الاعتزاز بملكوت القيم الروحية الى الحد الذى يزرى بملك الشمس والقمر ... وانك لو وكلت الى أشد المتعصبين للمادية الجدلية أن يفسر لك الاجابة على ضوء ما له من أصول التفسير الاقتصادى لكان من أعجز العاجزين عن ذلك .

لعله كان يقول . ان محمدا كان يبغى مالا أوفر يأتيه من اتساع دعوته ، فرفض ما عرضوا عليه انتظارا لما سيأتى به نجاح الدعوة من الحظوظ المرموقة .. فهل ذلك من الحق ؟

هل من الحق ان نسند اليه ـ عليه الصلاة والسلام ـ ذلك الفرض الجدلى ، وهو الذىأتته الاموال فيما بعد،وانصبت بين يديه على حصير المسجد فكان يفرقها لساعتها حَثْوا بيديه فى حجور الناس

---

(١) واقع الحوادث والظروف التى أحاطت بالهجرة تهدم فكرة العامل الاقتصادى التى يقول بها الماديون رأسا على عقب . فقد ضحى الرسول صلى الله عليه وسلم والمهاجرون معه بكل النواحى المادية والمؤثرات الاقتصادية فى سبيل الفكرة الروحية « الوعى »

ثم يقوم والحجر مربوط على بطنه ؟ ... وكلنا يعلم انه لحق بالرفيق الاعلى ودرعه مرهونة عند يهودى على حفنات من شعير !!

ولعله يقول ان محمدا رفض ما عرضوا عليه من الملك ، لانه كان يبغى أن تأتيه دعوته بملك لا منة فيه لاحد عليه .. فهل ذلك من الحق وهو الذى صار فيما بعد سيد الجزيرة غير منازع فرفض أن يقوم له أتباعه وأن يعظموه تعظيم الملوك ، وكان حظه من تلك الرياسة أن قال . انما أنا عبد ، أجلس كما يجلس العبد ،وآكل كما يأكل العبد ؟

ولندع صاحب الرسالة ــ عليه الصلاة والسلام ــ لنقرأ فى سير اتباعه أن أهليهم كانوا يلينون لهم القول ، ويبذلون لهم الرجاء ، ويعرضون عليهم العروض لكى يدعوا ما دعاهم اليه محمد صلى عليه وسلم والسلطان فى أيديهم ولا سلطان معه ... والعافية فيما يدعونهم ولا عافية معه .. فلماذا رفضوا ، ولماذا هاجروا ؟ ... لماذا رفض الاشراف ، وأبناء الاشراف أن يبقوا على العافية فى أهليهم ودورهم وأموالهم ، وآثروا الخروج من ذلك كله الى نقيضه ؟

أيقال انهم فروا من العذاب ؟ .. انهم انما كانوا يعذبون ليعودوا عن مبادئهم الجديدة الى ما كان عليه الآباء الاولون ولو أنهم فعلوا لما كان عذاب ، ولما كان الا العافية والسعة .. على أنه ما كان يعذب ــ غالبا ــ الا من لا عشيرة له كالعبيد والغرباء ، فقد عذب بلال العبد ، وعمار العبد ، ومن على شاكلتهما من المستضعفين ، عذبوا لا بغضا لهم ولا ضيقا بهم بل ليعودا الى دين السادة الاعلين ، ولهم على ذلك ما شاءوا من سعة وعافية ، ولكن العبيد كانوا يحيون من مبادئهم سيادة أخرى تنبذ كل ما عرف القوم من عرض وجاه .

ولندع هؤلاء المهاجرين لما يشغلهم من أمر هجرتهم لنسأل دعاة الجدل والاقتصاد . ما بال أنصار المدينة يبذلون أموالهم ، وأمتهم ، ويهدفون نحورهم لرماح أعدائهم فى سبيل تلك الدعوة ؟ .. هل وعدهم النبى على ذلك ملكا أو عرضا كثيرا أو قليلا من عرض الدنيا ؟ .

لقد التقى به فريق منهم فى موسم الحج على موعد عند العقبة ، ودعوه الى أن يتحول الى مدينتهم فماذا وعدهم ، أو بماذا مناهم ؟ .. لقد شرط عليهم أن يحموا دعوته مما يحمون منه نساءهم وأبناءهم ، فقالوا له . « وماذا لنا يا رسول الله اذا نحن وفينا لك بما شرطت » ... فلم يقل لهم . لكم ملك العرب ، أو أموال الجزيرة ، أو لكم من المناصب كيت وكيت ، بل قال لهم . « لكم الجنة » . فقالوا فى فرح وبشر . « ربح البيع يا رسول الله ، والله لا نقيل ولا نستقيل » ... وهى اجابة تصور ما كان يحيا فيه القوم من أهداف وغايات، وتحتمل كل تفسير وتأويل الا أن تفسر ببواعث المادة ورغبات الاقتصاد .

ولقد صدرنا هذه الكلمة بقوله تعالى. « والذين تبوأوا الدار والايمان من قبلهم يحبون من هاجر اليهم ولا يجدون فى صدورهم حاجة مما أوتوا ويؤثرون على أنفسهم ولو كان بهم خصاصة » « الآية » . فهل يستطيع أحد أن يدلنا على سر ذلك الحب فى قوله تعالى « يحبون من هاجر اليهم » .. ان الانصارى لم يرتبط بأخيه المهاجر بأى رباط حسى سابق من نسب ، أو معاملة ، أو نحوها مما يظن به انه سبب ذلك الحب ... ومن المسلم به أن المهاجر هاجر تاركا وراءه ماله وولده وداره ، وأقبل على المدينة معدما ليس معه من عرض الدنيا ما يفرح به أنصارها ، أو يفتح له قلوبهم ببسمة واحدة .

٤ ـ بين الوهم والحقيقة

هذه أحداث معروفة ، وكائنات تاريخية مقررة لا يسيغ الذهن اطلاقا أن يكون المرء فيها مستجيبا لضغط حاجاته المادية ، ولا يقر المنطق الا أنها من فعل عوامل روحية خالصة .. **وليس لذلك من معنى سوى أن العوامل الروحية حقيقة واقعة ذات أثر فى توجيه المرء ، وبناء المجتمع ، وتطور البشر ، وصنع حوادث التاريخ** ، وان كانت شيئا لا يدركه الحس ، ولا يصل اليه تصور الاذهان .

فهل يمكن ـ ارضاء لدعاة المادية الجدلية ـ أن يكون هؤلاء المهاجرون قد تركوا أوطانهم ، ودورهم ، وأموالهم ، وأهليهم ، الى بلد غريب ـ بلا شىء ؟ وهل يمكن أن يكون هؤلاء الأنصار أحبوا هؤلاء المهاجرين وآثروهم على أنفسهم ، بلا شىء .. ! .

.. أى بدون سبب ما ؟ .. فكيف يتأثر الانسان بلاشىء .. وكيف يصنع اللاشىء تاريخا وتطورا فى حياة البشر ؟ .. وما هذا « اللاشىء » الذى يدخل حياة المرء فيغير آراءه ، ويبدل أفكاره ووجدانه ، وينتزعه انتزاعا من جوانبه الحسية والاقتصادية ويدفعه الى اتجاه آخر يغير به مجرى حياته ؟

اذاً ، فلسنا بازاء وهم غير موجود ، بل بازاء عوامل عتيدة، ذات آثار واضحة مقررة فى التاريخ... ولولا هذه العوامل ما جاءت تلك الآثار والاحداث على مثالها الفريد الذى تميزت به بين عبر الماضى وكائناته ... ولا مفر من التسليم بهذه العوامل الروحية ، فهى عوامل لها أصالتها فى ضمير الوجود ، كما للعوامل الحسية أصالتها فى ظاهر المادة .

وحين يهتدى المرء الى حقيقة انسانيته ، ولب وجوده ، تنبثق تلك العوامل فى ضميره ، وتنشأ له أهداف غير أهدافه السابقة ، ويتخلص من تحكم العوامل المادية فى مصيره ، فاذا هو يأخذ ويدع ، ويقول ويفعل ، وينظر الى الحياة على مثال غير الذى كان له بالامس ، وبهذا المثال الجديد يجب أن يفسر تاريخه ، وما عرض له من تطور ، وما تقلب فيه من أحوال .. ولن يستقيم فى الذهن تفسير الهجرة ، وتأويل أحداثها الا على ضوء هذه النظرة الصافية والمثل الجديدة .. واذ تقرر ذلك فلا حيلة للعقل بازائه الا أن يرى بنيانهم الذى بنوا ريبة فى قلوبهم ، وجهلا بأسرار الحياة ، وأقدار الانسان .. والحمد لله رب العالمين .

- من العسير أن تجعل المعدة تصغى الى العقل .
- الشر حلو أوله ، مر آخره .
- احرص على الموت توهب لك الحياة .
- أناة فى عواقبها فوت خير من عجلة فى عواقبها درك .
- كن كالتاجر الكيس ان وجد ربحا تجر ، والا تحفظ برأس المال .
- ان لله خلقا قلوبهم كقلوب الطير كلما خفقت الريح خفقت ، فأف للجبناء .

مؤرخو الفتوح الاسلامية في القديم والحديث

للاستاذ : محمد عبد الغنى حسن

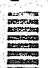
لم تجىء حركة التأليف فى الفتوح الاسلامية فى أعقاب هذه الحركات الكبرى مباشرة ، ولكنها ظلت بعض الوقت حتى استقرت حركة التدوين التاريخى ، وخاصة فى المغازى الاولى التى صنف فيها جماعة من أمثال وهب بن منبه ، وعروة بن الزبير ، والزهرى ، وابن اسحاق ، ومعمر بن راشد ، والواقدى وغيرهم .

الواقدى

ولعل الواقدى المؤرخ القديم فى المغازى هو أقدم من وصلت الينا كتبهم فى الفتوح الاسلامية ، التى جاءت عقب غزوات الرسول فى عصر الخلفاء الراشدين ، وما جاء بعده من عصور . وقد عاش الرجل فى عصر الخليفة العباسى هارون الرشيد وعصر المأمون ، حيث توفى فى العقد الاول من القرن الثالث الهجرى .

وقد اعانت الرجل على التصنيف التاريخى ثقافة واسعة ومكتبة حافلة بالكتب التى كانت معروفة فى عصره ، والتى استطاع أن يحصل على نسخ منها ، حتى ليروى ابن النديم صاحب «الفهرست» أنه خلف بعد وفاته ستمائة قمطر من الكتب ، نسخها له غلامان مملوكان كان يستأجرهما لهذا الغرض ، ويكتبان له الليل والنهار .. وذلك قدر كبير من الكتب بالنسبة الى ذلك العصر البعيد الذى كان قريبا جدا من عصر التدوين فى الفكر الاسلامى .

واذا تركنا جانبا كتب الواقدى التاريخية الكثيرة لانها ليست من سبيل بحثنا ، فانه لا يجوز أن نغفل هنا الاشارة



الى كتابيه فى « فتوح الشام » و« فتوح العراق » . بل لقد نسبت اليه كتب أخرى فى الفتوح مثل كتاب « فتح منف والاسكندرية » المطبوع بليدن سنة ١٨٢٥م و « فتوح العجم » المطبوع بالهند سنة ١٢٩٧هـ ، و « فتوح الجزيرة » الذى نشر مرتين احداهما بعناية الاستاذ أيوالد سنة ١٨٢٧م ، وثانيتهما باشراف الاستاذ نيبوهر فى هامبرج سنة ١٨٤٧م و« فتح افريقية » الذى طبع فى تونس سنة ١٣١٥هـ .

وعلى الرغم مما فى مؤلفات الواقدى فى الفتح الاسلامى من مبالغات وحشو وقصص كثير ، فان لها قيمة تاريخية لان بها من الاخبار والتواريخ مالا يوجد بغيرها ، ويستطيع المؤرخ البصير الناقد اليوم أن يخرج منها مادة تاريخية جيدة تتصل باخبار الفتوح الاسلامية فى الشرق ، ومصر وافريقية بعد غربلتها ونخلها نخلا دقيقا ، ومقابلته رواياتها بعضها ببعض وتصحيح ما فيها من تناقضات ...

البلاذرى

وهذه النظرة الواسعة الى حركات الفتوح الاسلامية فى رسائل ومصنفات مستقلة بكل قطر مفتوح تقابلها نظرة جامعة شاملة عند مؤرخ اسلامى آخر متأخر بضعة عقود من السنين عن « الواقدى » وهو الامام ابو العباس أحمد بن يحيى البلاذرى البغدادى المتوفى سنة ٢٧٩هـ ، والذى صنف فى حركات الفتح الاسلامى كتابه المشهور « فتوح البلدان » وقد تحدث فيه عن الفتوح الاولى فى أيام النبى عليه الصلاة والسلام فى اطار شبه جزيرة العرب ، كفتح مكة ، واليمن ، وعمان ، والبحرين واليمامة . ثم انتقل بعد ذلك الى فتوحات ما بعد عهد النبى ، كفتوح الشام ، والجزيرة وارمينية ، ومصر ، والمغرب ، والمدئن ، والعراق ، وفارس ، وخراسان ، وكابل ، والسند من بلاد الهند التى فتحها البطل العربى الشاب محمد بن القاسم الثقفى وهو لم يبلغ العشرين من عمره ، حتى لقد قال فيه الشاعر حمزة بن بيض الحنفى يمدحه :

ان المروءة والسماحة والندى
لمحمد بن القاسم بن محمد
قاد الجيوش لبضع عشرة حجة
يا قرب ذلك سؤددا من مولد !

مميزاته

ويمتاز « فتوح البلدان » للبلاذرى بالدقة العلمية على الرغم من وجازته ، وتجنب التفصيل فيه . كما يمتاز بذكر سلوك المسلمين فى الفتوح ، ومعاملتهم لاهل البلاد ، وتشريعاتهم وأنظمتهم التى استنوها فى كل قطر تبعا لظروفه ، مما أتاح لمؤرخى التشريع الاسلامى بعد ذلك أن يجدوا فى هذا الكتاب — على الخصوص ، مستندات مهمة فى معاملة أهل الذمة ، وفى تحديد الخراج والجزية .

وحين يذكر البلاذرى فى الحادثة الواحدة روايات مختلفة فانه لا يقف منها موقف العارض ، بل يعلق عليها برأيه ، ويرجح بعضها على بعض بما يؤكده له وجه الصواب . وقد يروى الروايتين

فيصف احداهما «بأنها أثبت» من أختها ، ويميل دائما الى ذكر الاسناد فى روايته التاريخية ، كما كان يفعل أهل الحديث فاذا عز عليه ان يحفظ سلسلة السندلم يجد غضاضة فى ذلك قائلا مثلا : « وحدثنى هشام بن عمار فى اسناد له لم أحفظه ... » وحين تجتمع له روايتان احداهما أقوى من أختها — فى نظره — فانه يذكر الاولى بصيغة الفعل المبنى للمعلوم ، ويذكر الثانية بصيغة المبنى للمجهول ، فيقول مثلا : « قالوا » فى الموضع القوى و « يقال » فى الموطن الضعيف ...

ولم يفت مؤرخنا البلاذرى وهو يتحدث عن الفتوح الاسلامية أن يحدثنا عن أحكام الارض الخراجية ، والعطاء فى خلافة عمر ابن الخطاب ، وتدوين الدواوين ، وأمر الخاتم الذى كانت تختم به الكتب والرسائل الى الملوك ، وأولها الخاتم الذى اتخذه محمد عليه الصلاة والسلام من فضة وختم به رسالته الى ملك الروم ، وقد ذكره أنس بن مالك رضى الله عنه قائلا : (فكأنى أنظر الى بياضه فى يده .) وكان فصه حبشيا ، كما لم يفته أن يحدثنا عن أمر النقود الاسلامية وبدايتها بعد الدراهم التي كانت من ضرب الأعاجم وعن أمر الخط العربى فى الجاهلية والكتاب الذين كانوا يكتبون للنبى عليه الصلاة والسلام .

وعلى الرغم من وجازة الاخبار والاحداث فى فتوح البلدان للبلاذرى فان فيه من الحقائق التاريخية ما يعد ذا قيمة كبيرة ، فمنه نعرف أن « حفصة » زوج النبى كانت تكتب ، وأن زوجه « أم سلمة » كانت تقرأ ولا تكتب .. وكذلك كانت عائشة تقرأ المصحف ولا تكتب ..

ابن عبد الحكم

واذا كان البلاذرى قد تناول فتوح مصر والمغرب بالايجاز الذى تقتضيه طبيعة كتابه الجامع فى الفتوح عامة ، فان مؤرخا عربيا مصريا فى القرن الثالث الهجرى ايضا قد خص « فتوح مصر والمغرب » بكتاب مستقل يحمل هذا العنوان . وهذا المؤرخ هو ابن عبدالحكم المتوفى سنة ٢٥٧هـ . وهو أقدم من وصلت الينا مؤلفاته من تاريخ مصر الاسلامية ومن هنا جاءت قيمة الكتاب ، وقد جمع مؤرخنا المصرى مادة كتابه من بعض ما كتبه مؤرخو المغازى والفتوح والطبقات قبله ، ومن الروايات الشفوية التى كان الرواة يتناقلونها على طريقة الأسناد الكامل .

ميزته

ومزية كتاب ابن عبد الحكم فى فتوح مصر والمغرب أنه نقل لنا نصوصا عن كتب ضاعت ، ولا نعرف الا أسماء أصحابها مثل عبد الله بن المبارك ، وسعيد ابن مريم ، وابن عفير ، وعبدالله بن وهيب من رجال القرنين الثانى والثالث .

وقد ظل كتاب « فتوح مصر والمغرب » لابن عبد الحكم المصدر القديم الوثيق فى تاريخ مصر الاسلامية ، الذى اعتمد عليه كل من جاء بعده من المؤرخين ، من أمثال الكندى صاحب « القضاة والولاة » و « ابن زولاق » و « القضاعى » و « ابن دقماق » و « المقريزى » و « ابن تغرى بردى » و « السيوطى » و « ابن اياس » مؤرخ مصر فى الفتح العثمانى .

ولا ينسى ابن عبد الحكم وهو يؤرخ لفتح العرب لمصر أن يتحدث فى اول الكتاب

عن فضائلها ، ووصية رسول الله بأهلها القبط ، وتاريخها القديم . وهو تاريخ كان يعتمد بالطبع على كثير مما جاء فى الاسرائيليات والاساطير ، لان الكشوف التاريخية الهامة — وخاصة الكتابة الهيروغليفية — كانت لا تزال فى بطون الغيب السحيق .

وفى « فتوح مصر » لابن عبد الحكم كثير من الاخبار التي لم تأت فى كتاب غيره ،وهو أقدم كتاب فى الفتوح الاسلامية يذكر عادة القاء عروس فى النيل حتى يفيض ماؤه كل عام . وقد ذكر ابن عبد الحكم أن عمرو بن العاص قد أبطل هذه العادة قائلا : « ان هذا لا يكون فى الاسلام ، وان الاسلام يهدم ما قبله » ، وقد أقر الخليفة عمر بن الخطاب الفاتح عمرو بن العاص على هذه الخطوة الحكيمة . وقد نقل كثير من المؤرخين المسلمين حكاية عروس النيل عن «ابن عبد الحكم » ومنهم المقريزى ، وابن كثير ، والمقدسى ، والقلقشندى ، والسيوطى ، والسبكى . وان كان يميل بعض المؤرخين والادباء المحدثين الى تكذيبها ، ومنهم الاثرى المؤرخ سليم حسن ، والدكتور محمد حسين هيكل ، والدكتور أحمد بدوى المؤرخ ، والدكتورة نعمات أحمد فؤاد . ولعلهم يتابعون فى ذلك « بتلر » المؤرخ الانجليزى المعروف ، وصاحب كتاب « فتح العرب لمصر » .

ابن القوطية فى الاندلس

وقد كانت بلاد الاندلس مجالا جديدا اتجه اليه مؤرخو الفتوح الاسلامية . فيصادفنا من أقدم المؤلفين فى هذا — المؤرخ « ابن القوطية » القرطبى من رجال القرن الرابع الهجرى . وأهمية كتابه فى الغرب تعادل أهمية كتب الواقدى والبلاذرى وابن عبد الحكم فى الشرق . فقد حفظ لنا كثيرا من أخبار الفتح الاسلامي للاندلس ، ومن عجب أن مؤلفه العربى المسلم هو من احفاد سارة القوطية حفيدة « غيطشة » المشهور فى خلال الفتح العربى للاندلس ..

واذا كانت قد وجهت بعض الملاحظات والمؤخذات على المنهج التاريخي الذى اتبعه ابن القوطية فى تاريخه لفتح الاندلس ، فانه بلاشك مجموعة من الاخبار التى قد لا ترتفع لتعطينا فكرة واضحة عن المجتمع الاندلسى فى سنوات الفتح وما أعقبها . وقد لاحظ المستشرق الاسبانى المعاصر « يوليان ريفيرا » أن أخبار هذا الكتاب متناقضة ، وأنه ليس ببعيد أن يكون جمعا غير دقيق ولا منظم ، من عمل أحد تلاميذ ابن القوطية ..

وقد نشر كتاب ابن القوطية لاول مرة فى مدريد سنة ١٨٦٨ باعتناء « جابانجوس » الذى لم يفهم النص العربى ولم يخرجه على أقرب الوجوه الى أصله . وبلغ من أهمية هذا الكتاب أن ترجمه المستشرق الاسبانى ريفيرا سنة ١٩٢٦ الى الاسبانية وأن علق عليه تعليقات تاريخية قيمة . وقد أتيح له أن ينشر أخيرا فى احدى دور النشر ببيروت .

الاصفهاني

وقد كان فتح بيت المقدس — او استرداده — من يد الصليبيين على يد البطل صلاح الدين الايوبى موضوعا لكتاب هام فى تاريخ الفتوح الاسلامية ، كتبه الاديب المنشىء المؤرخ عماد الدين الاصبهانى بعنوان « الفتح القسّى » فى

البقية على ص ٧٣

خواطر

يكتبها : عبد المنعم النمر

عبرة :

من أخبار حيدر أباد بالهند أن نظام حيدر أبادالسابق قد توفي عن (٨١) عاما فى أواخر فبراير،واشترك أكثر من نصف مليون شخص فى تشييع جنازته .. فأثار هذا الخبر فى نفسي كثيرا من الخواطر والعبر .. وقد كتبت عن قيام هذه الاسرة المالكة فى حيدر أباد فى كتاب « تاريخ الاسلام فى الهند » ثم كتبت عن نهاية حكم هذه الاسرة والقضاء نهائيا على سلطتها عندما دخلها الجيش الهندى عند استقلال الهند سنة ١٩٤٧ م ، وذلك فى كتابي « كفاح المسلمين فى تحرير الهند » .

ومن خلال ذلك عرفت كيف تأسست هذه الاسرة،وكيف حكمت هذه الولاية قرونا..وكانت نموذجاطيبا فى التعليم والتقدم العمراني والعناية بالثقافة الاسلامية من بين ولايات الهند كلها .. وحين زرتها فى ٧ ديسمبر ١٩٥٧ م .. شاهدت بنفسي الآثار الطيبة التى خلفتها هذه الاسرة ممثلة فى الجامعة العثمانية والمدرسة النظامية الدينية التى كانت تحتضر حين زرتها .. وفى دائرة المعارف العثمانية التى تعنى بطبع أمهات الكتب العربية والمكتبات الضخمة الاخرى التى تضم عشرات الآلاف من الكتب الاسلامية باللغات المختلفة ومنها مخطوطات نادرة .. وكنت وأنا أسير بين هذا التراث الذى خلفه حكام حيدر أباد المسلمون أشعر كأننى أعيش فى تاريخ مضى وأمشي فى جنازة صانعيه .. حتى الحاكم الاخير الذى نتحدث عن وفاته كان يعيش فى قصره وكأنه يعيش فى قبره ..

لقد رثيته فى نفسي حينذاك ورثيت أسرته معه .. كان أغنى رجل فى العالم يملك من المال والمتاع ما لا يملكه انسان ، وما كان أى واحد بنظرته القصيرة للحياة يعتقد أن كل ذلك سيتخلى عنه ، وأنه سيعيش حتى يحتاج الى من يساعده ، وتنشر الصحف قبل وفاته أن نظام حيدر أباد السابق يحتاج الى من يمد له يد المعونة ليعيش ..

يا سبحان الله .. ولد والدنيا كلها تحت قدمه ، وتحيط بسريره ، وعاش حتى حكم ورأى الدنيا ومتاعها وبهجتها ، وعرف وقرأ عن نفسه أنه أغنى رجل فى العالم ، ثم يمتد به العمر حتى يرى حكمه يزول عنه ، وماله يؤخذ منه ، حتى يحتاج فى أواخر حياته الى تبرعات المحسنين ، وتكون الفصول الاخيرة من حياته مأساة .

وما أظن مئات الالوف الذين أحاطوا بنعشه يودعونه الوداع الاخير بقلوبهم الدامية ، وعيونهم الباكية الا أنهم كانوا ماخوذين بهول الفصل الاخير من المأساة حين أسدلت الستارة على بطلها .. وبكى المسلمون فيه آخر رمز لايامهم المجيدة فى هذه الامارة . بعد أن بكوا الحقيقة التى زالت وضاعت يوم أن زال ملكه ، وملكهم معه فيها

فى سنة ١٩٥٧ وبعد عشر سنوات من القضاء على سلطانه ، كنت بينهم أرى المأساة مرتسمة فى كل وجه ، ناطقة على كل لسان ، وهالني أن أرى هذا الخور وأسمع هذه النغمة بعدما مضى من سنين ،وخفت عليهم أن يعيشوا طويلا فيها ، وتقضى على تطلعاتهم ، وتسدل ستارا من الظلام واليأس على مستقبلهم ، فوقفت على منبر مسجد مكة الكبير ، أفتح لهم طاقات الامل على طريق المستقبل الطويل .. وأذكر أننى قلت لهم يومها ان المسلمين فى أى مكان ليسوا بملوكهم ولا رؤسائهم ، ولكن بعملهم وخلقهم وتعاونهم ومشاركتهم القوية في بناء المجتمع الذي يعيشون فيه .. وبقدر تضامنهم تكون قوتهم ، بقدر ما يبذلون من جهد يكون وضعهم فى مجتمعهم .. ولكنى مع ذلك لم أستطع أن أغالب تيار عاطفتى التي انحنت هى الاخرى أمام التاريخ الذى مضى ..

وبعد ذلك كله نجد العبرة ماثلة أمامنا فى حياة هذا الرجل .. وكم من عبر مرت ، عاصرناها ، أو

قرأناها فى بطون الكتب .. ما أحوجنا الى الاستفادة منها .. حتى لا يغتر انسان بجاهه أو بماله .. ويكرس حياته ليكون انسانا نافعا لنفسه ولمن يعيشون معه ، ويعمل على أن يخلف ثروة من الذكرى والاعمال الحسنة يذكرها الناس ، ويجزى عليها علام الغيوب « يوم تجد كل نفس ما عملت من خير محضرا » .

مشاكل التبنى أيضا :

لعل القراء يذكرون ما كتبته فى افتتاحية العدد الاسبق « ذي القعدة » عن مشكلة تزايد اللقطاء كأثر من آثار الحرية المشوهة التى جرفت مجتمعاتنا فى تيارها ، والانحلال الخلقي الذى كان أحد آثارها ، وما نراه من ارتفاع بعض الاصوات باباحة التبنى ، كحل من حلول هذه المشكلة دون التفات الى تعاليم القرآن القاطعة فى تحريم التبنى .. متذرعين بالعاطفة ومتأثرين بما يجرى فى الامم الغربية ، ونحن ـ مع الاسف الشديد ـ نجد الكثيرين منا مشدودين بأفكارهم الى ما يجرى عند غيرنا ، مستحسنين كل ما عنده ، داعين الى السير على طريقه مهما يكن فى دعوتهم من مجافاة لتعاليم دينهم ، وانكار لتشريع شرعه ربهم العليم الخبير .. المهم عندهم أن ينقلوا الى أممهم ما فى الغرب مهما يكن ..

والى هؤلاء بالذات أسوق لهم هذا الحديث الذى سمعته من الاخ الدكتور عثمان خليل عثمان الخبير الدستورى لمجلس الامة الكويتى ، وعميد حقوق جامعة عين شمس سابقا ..

لقد قال لي الدكتور الفاضل عند لقائنا بعد أن قرأ ما كتبته عن اللقطاء : لقد ذكرني ما قرأته ببحث استمعت اليه فى انجلترا ، ألقته أستاذة متخصصة فى شئون الأسرة ومشكلة التبني .. وكانت تستعرض المشاكل التى تلاقيها بعض الاسر التى تتبنى بعض الاطفال حين يكبرون ذكورا أم اناثا ، والحوادث الخلقية التى تحدث فى الاسرة بسبب هذا التبنى ... وانتهت من عرض هذه المشاكل الى طريقة واحدة للتخلص منها ، والقضاء عليها ، وهو منع التبنى الذى يأخذ فيه الطفل لقب الاسرة التى تتبناه ، حتى يكون هناك حاجز يمنع التصاقه بالاسرة .

ويقول الدكتور : وهنا تذكرت قوله تعالى : « ادعوهم لآبائهم هو أقسط عند الله .. » .

وأقول : نعم .. وسيبقى العالم تائها فيما يضعه لنفسه من تقنين وعلاج لمشاكله ، وهو يداوى بالتى كانت هى الداء .. ولو أراد اختصار الطريق لرجع الى المختص بحل المشاكل وعلاجها الى تقنين الحكيم الخبير ، كما يرجع فى أمراضه ومشاكله الاخرى الى المختصين فى دراستها ويأخذ بآرائهم ..

ومن أمريكا :

ومن نيويورك جاءنى تعليق من الصديق الدكتور محمد عبد الرءوف مدير المركز الاسلامى هناك يقول فيه : لقد أحسنت اذ علقت على مشكلة اللقطاء بأن الافضل علاج الداء لا الانشغال بالدواء ، ثم وصف الحالة هناك نتيجة الانحلال الخلقي وانصراف الناس عن علاج المشكلة الى اتخاذ أساليب تزيد من تفاقمها ، حتى أنهم يدفعون مرتبا شهريا للام عن كل طفل غير شرعى من ميزانية الاعمال الخيرية ، وهنا لا نعجب حين نجد نسبة المواليد غير الشرعيين بين الزنوج ٧٠٪ سبعين فى المائة ، وبين بعض الطبقات الاخرى أربعين فى المائة !!

وهذه معلومات أقدمها للمفتونين بالنظم الغربية والحرية الشوهاء التى تولد مثل هذه المشكلات وأقول لهم : ماذا تريدون بعد هذا ؟ .. فالى شرع الله اذن « ومن يعتصم بالله فقد هدى الى صراط مستقيم » .

المركز الاسلامي :

وبمناسبة حديث الدكتور عبد الرءوف والمركز الاسلامى فى نيويورك ، أحب أن أسجل هنا ما جعله فى خطاب بيني وبينه خاصا بالاخ السيد راشد عبد العزيز الراشد مندوب الكويت الدائم لدى الامم المتحدة ، والخدمات التي كان يقدمها بحماس للمركز الاسلامي واغراضه ، وذلك بمناسبة نقله وكيلا للخارجية .

وأسف الدكتور عبد الرءوف لحرمان المركز من خدماته المباشرة ، وأمله الكبير فى خلفه ، وانه ليسرنا أن نسجل هنا مثل هذا النشاط ، وهذا التحمس تقديرا للعاملين فى هذا المجال الذى يحتاج حقا الى كثير من العناية والاهتمام .

كما يسرنا كذلك أن نشيد بما تحدث الدكتور به من نشاط السفراء المسلمين ، وكبار المسلمين فى نيويورك ، من اجل اقامة بنيان لائق بالمركز الاسلامي هناك ، يضم مسجدا ، ومدرسة ، وقاعة للمحاضرات وغير ذلك من المرافق اللازمة .. بحيث يكون مركزا عاملا ومنتجا ، فى الوقت الذى يكون فيه مظهرا لائقا للاسلام والمسلمين فى وسط يعج بالمظاهر والامكانيات .. واذا كان هذا هو الذى حمل المعنيين بشئون المركز هناك الى تأليف وفد من السفراء يطوف بالدول الاسلامية فى هذه الايام لجمع التبرعات اللازمة لانشاء هذا المركز . فاننا من هنا نحيي هؤلاء العاملين ونرجو أن يجدوا ما يحقق أملهم وأملنا فى الدول الاسلامية ورجال الاسلام الاثرياء فى كل مكان ..

أريتريا :

من أخبار السودان الشقيق أن اللاجئين تدفقوا بالآلاف من أريتريا الى مديرية (كسلا) نتيجة صدام عنيف بين الاريتريين والجنود الاثيوبيين تدخلت فيه الطائرات الاثيوبية بقصف المنطقة ..

ونحن لا نريد هنا أن ندخل غمار السياسة او نضع أنفسنا بين فكيها المزعجين أو فى مهب تياراتها الوبائية .. ولكن بقدر ما نحمل من رسالة الاخوة الاسلامية ، والواجب الاسلامي والانساني معا نتحدث ..

فكثير من البلاد تطالب بحريتها وتجد من يساعدها او يتدخل وديا مع الدولة المعنية لايجاد الحلول المنصفة التي يمكن ان تحد من تفاقم المشكلة ، وتضع حدا للدماء المراقة والارواح المزهقة .. وفى هذا النطاق يجب ان تحمل الدول الاسلامية عبئها ، وتقوم بواجبها نحو اخوان لهم مستضعفين يعانون ألوانا من الاضطهاد والاعنات . كل دولة على قدر طاقتها ، وحسب أساليبها التى ترتضيها . المهم أن يشعر الملايين من اخواننا هؤلاء بأن الاخوة الاسلامية لا تزال حية نابضة فى قلوب المسلمين ، وأنهم لا يزالون كما تحدث عنهم الرسول صلى الله عليه وسلم ، وكما يجب أن يكونوا : كالجسد الواحد اذا اشتكى بعضه اشتكى كله ..

ان اللاجئين الى السودان الذين قدرتهم الاخبار المذاعة بسبعة آلاف ، ومن المقطوع به أنهم سيزيدون بعد كتابة هذه الكلمة .. هؤلاء لم يتدفقوا على السودان هذا التدفق الا بسبب الجحيم الذى يعيشون فيه ، والا لما تركوا أوطانهم ، كما أن رفضهم العودة الى وطنهم بعد أن طلبت حكومة أثيوبيا من السودان اعادتهم دليل قاطع على ما يتوقعون اذا عادوا من مصير رهيب .. وهذا وحده كاف لان تتيقظ الحكومات والهيئات الاسلامية لتعمل فى حدود طاقتها وبأساليبها المتنوعة لضمان عيشة كريمة وأمن وانصاف لهؤلاء المستضعفين ..

ان الذى حدث لا يجوز أن يمر بسهولة أو أن نتغاضى عنه كأنه لم يحدث لاخوان لنا كرام علينا ، واذا كانت هناك اعتبارات لدى هذه الدولة أو تلك ربما تحد من انطلاقتها التامة للعمل ، فان للاخوة الاسلامية اعتبارا يجب ألا يتناسى أو يهمل .

فى الفلبين :

فلقد كان لهذه الاخوة أثرها الذى أشادت به صحفنا جميعا واذاعاتنا ، وذلك فى المقابلة السيئة التى قوبل بها وزير خارجية الافاكين السفاكين حين وصوله الى المطار فى الفلبين ، فلقد ألفت جمعية الطلاب المسلمين التى تضم أربعة آلاف عضو مظاهرة عنيفة ضد هذا الوزير حين وصوله للمطار ، حتى اضطر البوليس لاخراجه من باب جانبي للمطار ، ووجه بعض أعضاء البرلمان من المسلمين انتقادات عنيفة للحكومة لاستقبالها هذا الوزير .

وهذا الذى حدث فى الفلبين على بعد ما بيننا وبينها من مسافات ، لم يكن الا أثرا من آثار الاخوة الاسلامية التى قربت ما بيننا وجعلتهم هناك يشعرون بآلامنا هنا ..

نعم : ان هذه الاخوة كنز فلا تهملوه حتى تفقدوه ...

فضل القرآن على اللغة

لغتنا سجل لمفاخرنا .

بين كل أمة روابط وصلات ، وعرى وأسباب،ومن أهم هذه الصلات وآكدها، وأقواها وأوثقها ، لغتهم التى هى سمة لهم وخاصية فيهم ، يعبرون بها عن خواطرهم وآمالهم وآلامهم ، وتسجل لهم أصول دينهم وأحكام شريعتهم .

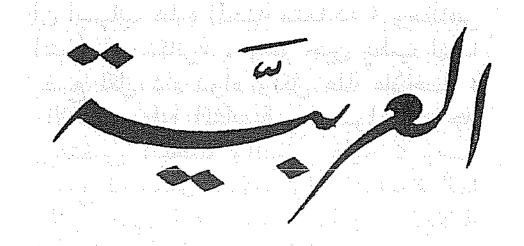
واللغة العربية رابطة قوية بين العرب، بها يلتقون ، وعليها يجتمعون ، فهى مثار الحس ، ومناط الالف ، بها يحن الغريب ، ويهفو العربى الى أخيه ولو بعدت الديار ، وشط المزار .

ولغتنا التي حملت ديننا ومكارم العرب وآثارهم ، ووسعت كتاب الله لفظا وغاية، أصلب اللغات عودا ،وأكثرها مع أعتى الخصوم عنادا ،صمدت لطغيان التتار ، وقهرت محاولات الفرس ، وطفت على حكم الترك ، وأفسح علماؤها صدورهم لكل وافد من الحضارة ، ولكل طارىء من المعرفة ، فما ضاق لها أفق ، وما كل لها جهد ، ونهضت بالتعريب والقياس والاشتقاق وما سوى ذلك من عوامل النمو والتطويع بكل مقتضيات الحياة .

فما كان للغة عيب الا من انقباض أهلها عن الحرص عليها والضن بها ، ولو أنهم غاروا — عليها ، ونحوا عن أنفسهم وصمة التقليد ، وعار المحاكاة ، لظلت نقية الصفحة ، بريئة من كل ما شابها بالمداخلة المسرفةمن تحريف أو تصحيف، أو عجمة أو دخيل .

واذا كانت اللغة العربية قد صمدت للفتن والأحداث ، وصبرت على الكيد من خصوم وعتاة ، وخرجت من هذه المكاره ، دون أن يمسها سوء الا من تفريط العرب أنفسهم ، فان هذا الذى مسها من مكروه ، دون ما تعانيه اليوم من عامية مسخت جميع الالسنة، وغزت العام والخاص ، وتسللت الى المعاهد والجامعات ، ولقيت أنصارا — من العرب أنفسهم — يتحمسون لها ، ويحرصون أشد الحرص عليها ، كأنهم أعداؤها وخصومها ، ولولا كتاب الله لا نمحت معالمها وطمست آثارها ،وكان بينها وبين العرب أضعف الاسباب وأوهى الصلات،

ليس من شك فى أن الأغيار على لغة العرب يفزعهم ويقض مضاجعهم ما آل اليه أمر التخاطب الذى يرتضخ عجمة، ويفيض لكنة ، ويغرق فى العامية ، واذا كانت العربية ابان الأحداث الجسام التى كابدها المسلمون هى لغة العرب بدا الفساد فى وجهها كلفا ، فان لغتنا اليوم فى كثير من الأمصار عامية قلما تمت الى الفصحى بسبب ، واذا جاز للدهماء أن يتفاهموا بالعامية وأن — يعبروا بأساليبها عن خوالجهم ، ومظاهر معايشهم، فلا يجوز فى عرف عربى مسلم



الدكتور محمد كامل الفقى
الاستاذ بكلية اللغة العربية جامعة الازهر

مسئولية المثقفين عن انتشار العامية

غيور على لغته ودينه أن يجعل هـذه العامية النكراء ظاهر أمره وسمة لسانه .

ان الاسى كل الاسى أن تجد المثقفين فى بعض الاقطار العربية لا يكاد لسانهم يستقيم بالفصحى – ولو قصدوا فى مجال علمى عربى – الاعلى جهد وتمام اعياء ، حتى كأنهم أعاجم يقلدون العربية فتتعثر بها شفاههم .

ولقد سرى داء العامية فى كل فم ، وتدسس الى مظاهر مختلفة من حياة الناس ، حتى وجدنا من بعض خطباء المنابر من يضيف الى سقم الاعراب والجهل بالنحو كلمات يبين بها عن مراده، وقد عيى عن الافصاح بالفصحى .

وفى كثير من كلام كثير من الاساتذه والمعلمين حديث بالعامية ، رغم أن لغة العلم والتأليف عربية ، وحينما يخاو التلامذة اليها سيجدونها بالعربية ، فشرحها بالعامية يوهن الأسباب بينها وبين الطلاب ، ويجرىء الطلاب على أن يقلدوا أساتذتهم فى التعبير بالعامية . وما يزيدهم ذلك الا عجزا عن معالجتها فى كل مقام .

ووسائل الاعلام يدور أكثرها على الحديث بالعامية ، ويتحرى الذى يناط به هذا الامر ألا يخطىء الى العامية فيضع موضع كلمة منها كلمة واحدة فصيحة .

حتى الندوات الادبية التى يتولاها فى وسائل الاعلام دكتور أو شيخ أو أستاذ تجدها تقرر مبادىء وأهدافا فى الآداب بلغة عامية نازلة .

واذا كنا استهنا بلغتنا الى هذا الحد وفرطنا فى صيانتها ذلك التفريط ، فنحن المسئولون عن بعد الشقة بين حالها الدامية التى انتهت اليه ، وعما صار بينها وبين اللغة الفصحى من بعد وتضاد . مسئولون عن تضارب الألسنة فى الامصار العربية ، وتباعد اللجهات بين أبناء الوطن العربى ، بل بين أبناء الوطن الواحد ، فى الوقت الذى تلح فيه الحاجة الى تعاون العرب واتحاد كلمتهم لينقى الجو العربى من المستعمر البغيض الذى يمتص دماءنا ، وينتهك حرماتها ويعبث بمقدساتنا ، وينفث سموم الفرقة بيننا .

ونحن مسئولون عن هذه الدولة التي تأثل مجدها للعامية ، حتى أصبحت لغة كتابة وتأليف وشعر يصفع أسماعنا ، ويقذى عيوننا ، فى مصبحنا وممسانا ..

ان عمل المستعمر ، وسفه الجاهل ، حول بعض التافهين من العرب الى ساخر ممن يتكلم بالعربية ومستهتر به، حتى لتقرن صورة الذين يتحدثون بها فى بعض المقامات بتهكم وأضحاك ومجون، ولو جرى على لسانك بعض معالم العربية

واتصل بها ألفاظ من كتاب الله لرأيت هؤلاء المجان يفتحون أشداقهم عجبا لك وهوانا بك ، وما يطربون الا لعامية نازلة تتمثل فى أغنية أو زجل أو نكتة أو قصة أو مسرحية ، والعزاء فى بعض الامصار التى لا تزال متأبية على هذا الاسفاف ،

وقصة التقليد الجاهل أعانت على تفاقم هذا الداء ، ففى بعض البيئات من بعض بلاد العرب من يترك لفظ الأب والأم والجدة والجد وتحية الصبح والمساء ، وكلمة الشكر والوداع ، وغير ذلك من وسائل التعبير الى كلمات أجنبية يظن أن فيها معالم حضارة ، وسمات مدنية ، وما رأينا أجنبيا واحدا يهجر لغته الى تقليد العرب ، حتى ـ بعدت الشقة بين الناس وبين لغتهم ، وصارت كل كلمة غريبة عليهم يظنونها محتاجة الى قاموس يشرح معناها . وبدت كلمات الله وكلمات نبيه والشعر الجاهلى بوجه أخص كأنها ألغاز ومعميات .

ان اللغة العربية تخنق أنفاسها ، وتعانى ما تعانيه من مظاهر الذبول ، وتتكاثر عليها العلل بيد أبنائها قبل أيدى أعدائها ، وهى أس أمجادنا ، وأسمى مقوماتنا ، ولا يطمع أولو الالباب فى أن نطب لها دفعة ، أو أن تذهب أدواؤها فجأة ، وقد خف كيد المستعمر لها ـ ، وكيده لأهلها بتحرر الكثير من أوطانها ، وانتفاضة من لم يتحرر منها بالعمل على الحرية والاستقلال وان ذلك لآت ان شاء الله .

لكن الذى يقلق العقلاء والايقاظ هو هذه الجراح التى تثخنها بجسم اللغة أيدى العرب ـ أنفسهم ، وهذا التفلت من اسارها بل من مجدها الذى يفعله الشعب العربى ذاته . وقد يرى الدارس أن أسباب هذه المحنة متعددة ، ومظاهر التخاذل متكاثرة . وهو حين يطب لها يضع لكل داء دواء ولكل علة علاجا ، والامر بهذه المثابة يطول شرحه ويقتضى البحث والصبر عليه ، وما يتسع له صدر مقالات ولو كثرت : انما الذى يغنى فيه كتب وأسفار ، لجلالة شأن ، وعظم الجدوى الناشئة منه .

والذى أريد أن أركز بحثى فيه ، وأدير دراستى عليه ، وأخصه بالشرح والبيان ، هو كتاب الله الذى لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه ، ذلك الكتاب الذى كان المعجزة الباهرة الخالدة ، الذى تنزلت آياته على رسول الله صلى الله عليه وسلم ففتن أرباب البلاغة والفصاحة ، وخروا له ساجدين وتحداهم رسول الله كافة أن يأتوا بأقصر سورة منه فتقاصرت دونها أعناقهم ، ذلك الكتاب ، صاحب اليد الطولى على لغة الضاد ، بل هو النعمة الكبرى عليها ، وهو الحارس لها من غير الزمان ، بل هو الذى كفل لها البقاء مهما ارتصد لها من كيد ، أو دبرلها من سوء ، ومهما فرط أهلها فى الاعتزاز بها ، ونأوا مهملين أو متجاهلين عن جلال شأنها . (انا نحن نزلنا الذكر وانا له لحافظون) .

انه كلما قويت صلتنا بالقرآن . فحفظنا نصه الكريم ، واكتنهنا من سره العظيم ، وملأنا عيوننا من اشراقه ، وقلوبنا من شفائه ، وروحنا من سموه ، ورطبنا بمائه شفاهنا ، وبددنا بنوره غياهب حياتنا وفرقنا به حجب غفلاتنا ، ووصلنا بأسباب سعادته ما بيننا وبين الله . كلما قويت صلتنا بالقرآن كذلك كان لنا نشيدا سحريا ، ونغما علويا . فأدمنا تلاوته ، واستحلينا التعبد به . ورأيناه مع انتظام المبادىء الكريمة والمعانى القيمة ضبطا لأصول اللغة وقواعدها ، وسجلا لذروة البلاغة وقمتها ، فأمدنا أو أمد أساليبنا بروائع ، وأهدى الى كل كاتب أو أديب أو شاعر

ما يسمو به الى سماوات وآفاق . وانما يؤخذ الشيء من مصادره .

لقد تفتحت عيوننا وعقولنا ونحن أيفاع على نصح الأساتذة لنا ، وتوجيههم لمداركنا ، اذ رأوا فينا تعلقا بالآداب العربية ، ورغبة فى أن نكون أزهارا فى رياضها ، وقطرات فى عيونها ، أن نقرأ أمهات الكتب ، وأن نتخرج فى مدارس دواوين الفحول، وأن نعكف على المقامات، ونعيش شبابنا مع الأمالى لأبى على القالى ، والأغانى لأبى الفرج الاصفهاني ، والكامل للمبرد ، والبيان والتبيين للجاحظ ، والعقد الفريد لابن عبد ربه ، وزهر الآداب لأبى اسحاق الحصرى ، ويتيمة الدهر للثعالبى وغيرهذه الروافد التى تمد الناشىء بالرى والنماء ، وقد احسنوا صنعا بهذا الذى أسدوه الينا من نصح ، وبذلوه لنا من توجيه ، فهم بذلك يؤكدون الصلات بين شباب العرب وبين آداب العرب ، ويمرسونهم بأساليب لها من البيان حظ مرموق ، وكانت هذه الأمهات قد دبجتها يراعات لم توهنها عجمة ، ولم يفسدها دخل ، ولم تدرك أعصر انحلال اللغة وغزو الأجنبى .

ثم نمت فينا بممارسة هذه الاساليب ومتابعة منابع البلاغة فى شتى مظاهرها، وادمان الاطلاع على كل طارف وتليد ، وشرقى وغربى ،وعربى ومترجم ، موهبة النقد وتمييز الخبيث من الطيب ، واستقامت لنا أوكادت أن تستقيم ملكة التفطن لما هو شحم أو ورم ، فاذا عصارة ذلك كله فتون بالقرآن وبلاغته ، ونهم فى رياضه ننشق من أريجها ما ننشق ، وصبابةلا تفيق بهذه الروائع التى نسجد لها أشد ما نكون اغراقا وتأملا .

فأول فضل لهذه البلاغة العلوية التى يشف عنها كتاب الله أنها دائمة الاشراق فى لغة العرب ، دائمة اللألاء والوضاءة فى تراكيبها وأساليبها . ولو أن الذين عكفوا على دراسة البلاغة العربية ، من الفحول الأولين خف ثقلهم عن الخلافات اللفظية ، والتحاسد العلمى ، وحلوا ألغاز تعبيرهم ، وفضوا الاصداف عن مرادهم ، وجلوا مقصودهم فى أساليب تؤلف ، وتراكيب لا تعيى ولا تستغلق لكان درس ما توفروا عليه أكثر نفعا وأتم فائدة ، ولأقبل كل متقدم ومتأخر على هذه المناهل ينهل منها ويعل .

وطبيعي أن تذوق هذه البلاغات القرآنية ، وملء النفس والعين من ريحانها واشراقها ، لا يتأتى لمن يهمل حفظه ، وينأى عن استظهاره ، ومن لا يجيد قراءته الا فى بضع آيات .

ذلك الداء الوبيل الذى استشرى فى البيئات العلمية ، حتى لتجد المثقفين المدنيين لا عهد للكثرة الكثيرة فيهم بالقرآن الا ما يسمعونه مجرد سماع ، فهم معذورون بمناهجهم المدنية التى تعرض وتطول، ولا تبقى لهم فرصة لوصل ما بينهم وبين كتاب الله الا آيات يؤدون بها الفرائض وحسبنا أن تستقيم فى لهواتهم .

وأكاد أذوى خجلا اذا نوهت بالبيئات الدينية التي تفلتت من قلائد القرآن فاعتبرتها أو ظنتها أغلالا ، فما الأغلبية المطلقة فيها استظهار الا لقصار السور ، وربما يزعجك أن تسمع الامام والخطيب يخطىء ويتعثر فيما يصلى ، أو يعظ الناس به ، ولا أكاد أرد التبعة أشد التبعة فى ذلك الا على المفرطين ممن يملكون أمر الالزام ، وبيدهم تشريع يجبر النشء على سعادته بالقرآن لو أنه أكره على حفظه ، يوم أن كان الحفظ منه كالنقش على الحجر ، يثبت ولا يعفى الزمان على آثاره .

ان يوما نعود فيه الى كتاب الله فنجد المثقفين على صلة به ، واهل المعاهد والجامعات الدينية لا يفرطون فيه لهو يوم يبشر بأن نظل موصولى الحياة بالكتاب الذى كفل مجد العربية ، بل كفل لها البقاء والخلود .

الشورى في الإسلام

للشيخ عبد الحميد السائح
رئيس محكمة الاستئناف ـ الاردن

هل للأخذ برأى الأكثرية أساس فى الاسلام ؟

من المعروف ان الشورى من القواعد التى بنى عليها نظام الحكم فى الاسلام ، وتقررت هذه القواعد بآيات قرآنية منها قوله تعالى « وشـاورهم فى الأمـر » (آية ١٥٩ من سورة آل عمران) ، وقوله تعالى فى وصف المؤمنين «وأمرهم شورى بينهم » (آية ٣٨ من سـورة الشورى .

وقد شاور النبي أصحابه يوم أحد فى أن يقيم بالمدينة او يخرج الى المشركين ، وشاور عليا وأسامة فيما رمى به أهل الافك عائشة رضى الله عنها .

وكانت الائمة بعد النبى صلى الله عليه وسلم ، يستشيرون الأمناء من أهل العلم فى الامور المباحة ليأخذوا بأسهلها ، فاذا وضح الكتاب او السنة لم يتعدوه الى غيره اقتداء بالنبي صلى الله عليه وسلم (١) .

وكان الرسول يستشـير السـواد الاعظم ، ويخص أهل الرأى والمكانـة مـن الراسـخين بالامـور التـي يضر افشاؤها ، وكان يستشيرهم فى كل امر الا ما ينزل عليه الوحي بيانه فيتبع . وكان أصحاب الرسول والائمة يجمعون من حضر من أهل العلم والرأى ورؤوس الناس فيأخذون رأيهم فيما لا نـص فيه (٢) .

ولكن الاسلام مع ذلـك لم يضـع للشورى نظاما معينا ولا كيفية محددة ،

---

(١) البخارى مع فتح البارى ، كتاب الاعتصام بالكتاب والسنة جزء ١٣ صفحة ٢٤٠ .
(٢)تفسير القرآن الحكيم جزء ٢ صفحة ٢٠٢ وجزء ٥ صفحة ١٩٥ .

لان الشريعة الاسلامية هي خاتمة الشرائع وصالحة لكل زمان ومكان .

فترك الرسول لكل أمة أن تضع لها الطريق الانسب والكيفية التي تحقق اغراض الشورى وأهدافها .

ولو وضع الرسول قواعد معينة لاعتبرها المسلمون دينا لا تجوز مخالفته، ولذلك فان ما فعله الرسول هو الأحكم والأعدل .

والاندلسيون اول من كونوا مجلسا للشورى يعين اعضاؤه من قبل الخليفة (١) .

وموضع الشورى هو الامور الدنيوية التي يتولاها الحكام ، لتأمين مصالح الناس ، ولا يدخل فى ذلك عقائد المسلمين وعباداتهم ، ولا الحلال والحرام المنصوص عليهما ، لان ذلك انما يعتمد على الوحي والتشريع الالهى .

وطريق الانتخاب التي تسير عليها كثير من الامم فى العصر الحاضر لا يعارض الاسلام فيها ، اذا عرفت الامة حقها فى الانتخاب والغرض منه ، وكان لها حرية الاختيار ، بدون ضغط ، ولا اكراه من أية جهة (٢) .

ويجب عليهم ان ينتخبوا من يكون ذا خبرة وأمانة وجرأة فى الحق ، وقدرة على تحمل المسئولية . ومن هذا يتبين ان الاسلام فى عصوره الزاهرة جعل الشورى قاعدة هامة يستند اليها .

العمل برأى الاكثرية

أما العمل برأى الاكثرية فانه يحتاج الى استقصاء وتتبع ، وانى أوضح فيما يلي بعض الحوادث والقواعد التي يعتمد عليها فى ذلك :

١ ــ كان الرسول يرى الاقامة فى المدينة يوم أحد ، حتى يرد المشركين اذا قدموا عليها ، ولكنه عمل برأى الاكثرية فى الخروج منها ، اقامة لقاعدة الشورى ، وكان عبد الله بن ابى يرى الاقامة فى المدينة أيضا فلما خرج الرسول غضب عبد الله ، وقال : اطاعهم وعصانى، فرجع بمن اطاعه ، وكانوا ثلث الناس .

وكانت خطة الرسول فى الحرب ارتكاب أخف الضررين ، ولم يخالف هذه القاعدة حين خروجه ، بل جرى عليها ، لان مخالفة رأى الجمهور ولو الى خير الامرين هضم لحق الجماعة ، واخلال بأمر الشورى (٣) .

٢ ــ لما توفى الرسول صلى الله عليه وسلم ، اختلف الانصار والمهاجرون فيمن يتولى الامر بعده ، وألقى كل فريق بيانه وحججه ، حتى سلم الانصار بحق المهاجرين تسليما أيدته الاكثرية ، وبايعوا ابا بكر .

وتخلف عن البيعة بعض كبار الصحابة ، قال الزهرى : بقي على وبنو هاشم والزبير ستة أشهر لم يبايعوا ابا بكر ، حتى ماتت فاطمة رضى الله عنها فبايعوه (٤) .

---

(١) فجر الاسلام لاحمد أمين صفحة ٢٤٠ .

(٢) تفسير القرآن الحكيم جزء ٥ صفحة ١٩٩ ، والمودودى فى نظرية الاسلام وهدية فى السياسة والقانون صفحة ٥٨ .

(٣) فتح البارى جزء ١٢ صفحة ٢٦٢ وتفسير القرآن الحكيم جزء ٤ صفحة ٩٨ .

(٤) تاريخ ابن الأثير جزء ٢ صفحة ١٢٣ وما بعدها ، والمسلمون سنة ٥ صفحة ٦٩٢ ــ ٦٩٩ .

ومع هذا فقد كانت البيعة صحيحة ، ومارس ابو بكر مسئولياته ، منذ بايعته الاكثرية .

٣ ــ استشــــار ابو بكر رؤوس المسلمين فيمن يخلف الامر بعده ، فكان رأى الاكثر ان عمر أمثلهم فعهد اليه وتولى الخلافة بعده .

٤ ــ لما أصيب أمير المؤمنين عمر الح الناس عليه ان يستخلف فقال : عليكم هؤلاء الرهط الذين قال الرسول صلى الله عليه وسلم انهم من أهل الجنة ، وهم علي وعثمان وعبد الرحمن بن عوف وسعد والزبير بن العوام وطلحة بن عبد الله ، فليختاروا واحدا منهم .

وقال اذا مت فتشاوروا ثلاثة أيام ، وليصل بالناس صهيب ، ولا يأتين اليوم الرابع الا وعليكم أمير منكم ، ويحضر عبد الله بن عمر مشيرا ولا شيء له من الامر .

وأوصى عددا من الصحابة بمراقبة اجتماع أهل الشورى ، والنتيجة التي يسفر عنها اجتماعهم .

وقال لصهيب ادخل هؤلاء الرهط بيتا ، وقم على رؤوسهم ، فان اجتمع خمسة وأبى واحد فاشدخ رأسه بالسيف ، وان اتفق أربعة وأبى اثنان فاضرب رؤوسهما ، وان رضى ثلاثة رجلا وثلاثة رجلا ، فحكموا عبد الله بن عمر ، فان لم يرضوا بحكم عبد الله بن عمر فكونوا مع الذين فيهم عبد الرحمن ابن عوف »(١) .

٥ ــ كانت خطة الائمة بعد الرسول أنهم اذا لم يجدوا فى كتاب الله افرغوا جهدهم فى تتبع عمل الرسول وأحاديثه ، فان لم يجدوا أخذوا بقول جماعة الصحابة والتابعين ، وان اتفق جمهورهم على شيء فهو المقنع (٢) .

٦ ــ عن علي رضى الله عنه قال : قلت يا رسول الله : الامر ينزل بنا لم ينزل فيه القرآن ، ولم تمض فيه منك سنة ، قال : اجمعوا له العالمين او قال العابدين من المؤمنين ، فاجعلوه شورى بينكم ولا تقضوا فيه برأى واحد (٣) .

٧ ــ عندما خرج عمر الى الشام ، لقيه فى الطريق بعض أصحابه ، وأخبروه أن الوباء حل فى الشام ، واستشار المهاجرين والانصار فاختلفوا ، ثم دعا من كان هناك من شيوخ قريش من مهاجرى الفتح ، فلم يختلف عليه رجلان، وقالوا نرى أن ترجع بالناس ، ولا تقدمهم على هذا الوباء .

فأخذ عمر برأيهم وكان هذا سبيلا لترجيح رأى على رأى ، ثم جاء عبد الرحمن بن عوف وكان متغيبا وقال : اني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول « اذا سمعتم بالوباء بأرض

---

(١) ابن الاثير جزء ٣ صفحة ٢٥ .

(٢) حجة الله البالغة جزء ١ صفحة ١١٩ .

(٣) فجر الاسلام صفحة ٢٤٠ .

فلا تقدموا عليه ، واذا وقع بأرض وأنتم بها فلا تخرجوا فرارا منه » (١) .

٨ ــ الاكثرية مدار الحكم عند فقدان دليل آخر (٢) .

٩ ــ يؤمر عليهم من كان بصيرا فى أمور الحرب وتدبيرها ، وعليهم طاعته لان مخالفة الامير حرام ، الا اذا اتفق الاكثر فيتبع (٣) .

١٠ ــ اذا اختلط موتى المسلمين بموتى الكفار ، وأريد الدفن والصلاة ، اعتبر الاكثر (٤) .

يتضح من البنود العشرة السابقة ان الرسول صلوات الله وسلامه عليه ، وكبار الصحابة رضى الله عنهم وفقهاء المسلمين أخذوا بقول الاكثرية، واعتبروه طريقا للترجيح .

ومع أنى أعتقد انه ليس من الضرورى ان يكون رأى الاكثرية هو الصواب ، بل قد يكون رأى الاقلية هو الصواب ، الا أن العمل برأى الأكثرية هو الطريق الأسلم تجنبا للفتن ، وحسما لبعض الخلافات التي قد تنشأ .

واذا حدث فى المسلمين أمر لا نص فيه ، ينبغى ان يجتهد العلماء ذوو الدراية والخبرة به ، ويستخرجوا له الحكم الشرعي الأقرب الى النظائر والأشباه .

ومنذ سنتين حينما انعقد مؤتمر مجمع البحوث الاسلامية فى القاهرة ، وبحث موضوع الاجتهاد ، واستقر الرأى على أن باب الاجتهاد مفتوح لمن تتوفر فيه الشروط ، وأن يكون اجتهادا جماعيا ، يضم خيرة علماء المسلمين ، ولا سبيل فى مثل هذه الحال بعد النقاش واستعراض الحجج الا الجنوح لرأى الأكثر .

ولا يعتمد على رأى فرد واحد مهما كانت شهرته وخبرته ، ولذلك فانالعمل سار فى جميع التشكيلات النيابية والقضائية والادارية على أن يؤخذ برأى الأكثر وهو ما تقتضيه قواعد الاسلام وأصوله .

واذا ساغ للعالم ان يخالف ما يراه الأكثر فى بعض الشؤون سيرا وراء قوة الدليل ، او تورعا واحتياطا ، فلا سبيل الى ذلك فى الشؤون العامة وفى التشريعات ، التي تقترن بأمر ولى الامر، لان ذلك يكسبها صفة الالزام .

وقبل أن أختم هذا البحث لا بد لى من الاشارة الى أن اعطاء الرأى فى المجالس النيابية او التشكيلاتالقضائية او فى البحوث العلمية وغيرها هو من الامانة ، التى لا يجوز التساهل فيها ، ولا الاقلال من شأنها ، ولا يسوغ تكوين الرأى قبل البحث والتمحيص ، وتبين وجه الحق ، وتوفر المصلحة بما يتفق وقواعد الاسلام وأصوله .

والله هو الهادى لاقوم سبيل .

---

(١) انظر الصحيحين .
(٢) رد المختار جزء ٢ صفحة ١٦٢ وفهرس ابن عابدين صفحة ٢٥٦ .
(٣) رد المختار جزء ٣ صفحة ٢٣٤ .
(٤) رد المختار جزء ١ صفحة .

مذهب الرازى فى إعجاز القرآن

كان ايمان من آمن بالنبى صلى الله عليه وسلم فى مبدأ الدعوة اقرارا بأن القرآن الكريم من عند الله تعالى ، وأنه حجة صادقة حاسمة على صدق رسالته ، وأنه غير مقدور على الآتيان بمثله ، ولا على أقصر سورة من سوره لأحد من البشر ، وكذلك اعتقد من جاء بعدهم ممن آمنوا بالرسالة المحمدية .

وكان من أقوى الأدلة على أن العرب ـ وهم أرباب الفصاحة ، وذوو اللسن ـ عجزوا عن معارضة القرآن هو لجوءهم الى السيف فى مناضلة الدعوة الجديدة ، وقد كان يقيهم ويلات هذه الحرب التي لا يدرون على من تدور الدائرة فيها أن يجيبوا النبى الى ما تحداهم به ، فيعارضوا القرآن ، ولو بالاتيان بمثل أقصر سورة ، وهذا ـ لو كان ممكنا لهم ـ أيسر عليهم ، وأخف على نفوسهم ، ولو فعلوا لفقدت دعوة النبى أقوى دعامة ترتكز عليها ، ولتضاءلت قدسيتها وجلالها فى أعين المؤمنين بها .

ولما لم يعارضوا ثبت أنهم عجزوا . . . وبذلك تفتحت القلوب للدعوة الجديدة .

ومع أن عجزهم أصبح حقيقة ثابتة لا خلاف عليها الا أن العلماء ـ بعد ذلك ـ اختلفوا فى الوجه الذى أعجز العرب من القرآن ، وذهبوا فى تحديده مذاهب شتى ، وطال النقاش والجدل ، وألفت الكتب حول الاجابة على هذا السؤال :

ما وجه اعجاز القرآن

أهو اخباره بالغيوب الماضية التي ثبت أنها وقعت ، وبالغيوب المستقبلة التي تحقق بعد الاخبار وقوعها ؟ .

أهو تفرده بأسلوب جديد مغاير لأساليب العرب فى شعرها ونثرها ؟ .

أهو الفصاحة والبلاغة اللذان بلغا حدا لا يقدر على مثله العباد ؟ .

أهو صرف العرب عن معارضته ، وقد كانت المعارضة فى مقدورهم لولا الصرف ؟ .

بكل وجه من هذه الوجوه قيل ، كما قيل بابطال كل وجه من هذه الوجوه .

وقد طال الجدل قديما وحديثا حول المذهبين الأخيرين . الفصاحة ، والصرفة ، وجاوز العلماء النقاش العلمى المتزن الى الكلمات الخطابية ، فقال ابن حزم الظاهرى : ان القرآن ليس فى أعلى درج البلاغة ومعاذ الله أن يكون ذلك "، وقال مصطفى صادق الرافعى عن مذهب الصرفة الذى قال به النظام ، وابن سنان

هل تناقض الرازي في بيان الوجه المعجز

وهل يمكن أن نقول إنه اختار رأيا ودافع عنه

للأستاذ علي محمد حسن
المدرس بكلية البنات الاسلامية ـ جامعة الأزهر

الخفاجى ، وابن حزم وغيرهم من كبار العلماء : « وهو مذهب لو قال به صبية المكاتب لكان نوعا من تخاليطهم » .

هل الرازى متناقض ؟

وقد قرأت أخيرا فى بعض المجلات الدينية أن الامام فخر الدين الرازى صاحب التفسير المشهور من القائلين بمذهب (الصرفة) ، وأنه ناقض نفسه ، فقال فى بعض كتبه بأن فصاحة القرآن هى الوجه فى اعجازه .

ولما كان الرازى اماما من أئمة المسلمين ، بل من أكبر أئمتهم ، رأيت أن أنشر على الناس رأيه فى الاعجاز .

وأول ما يتجه اليه نظر الباحث هو كتاب الرازى فى اعجاز القرآن المسمى : (نهاية الايجاز فى دراية الاعجاز) .

يبطل القول بالصرفة

وقد عرض الرازى فى صفحاته الأولى لمذاهب الاعجاز ، وأبطاها جميعا ما عدا مذهبا واحدا ، فهو يذكر مذهب (الصرفة) وينسبه الى النظام ، ثم يبطله من ثلاثة وجوه .

الأول : ـ أن عجز العرب عن المعارضة لو كان لأن الله أعجزهم عنها بعد أن كانوا قادرين عليها لما كانوا مستعظمين لفصاحة القرآن ، بل كان يجب أن يكون تعجبهم من تعذر ذلك عليهم ، بعد أن كان مقدورا عليه لهم .

الثاني : ـ لو كان كلامهم مقاربا فى الفصاحة ـ قبل التحدى ـ لفصاحة القرآن لوجب أن يعارضوه بذلك .

الثالث : ـ أن نسيان الصيغ المعلومة فى مدة يسيرة يدل على زوال العقل ، ومعلوم أن العرب ما زالت عقولهم بعد التحدى . فبطل ما قاله النظام .

ويذكر مذهب القائلين (بابتداء الأسلوب) ، ويبطله من خمسة أوجه ، وكذلك يبطل مذهب من جعل الاعجاز فى أن القرآن ليس فيه اختلاف وتناقض ، ثم يقول : (ولما بطلت هذه المذاهب ، ولا بد من أمر معقول حتى يصح التحدى به ، ويعجز الغير عنه ، ولم يبق وجه معقول

فى الاعجاز سوى الفصاحة علمنا أن الوجه فى كون القرآن معجزا هو الفصاحة) .

وهذا كلام واضح لا لبس فيه ولا غموض ، وهو يثبت بما لا يحتمل شكا ولا تأويلا أن الرازى كان يرى أن وجه اعجاز القرآن هو فصاحته التي عجز عنها العرب ، ويرى كذلك أن ما عدا هذا الرأى باطل .

غير أن الرازى ذكر فى تفسيره ما يعد رجوعا عن هذا الرأى ، وكتاب نهاية الايجاز سابق لكتاب التفسير ، يدلنا على ذلك ما جاء فى تفسيره لقوله تعالى (وان كنتم فى ريب مما نزلنا على عبدنا فأتوا بسورة من مثله) فقد قال **(ومن تأمل كتابنا فى دلائل الاعجاز علم أن القرآن قد بلغ فى جميع وجوه الفصاحة الى النهاية القصوى) .**

وقد تتبعت الرازى فى أكثر من موضع من تفسيره ، وهأنذا أفصل القول فيما أرجح أنه انتهى اليه رأى الرازى فى وجه اعجاز القرآن .

جاء فى تفسيره لقوله تعالى : (آمن الرسول بما أنزل اليه من ربه والمؤمنون) قوله : ((ومن تأمل لطائف نظم هذه السورة ، وفى بدائع ترتيبها علم أن القرآن كما أنه معجز بحسب فصاحة ألفاظه ، وشرف معانيه ، فهو — أيضا — معجز بحسب ترتيبه ونظم آياته) ، وهو يجعل — هنا — النظم غير الفصاحة ، بل يقول عن هذا النظم . ((ولعل الذين قالوا انه معجز بسبب أسلوبه أرادوا ذلك) .

والحقيقة أن الذين قالوا بأن القرآن معجز لابتدائه بأسلوب جديد ، لم يريدوا مجرد التناسب بين ألفاظ القرآن ، وبين آياته ، بعضها مع بعض ، هذه الامور التي يراها الرازى ((لطائف وأسرارا)

وانما أرادوا الصورة العامة التي جاء عليها نظم القرآن مما لا نظير له فى نظم العرب ونثرها ، ولا يعتبر قول الرازى هذا اعترافا بالأسلوب وجها من وجوه الاعجاز ، فانه انما أراد به الترتيب والنظم ، وهما أهم أركان الفصاحة التي يقول بها .

وربما كان هذا الموضع هو متعلق الشيخ السيوطي فى قوله الذى أورده فى الاتقان فى فصل اعجاز القرآن . ((وقال الامام فخر الدين . وجه الاعجاز الفصاحة ، وغرابة الأسلوب ، والسلامة من جميع العيوب) ، فاذا كان الأمر كذلك — أعنى أن السيوطى اعتمد على هذا الموضع — كان لنا أن نقول ان الوجه الذى اعتمده الرازى لا يزال هو (الفصاحة) لأن غرابة الأسلوب ما هى الا النظم الذى ذكر فى هذا الموضع ، أما السلامة من جميع العيوب فهى لازمة من لوازم الفصاحة .

ويؤيد ذلك ما ذكره الرازى عند تفسيره لقوله تعالى : ((أم يقولون افتراه قل فأتوا بعشر سور مثله مفتريات وادعوا من استطعتم من دون الله ان كنتم صادقين) من سورة هود . فقد قال بعد أن ذكر اختلاف الناس فى الوجه الذى كان القرآن به معجزا ، وهل هو الفصاحة أو الأسلوب أو عدم التناقض ، أو اشتماله على العلوم الكثيرة ، او الصرف ، أو اشتماله على الاخبار عن الغيوب ، قال : ((والمختار عندى وعند الأكثرين أنه معجز بسبب الفصاحة ، واحتجوا على صحة قولهم بهذه الآية ، لأنه لو كان وجه الاعجاز هو كثرة العلوم أو الاخبار عن الغيوب أو عدم التناقض لم يكن لقوله ((مفتريات) معنى ، أما اذا كان وجه الاعجاز هو الفصاحة صح ذلك ، لأن فصاحة الفصيح تظهر بالكلام سواء كان الكلام صدقا أو كذبا ، وأيضا لو كان الوجه فى كونه معجزا هو الصرف لكان دلالة الكلام الركيك النازل فى الفصاحة على هذا المطلوب أوكد من دلالة الكلام العالى فى الفصاحة) .

وفى هذا الموضع زاد ذكر وجه من وجوه الاعجاز وهو (العلوم الكثيرة) كما زاد دليلا على بطلان مذهب الصرفة .

وهو هنا يرد القول بالعلوم الكثيرة لكنه فى تفسيره لقوله تعالى : (وما كان هذا القرآن أن يفترى من دون الله ولكن تصديق الذى بين يديه وتفصيل الكتاب لا ريب فيه) من سورة يونس . يقول : (واعلم أن الناس اختلفوا فى أن القرآن معجز من أى الوجوه ؟) .

فقال بعضهم انه معجز لاشتماله على الاخبار عن الغيوب الماضية والمستقبلة ، وهذا هو المراد من قوله (وتصديق الذى بين يديه) .

ومنهم من قال : انه معجز لاشتماله على العلوم الكثيرة، واليه الاشارة بقوله : (وتفصيل كل شىء) .

قال : وتحقيق الكلام فى هذا الباب — ثم قسم العلوم الى دينية ، وغير دينية ، وقال ان الأولى أرفع شأنا ، ثم قسم الدينية الى علم عقائد ، وعلم أديان ، وعلى أعمال ، وذكر أن القرآن اشتمل على كل ذلك — ثم قال : « فثبت أن القرآن مشتمل على تفاصيل جميع العلوم الشريفة ، عقليها ونقليها اشتمالا يمتنع حصوله فى سائر الكتب ، فكان ذلك معجزا ، واليه الاشارة بقوله : وتفصيل الكتاب) .

فيعتد اشتمال القرآن على (العلوم الكثيرة) وجها من وجوه الاعجاز ، وكل ما يمكن أن يعتذر به عن هذا التناقض أن آية هود لا دلالة لها على هذا الوجه (العلوم الكثيرة) بل هى نافية له (1) !! .

ثم يقول بالصرفة

ثم تأتى شبهة قول الرازى (بالصرفة) ، وذلك فى مواضع من تفسيره .

1 — جاء فى تفسيره لآية الاعجاز من سورة البقرة . (وأن كنتم فى ريب ... الآية) أن اعجاز القرآن يمكن بيانه من طريقين .

الأول : — أن القرآن مساو لكلام الفصحاء ، أو زائد زيادة لا تنقض العادة ، أو زيادةتنقضها ، والأولان باطلان لأنه لو كان كذلك لوجب أن يأتوا بمثله ، ولما لم يأتوا بالمعارضة علمنا أن القرآن لا يماثل كلامهم ، وأن التفاوت بينه وبين قولهم ليس معتادا ، بل هو ناقض للعادة ، فوجب أن يكون معجزا .

الطريق الثانى : — القرآن لا يخلو اما أن يكون بالغا فى الفصاحة الى حد الاعجاز ، أو لم يكن كذلك ، فان كان الأول ثبت أنه معجز ، وان كان الثاني **كانت المعارضة على هذا التقدير ممكنة ، فعدم اتيانهم بالمعارضة — مع كون المعارضة ممكنة ، ومع توفر دواعيهم على الاتيان بها — أمر خارق للعادة ، فكان ذلك معجزا ، فثبت أن القرآن معجز من جميع الوجوه .**

قال الرازى — بعد أن أوضح الطريقين عن الطريق الثانى . (وهذا الطريق عندنا أقرب الى الصواب) .

وهذا كلام ظاهره أن الرازى يميل الى القول بأن الله صرف العرب عن معارضة القرآن ، وأن هذا هو الوجه الذى من أجله كان الاعجاز ، وهو الذى غر من ادعى على الرازى ذلك .

ثم هو يؤكد هذا بعد أسطر ، فيورد اعتراضا،ثم يجيبعليه. (فان قيل . قوله تعالى . (فأتوا بسورة من مثله) يتناول سورة الكوثر ، وسورةالعصر ، وسورة . قل يأيها الكافرون. **ونحن نعلم بالضرورة أن الاتيان بمثله أو بما يقرب منه ممكن .** فان قلتم : ان الاتيان بأمثال هذه السور خارج عن مقدور البشر كان ذلك مكابرة ،

---

(1) وكان هناك يفسر الآية ملتزما بالفرض الذى فرضته « مفتريات » الذى يتنافى مع العلوم فالمفترى لا يكون علما ، ومع ذلك فالاعتذار ضعيف . « الوعى »

والاقدام على أمثال هذه المكابرات مما يطرق التهمة الى الدين . قلنا . **فلهذا السبب اخترنا الطريق الثانى ، وقلنا ان بلغت هذه السورة فى الفصاحة الى حد الاعجاز فقد حصل المقصود ، وان لم يكن الأمر كذلك كان امتناعهم عن المعارضة مع شدة دواعيهم الى توهين أمره معجزا .**

ثم يعيد هذا المعنى فى هذا الموضع مرة ثالثة .

وخلاصة هذا الكلام ــ على ما يبدو فى بديهة الرأي ــ أن الرازى لا يرفض القول بالصرفة ، ولا يرفض جواز أن يكون فى بعض سور القرآن ما لم يبلغ حد الاعجاز فى الفصاحة ، وكان فى مقدور العرب أن يجيئوا بمثله .

٢ : ــ ولا يفتأ الرازي يكرر هذا القول، فيشير عند تفسيره لقوله تعالى : (قل لئن اجتمعت الانس والجن على أن يأتوا بمثل هذا القرآن لا يأتون بمثله ولو كان بعضهم لبعض ظهيرا) الى ما نقلناه آنفا من قوله فى تفسير سورة البقرة ، ويقول انه بالغ هناك فى بيان اعجاز القرآن ، وأن للناس فيه مذهبين . أن القرآن معجز فى نفسه ، وأنه ليس معجزا فى نفسه الا أنه تعالى لما صرف دواعيهم عن الاتيان بمعارضته ، مع أن تلك الدواعى كانت قوية كانت هذه الصرفة معجزة .

ثم قال : (**والمختار عندنا فى هذا الباب أن نقول : القرآن فى نفسه اما أن يكون معجزا أو لا يكون ، فان كان معجزا فقد حصل المطلوب ، وان لم يكن معجزا بل كانوا قادرين بمعارضته ، وكانت الدواعى متوفرة على الاتيان بهذه المعارضة ، وما كان لهم عنها صارف ومانع . وعلى هذا التقدير كان الاتيان بمعارضته واجبا لازما ، فعدم الاتيان بهذه المعارضة مع التقديرات المذكورة يكون نقضا للعادة فيكون معجزا ، فهذا هو الطريق الذى نختاره فى هذا الباب) .**

وهو هنا يكرر ما قاله فى تفسير سورة البقرة، غير أنه ــ هنا ــ يصرح بالصرفة ، ولم يذكر هناك لفظها ، وهو فى الوقت الذى يحكى فيه أن الصرفة سبب من أسباب الاعجاز يثبت هذه العبارة . (وما كان لهم صارف ولا مانع) أى ليس صارف عن دواعى المعارضة كان للعرب ، مع أنه فى الفقرة السابقة : يقول: (الا أنه تعالى لما صرف دواعيهم) . فلعله يريد . ما كان لهم صارف ظاهر .

بعد هذا نقول : ربما كان الباحث الذى نسب الى الرازى التناقض فى رأيه ، ونسب اليه القول بالصرفة معذورا ، ولكن كيف نقر هذا والرازى يرد مذهب الصرفة ، ولا يفتأ يتحدث عن فصاحة القرآن .

فيقول مرة عن القرآن انه (بلغ فى جميع وجوه الفصاحة الى النهاية القصوى) ويقول فى أخرى . (انه فى الفصاحة بلغ النهاية التي لا غاية لها) ومرة ثالثة يقول : (انه جاء فصيحا فى كل الفنون على غاية الفصاحة) .

وقد كان يمكن أن نحمل رأى الرازى فى الصرفة على أن الصرف كان مع عجز العرب عن معارضة القرآن لفصاحته ، وأنه لا تنافى بين القول بهذا المذهب ، والقول بأن القرآن بلغ النهاية فى الفصاحة ، لولا أن الرازى يكاد يسلم فى بعض ما نقلنا عنه أن بعض السور لم تكن بالغة حد الاعجاز ، وأنه فى كل موضع أشار فيه الى هذا المذهب قرنه بأن القرآن كان فى مقدور العرب .

ولما يكن ذلك عندنا ممكنا ، وكان ادعاء التناقض فى رأى الرازى فى أمر كهذا تنقصا من قدر هذا الامام ، كان من الانصاف أن نمعن النظر فى كلام الرازى لعلنا نجد وجها مقبولا نحمله عليه .

دفاع عن الرازى !

وأقرب ما يمكن حمل كلام الرازى عليه أن « اختياره » ليس اختيارا لمذهب ، ولكنه اختيار لطريقة فى الاستدلال ، فهو فى كل مرة يردد القول بين الاعتراف بأن القرآن بلغ الغاية فى الفصاحة ، وبين عدم الاعتراف بذلك ، ثم يقول اننا مع الخصم نقول له : ان كان القرآن معجزا فى ذاته فقد ثبت المطلوب ، وان لم يكن فهو معجز أيضا ، لأن العجز عن المعارضة مع امكانها أمر ناقض للعادة ، وكأن الرازى يريد أن يلزم الخصم بثبوت اعجاز القرآن . فهذا هو الاهم عند الرازى ، ومجاراة الخصم تنتهي الى هذه النتيجة على كل حال .

والرازى عالم متفلسف ، دارس للمنطق ، وقد ذكر أنه فسر سورة البقرة على الوجه العقلى ، لا النقلى ، فهو يختار من طرق الاستدلال ما يرى أنه أقوى الزاما للخصم ، وقد رأى ذلك فى « الطريق الثانى » الذى ذكره فى تفسير سورة البقرة .

نعم ان الرازى ربما تخلى عن رأيه فى بعض المواضع ، ولكن ذلك حين يكون الأمر أشد احتفالا باعجاز القرآن .

فقد رأيناه ينكر أن يكون الأسلوب وجها من وجوه الاعجاز ، كما ينكر أن يكون الاخبار عن المغيبات وجها كذلك .

لكنه فى تفسيره لقوله تعالى : « شهر رمضان الذى أنزل فيه القرآن » يعلل تسمية كتاب الله (قرآنا) فيقول : « أو لأن ما فيه من الدلائل الدالة على كونه من عند الله مقترن بعضها ببعض ، أعنى اشتماله على جهات الفصاحة ، وعلى الأسلوب الغريب ، وعلى الاخبار عن المغيبات ، وعلى العلوم الكثيرة » .

وقد يقال ان الرازى يفرق بين دلالة الأمر على كون القرآن من عند الله ، وبين دلالته على أنه معجز .

فمثلا (الاخبار عن المغيبات) يدل على أن القرآن من عند الله ، ولكنه لا يقع به التحدى ، وذلك لأنه أمر غريب ما دام المدلول عليه مجهولا ، فاذا علم زالت غرابته ، وأصبح أمرا مألوفا ، وليس كذلك شأن المعجز ، الذى أيدت به خاتمة الرسالات ، لأنه ينبغي أن يكون دائم الاعجاز .

وبذلك نفسر هذا الكلام الأخير للرازى .

وأيا ما كان فانه من المستبعد أن يتسامح الرازى فى القول (بالصرفة) ، كما يتسامح فى سرد هذه الأمور ، التي وردت فى عبارته الأخيرة .

وربما كان من القريب للصواب أن يفهم فاهم أن الرازى يقول بفصاحة القرآن فى السور التي تثبت فصاحتها وبذلك يكون عجز العرب ، أما السور التي يكون من المكابرة القول بفصاحتها مثل سورة الكوثر فان الاعجاز فيها بصرف العرب عن معارضتها وأمثالها .

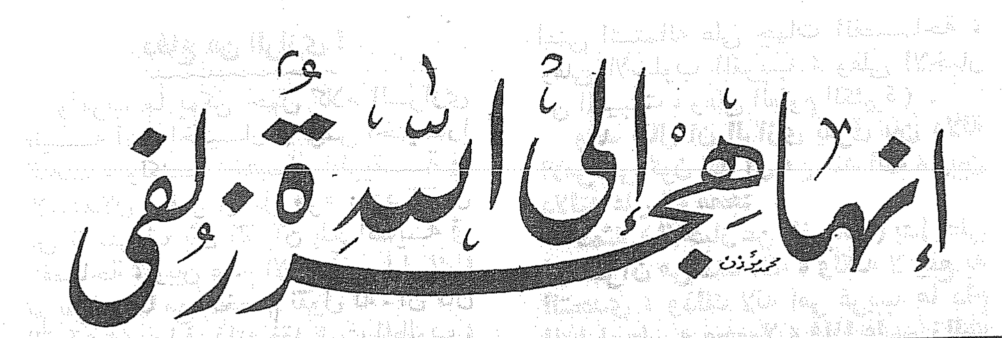
ولكن يرد ذلك أن الرازى عقد فصلا فى كتابه (نهاية الايجاز) عنوانه (اعجاز سورة الكوثر) كما أنه فى كتابه « التفسير » يطيل اطالة ملحوظة فى بيان الفوائد التي تؤخذ من هذه السورة ، وهذا الصنيع يشعر بأنه يحاول الرد على من يتوهم أن هذه السورة غير معجزة (١) .

والله أعلم بالصواب

---

(١) حاول الكاتب الفاضل جهده أن يدافع عن الرازى وما بدا فى كلامه من تأرجح ـ فى بيان وجه الاعجاز ـ بين القول بالفصاحة والقول بالصرفة . وقد كان موقفه الدفاعي صعبا ـ كما ترى ـ أمام صراحة الرازى فيما ذهب اليه من هذا الرأى حينا أو ذاك الرأى حينا آخر .. فاذا كان يعتمد القول ـ وقد قال ـ بالفصاحة المعجزة فى كل آيات القرآن فلا يصح حينئذ القول بالصرفة . فكيف يقول بعد ذلك عنها أنها الرأى الذى يختاره ويكرر ذلك فالواقع أن الدفاع عن الرازى حمل ثقيل أمام هذا التناقض الظاهر .. ولا يزال الأمر فى حاجة الى تمحيص ممن يريدون أن يدفعوا عنه هذا التناقض .. ونحن نرحب بكل من يريد أن يدلى بدلوه حول هذا الموضوع .

« الوعى الاسلامى »



روّعَ الأرض ما ارتوت من دماء ... واستُذِلتْ من أنفس عصماء

واستبيحت في العالمين هَوانـاً ... من معان كريمة زهـراء

فهفت للسماء تدعو إلهـا ... راحمـا بالعباد جم السخاء

رب . ان الشرور عمت وأربت ... وتدجت غوائل الظلمـاء

وتبدى الانسان أغلظ قلبـا ... من وحوش الفلاة والصحراء

عاث في الكون مفسدا همجيا ... يزدهيه الطغيان شر ازدهاء

***

ها همو عصبة الهوى من قريش ... اجمعوا أمرهم على نكراء

والرسول الأمين يدعو البرايا ... للسبيل القويمة الغـراء

نقموا منه أنه لا يـولى ... وجهه للحجارة الصمـاء

ليس يثنيه مصلت من حسام ... جردته البغاة للايـذاء

عن كفاح لكل طاغ عصى ... محرق قلبَه لظى البغضاء

انه الحق ساطعا مستنيرا ... ليس يخفيه باطل الادعياء

***

قيل . يأيها النبي إطّرِحْهم ... أنهم أمة أولو شحناء

اثخنوا المسلمين جُرحا وبَرْحا ... ثم ساموهمو هوان الشقاء

وبلال يشفى أمية منه ... حقده باطراحه في العراء

والفتى المؤمن الكريم صبور ... رغم سوء العذاب في الرمضاء

***

للاستاذ حسن فتح الباب

قيل . يأيها النبى ترحل — عن ديار تغص بالأدواء
عن ديار لمفسدين غواة — ظلمهم بالغ عنان السماء
كم تداعوا لينصروا مستبداً — وأصاخوا الى نذير العداء
ومضوا يضرمون نار الخطايا — وتنادوا بالشر شر نداء
ناوءوا الهادى الأمين وراحوا — يملئون الطريق بالأقذاء
وعموا عن ضيائه لم يروه — وهو منهم دان كضوء ذكاء

***

هاجر المرسل العظيم بليل — ليس يرعاه غير رب السماء
يشترى دينه بأهل وجاه — تلك عليا مراتب الأنبياء
وأبو بكر صفوة الصحب طرا — انه المرتجى لدى البأساء
يفتديه بنفسه وبنيه — وبمال له على السراء

***

تلك أسماء بنته وهى غر — طفلة لا تضيع حق الوفاء
تحمل الزاد للرسول المفدى — وأبيها الصديق في البيداء
تزدرى بالعناء ليس تبالى — شرة منه أو نذير بلاء
خضب الشوك في السرى قدميها — بجراح زكية ودماء
وعلى الغار للحمائم شدو — وعشاش ظليلة الأفياء
معجزات أعمت عيون بغاة — ورمتهم صرعى بلا إرداء

***



بلغ الصاحبان بعد عناء — في ليال شديدة الاسراء
يشرب الحرة الكريمةَ أهلا — فزهت في المدائن الزهراء
وتلقاهما من الأوس وفد — بالثنيات والربى والفضاء
ومن الخزرج الكماة رجال — صدقوا العهد في دجى الضراء

***

انها هجرة الى الله زلفى — في سبيل العقيدة السمحاء
فيصل بين ضلة ويقين — ومنار لعزة قعساء
اليتيم الفقير أنقذ كونا — سادرا في ظلالة عمياء
اليتيم الفقير أرسى صروحا — من معاني الاعظام والاعلاء

***

أشرق العام أنعُما وسُعودا — عبقرى السنا أغرَّ الرداء
عيد حرية وعدل وهدى — وسلام على الثرى والسماء
عيد خير على الأنام تجلى — وصلاح ونهضة وعلاء
هلْ في غيهب الحياة شعاعا — ألمعيا من قوة ومضاء

***

أمة الصالحين دمت منارا — وأظلتك وارفات الرجاء
في أمان من الهوان وعيش — قدسى الأفياء والأضواء

الفتح القدسى » . ونحن نعلم أن بيت المقدس قدأخذها الصليبيون من المسلمين فى العصر الفاطمى فى سنة ٤٩٢هـ ،وكان الجيش المصرى المدافع عنها تحت قيادة الافضل بن بدر الدين الجمالى . وقد قتل من المسلمين فى هذه الموقعة نحو سبعين الف مسلم ، وارتكب المعتدون من المنكرات مالا ينساه التاريخ . وظلت بيت المقدس فى أيدى الصليبيين ما يزيد على تسعين عاما ، الى أن جاء صلاح الدين فاستنقذها من يد الصليبيين ، وضرب من الامثلة فى السماحة والعفو وحسن الخلق ما يعد نموذجا للخلق الاسلامى الكريم .

وقد عد المؤرخ العماد الاصفهانى فتح صلاح الدين لبيت المقدس سنة ٥٨٣هـ فتحا ثانيا جديدا للاسلام ، فألف كتابه هذا فى وصف معركة فتح القدس ، ووازن فى المقدمة بين فتح الشام فى عهد عمر بن الخطاب ، وفتحه فى عهد صلاح الدين قائلا : « وهذه الهجرة أبقى الهجرتين ، وهذه الكرة بقوة الله أبقى الكرتين . فان العرب كانت اذا تناهت فى وصف الرجل بالقوة قالت : كأنه كسر ثم جبر ، والحق أن نقول : ان أطول الحياتين حياة المرء اذا مات ثم نشر . والعيان يشهد ان أمنع السورين ما عمر بعد أن ثغر ... » .

وقد جرى العماد الاصبهانى فى كتابه عن فتح القدس على طريقة عصره وطريقته هو بالذات من التزام السجع ، وحلية اللفظ . ويمثل لنا كتاب « الفتح القدس » الكتابة المسجوعة فى تدوين التاريخ ، وهى الطريقة التي كتب بها أبو النصر العتبى سيرة السلطان المسلم الفاتح محمود الغزنوى ، وكتبها ابن عربشاه فى كتابه « عجائب المقدور فى نوائب تيمور » وهو فى سيرة السلطان التترى المسلم تيمورلنك . وقد تأثر بعض كتاب السير والتراجم بطريقة السجع هذه ، كما فعل الثعالبى فى « يتيمة الدهر » وابن خاقان فى كتابه « مطمح الانفس » .

اهمية الفتح القدسى

ولم يكن العماد الاصبهانى فى تدوينه لفتح القدس واستردادها من أيدى الصليبيين ناقلا من كتب ، ولا راويا عن رواة ، ولكنه كان شاهد عيان ، حضر خطوات المعارك من أولها الى آخرها ، ودونها مشهدا مشهدا ، وكان على مقربة من البطل صلاح الدين يسجل الوقائع ويدون الحوادث . فحديثه عن فتح بيت المقدس حديث المكاشفة والبيان ، والمشاهدة والعيان . ومن هنا كان كتاب « الفتح القدسى » مما لا يليق بعربى أن يغفله ، لانه يصور اروع صفحة من صفحات النضال ، كما لا يجوز لمؤرخ شرقى أو غربى أن يهمله ، لانه ألم من اطراف المعركة بما قد لا يجده الباحث فى كتاب آخر .

دحلان

ولا نظن أيها القارىء الكريم أن كتب الفتوح الاسلامية الجامعة قد انتهت بعد كتاب فتوح البلدان للبلاذرى ، فقد وجد على مسار التاريخ أكثر من مؤلف فى مثل هذا النوع من الكتب . وأقربهم من زماننا العالم الفقيه المؤرخ أحمد زيني

دحلان المكى المولد ، والمدنى الوفاة والمتوفى سنة ١٨٨٦م . وقد اشتهر الرجل بكتابه « الفتوحات الاسلامية ، بعد مضى الفتوحات النبوية » الذى طبع بالقاهرة فى جزءين كبيرين . وعلى الرغم من ان هذا الكتاب الضخم يغطى مدى متطاولا من تاريخ الفتح الاسلامى حتى العصور المتأخرة ، فقد استطاع مؤلفه فى دقة وايجاز ، وحسن اهتداء للمصادر ، وتنظيم للحوادث ، وعبارة مرسلة دالة على المعنى المراد بأوضح أسلوب أن يجمع لنا أخبار الفتوحات الاسلامية منذ عهد الخلفاء الراشدين فمن بعدهم ، دولة فدولة ، وجيلا فجيلا . كما استطاع أن يحدثنا فى وعى تام عن دخول الاسلام فى البلاد حتى عهده فى القرن الماضى . ثم رأى أن يستطرد بذكر دخول النصرانية فى أكثر بلاد آسيا واوربا . ومن استطراداته المفيدة ما ذكره عن استيلاء الفرنسيس على مصر وترتيب ديوانهم واضطرارهم الى الخروج منها ، وذكر احتلال فرنسا للجزائر وتألب الدول الاوروبية على الدولة العثمانية التى كانت تمثل الاسلام بضعة قرون .

بتلر

وإذا كان الفتح الاسلامى لمصر قد ظفر من المؤرخ العربى القديم ابن عبد الحكم بكتاب مستقل، فان العصر الحديث قد حظى بتاريخ لهذا الفتح كتبه مؤرخ انجليزى بالانجليزية ، وترجمه مؤرخ عربى مصرى الى العربية ، أما الكتاب فهو « فتح العرب لمصر » ، وأما مؤلفه فهو الدكتور الفرد بتلر ، وأما معربه فهو الاستاذ محمد فريد أبو حديد . ويمتاز هذا الكتاب بدقته وتحريه للحقائق وحيدة مؤلفه وحسن استغلاله للمصادر وانصافه الذى اقتضاه الدفاع عن بعض مفتريات شائعة ، كاتهام العرب المسلمين بأنهم احرقوا مكتبة الاسكندرية مما يتنافى مع ما عرف عن العرب والمسلمين من اتساع الافق والترحيب بالعلم وحرية الفكر . فابان الرجل المؤرخ المنصف أن العرب عندما دخلوا الاسكندرية بعد الفسطاط فاتحين ، لم يجدوا فيها مكتبة جامعة ، لانها كانت قد أحرقت على يد غيرهم من برابرة الفكر بزمن طويل ..

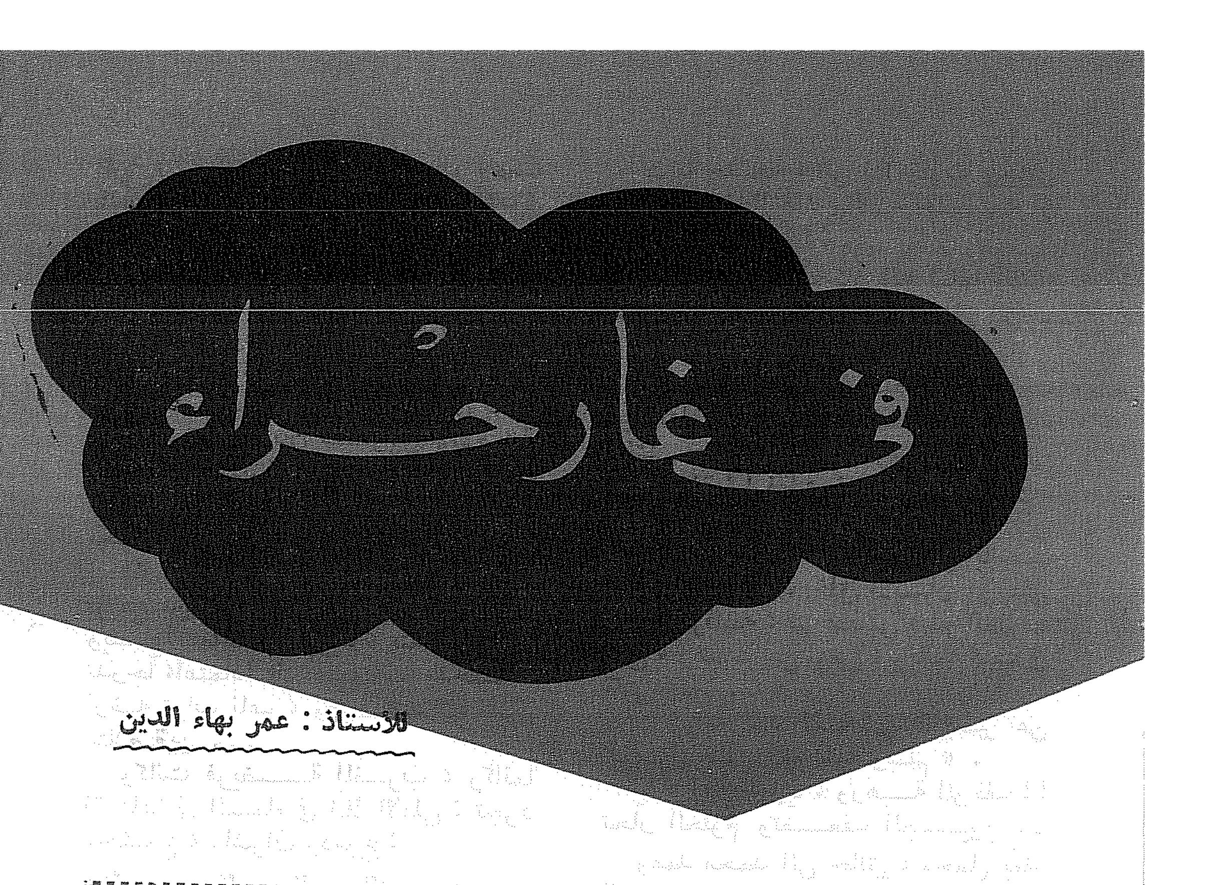
شكرى فيصل

وهناك كتاب جامع عن « حركة الفتح الاسلامى » فى القرن الاول كتبه الدكتور شكرى فيصل . وهو يعالج قضايا المجتمع الاسلامى الناشىء فى ذلك العهد البعيد معالجة واعية، فيكشف عن موقف أهل البلاد المفتوحة وموقف الطبقات فيها من الامة الفاتحة الجديدة . كموقف أهل السواد عن موقف العرب اوالفرس فى فتح العراق . ويتفطن الى مسائل دقيقة فى حركة مقاومة المسلمين الفاتحين تبعا لاعتبارات خاصة .. ففى فارس وما وراء النهر والسند لم تكن هناك لغة عربية تعطف أهل البلاد على الحركة الاسلامية وتقربهم منها .. على حين كان فى العراق وسورية ومصر احيانا هذا التشابك والتواصل بين الدماء .

حسين مؤنس

أما كتاب « فتح العرب للمغرب » الذى كتبه الدكتور حسين مؤنس فهو تنظيم لطائفة من المعارف المبعثرة فى كتب التاريخ والفتوح ، على منهج علمى سليم ، حيث التقى العرب الفاتحون بأهل الشمال الافريقى التقاء الفاتح ضد المكافح ، فانقاد الاثنان — بعد أن فتح الله على المغاربة بالاسلام — الى اجتياز البحر الى الاندلس حيث قام للاسلام هناك ملك كبير ، لم يدم الا بضعة عصور ، حيث ألوت به الصبا والدبور .

ولله عاقبة الامور ..



للأستاذ : عمر بهاء الدين

ـ يا أم المؤمنين ، حدثينا عن طلائع الوحي ؟ .

ـ قالت عائشة رضي الله عنها : أول ما بدىء به رسول الله صلى الله عليه وسلم من الوحي ، الرؤيا الصادقة في النوم فكان لا يرى رؤيا الا جاءت مثل فلق الصبح ، ثم حبب اليه الخلاء ، فكان يخلو بغار حراء ، يتحنث فيه الليالي ذوات العدد ، ويتزود لذلك ، ثم يرجع الى خديجة فيتزود لمثلها ..

غار حراء ، في أعالي الجبل ، على مشارف أم القرى ...

جبل النور ، صاعد ، مقطوع الانحدار ، كأنه جدار مائل ، تلفه صخور نهداء جرداء ، يدور بمرتقيه نحو « قمة » ذات بسطة ...

كان رفيقي اليه ، صديق من كرام أبناء مكة ... وكادت أنفاسنا تتقطع اعياء ... أول صعودنا ... وكنا ، مرة بعد مرة ، نبحث عن سطح صخرة ملساء ، تتسع لنا متجاورين أو متقاربين ، نسترد أناة صدرنا ، ونتنفس الصعداء ، وقد ننادي بالدليل الذي يتقدمنا ، فيعود الينا بحافظة الماء البارد نتروى جرعا ، قبل أن نتابع الصعود ..

... واصفرت الشمس ، وامتدت المشارف ... وسمونا عن الأرض ، أكثر مما علونا .. وبدل أن يزداد اعياؤنا ، كان يتناقص !! قلت لصاحبي وكان يشكو الربو : أما زلت في ضيق ؟ قال : بل ذهب عني كل ما كان ، يضر بي !! وجلسنا جلسة المستريح ، هذه

المرة ، نتأمل غروب الشمس فى صمت بليغ ، زاخر بالمشاعر والأحاسيس ، وفى جوانحنا قوة دافعة تحلق بنا فوق ذرى التاريخ ...

كان الصمت يذوب ، وتتسامع خفقات القلوب .. وارتقينا حتى بلغنا القمة ، مع آخر ذرة من شعاع ذكاء .. وأخذنا بهر ، فلم نملك أنفسنا أن نؤذن بأعلى الصوت ، مشبوبين مجذوبين والأصداء تتجاوب وتعيد : الله أكبر الله أكبر ، أشهد ألا اله الا الله ... أشهد أن محمدا رسول الله .

غار حراء ، تجويف تعلوه الصخور ، يرتفع عن قامة الرجل الطويل ولا يكاد ، ويتسع لتمدده ولا يزيد ، ينحدر اليه تدرجا ،اعتمادا على جوانب مدخله ، أرضه تراب ناعم ، وعرضه صلاة اثنين متلاصقين ...

وكانت فريضة المغرب ، وكأنما أقمناها فى السماء فى الملأ الأعلى : تجرد وخشوع ، واشراق ودموع :

هنا سجد المصطفى والدموع
تخط أخاديد فوق الخدود
سجود تجلى على الاله
باشراقة ، يا له من سجود
سجود تلبس من روحه
شذى ملؤه نفحات وجود
يدور مع الدهر فى كل قلب
تقى ، وفى كل عود يعود

***

وهام الهوى بجناني بعيدا
بعيدا ، وراء الرؤى والحدود
فطالعت ، والوجد يحدو خيالى
صحائف من سفر مجد الجدود
وقد كتب ((الدهر)) عنوانه ،
بنور الجهاد : ((صراط الخلود))
فأومض فى نور عيني بريق
الفتوح ، وخفق القنا والبنود
وقام المكان ، وغاب الزمان
وعشت بروحى تلك العهود

ــ يا خديجة ، انى اذا خلوت وحدى سمعت نداء !! فقد والله خشيت أن يكون هذا امرا ؟ ! ! .

ــ معاذ الله ، ما كان الله ليفعل بك ، فوالله انك لتؤدى الأمانة وتصل الرحم وتصدق الحديث ...

« جاءنى وأنا نائم ، بنمط من ديباج ، فيه كتاب ، فقال : اقرأ ! فقلت: ما اقرأ ، فغتنى حتى ظننت أنه الموت ،ثم أرسلنى فقال : اقرأ ! فقلت : ماذا اقرأ ؟ ! وما أقول ذلك الا افتداء من أن يعود الى بمثل ما صنع بى . فقال : اقرأ باسم ربك الذى خلق . خلق الانسان من علق ... فقرأته ، ثم انتهى ، ثم انصرف عنى ، وهببت من نومى ، وكأنما كتب فى قلبى كتابا .. » .

« رواية عبد الله بن الزبير عن الرسول صلى الله عليه وسلم » .

يا لروعة الرؤيا ، ورهبة الموقف ! ! تحار الحلوم وتضعف الجسوم ..

وعمد محمد الى حالق ، وجعل يعلو الشواهق ..

« يا خديجة ، حتى اذا كنت فى وسط الجبل ، سمعت صوتا من السماء يقول : ــ يا محمد ، أنت رسول الله ، وأنا جبريل ، فرفعت رأسي الى السماء فاذا جبريل .. فوقفت أنظر اليه .. فما أتقدم وما أتأخر ، وجعلت أصرف وجهى عنه فى آفاق السماء ، فلا أنظر فى ناحية منها الا رأيته ! ! » .

وتابعت عائشة رضى الله عنها روايتها ... حتى جاء الحق وهو فى غار حراء ، فجاءه الملك فقال : اقرأ ! قال : ما أنا بقارىء ــ قال فأخذني فغطني حتى بلغ منى الجهد ، ثم أرسلني فقال : اقرأ ! فقلت : ما أنا بقارىء ! فأخذنى فغطنى الثانية حتى بلغ منى الجهد ، ثم أرسلني ! فقال : اقرأ ! فقلت ما أنا بقارىء ! فأخذنى فغطنى الثالثة حتى بلغ الجهد ثم أرسلني فقال : « اقرأ باسم ربك الذى خلق . خلق الانسان من علق . اقرأ وربك الأكرم . الذى علم بالقلم . علم الانسان ما لم يعلم » .

ورجع بها رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ترتجف بوادره .

ـ يا خديجـة ! ! زملـوني زملوني ، دثروني وصـبوا علي ماء باردا ، يا خديجة ! ! مالي ؟ ! لقد خشيت على نفسي ؟ وتقبل خديجة الرءوم ، تحنو عليه ، وتشد أزره :

ـ كلا أبشر ، فوالله لا يخزيك اللـه أبدا انك لتصل الرحم، وتصدق الحديث وتحمل الكل ، وتقرى الضيف ، وتعين على نوائب الحق ! ! .

وانطلقت به الى ابن عمها ورقة بن نوفل ، وقد شاخ وعمى ، وكان نصرانيا عنده علم من الكتاب .

قال : ابن اخى ، ما ترى ؟ ! ـ فأخبره محمد صلى الله عليه وسلم ما رأى ـ فأردف :

ـ هذا ، الناموس ، (جبريل صاحب خبر الخير) الذى أنزل على موسى . . أن أدركنى يومك أنصرك نصرا مؤزرا . .

اقرأ باسم ربـك . . خمس آيات ، طليعة القرآن ، ولكنها بركة العمر حتى آخر الدهر . . . وفتر بعدهـا الوحى حتى حزن الرسول حزنا شديدا وتطلع . . وتضرع . . .

ولنتأمل معا : أول القرآن : « اقرأ » . . و « بالقلـم » القراءة والكتابـة والأساس : « الله » ، باسم ربك ، خلق ، وعلم .

والحكمة والنور كل الحدث وأجواؤه، من قبل ومن بعد ، آيات بينات لأولى الأبصار فيتحنث ، يقاطع لغو الحياة ، يتوحد ، ويتعبد .

وفى النوم غتنى : غمنى وخنقنى ، وفى اليقظة غطنى شـدنى اليه ، كبسـنى وعصرنى . . . ! ! ففي النوم تحريـك لحياة اللاشعور ، مكرور ، ليتفاعـل فى أعماق النفس وذراتها الخفية ، وبعدها للأمر الجلل ! ! وفى اليقظة كبس وعصر ، أولا وثانيا وثالثا ، استحواذ على الشعور، تركيز للانتباه ، تعميق للأثر ، صرف عن أى شيء آخـر ، حصر للكيان كله ، فى يقظة وترقب ، وانقطاع للأمر الجلل .

وجنان محمد ثابت ، لا يغمى عليه ، ولا يبدل قوله الانساني ما أنا بقارىء ، حتى يأتى الأمر الالهى (اقـرأ باسـم ربـك) .

والتوافق ، صـدق الـرؤيا كفلـق الصبح : ارهاصات للنبوة . . .

شده جبريل اليه ، شد للعضـد ، وتثبيت . . ملك يضم انسـانا . عناق مرموز بين السـماء والأرض ، لقاء بين السفيرين الالهيين سفيرى رب العالمين : عالم الغيب وعالم الشهادة ، لتنفيذ أمر الله الحكيم العليم ! .

وعلى مراحل ، رؤيا ، ثم هاتف ، ثم مواجهة . . . : تدرج ، واعداد ، حكمة الله وارادته ، أن يجرى كونه الذى خلقه، وفق قوانين رسـمها له ، ودعا عباده اليها ، فهو لا يخالفها بنفسه ، مع قدرته على كل شيء ، ولو شاء لجعل ما أنزل على رسوله دفعة واحدة ، وحباه العزم الكافى للتحمل ، ولكن : من الفطرة ترك الطفرة ! « قل سبحان ربى هـل كنت الا بشرا رسولا » ! .

وان يفتر الوحى ، ثم يعود ، ولـو أحزن النبى ـ وهوحبيب الى ربه ، وهو بأعينـه ـ فذلـك تأكيد بالـغ فى لفت الرسول الى الرسـالة ، ليتطلع اليهـا ويقبل عليها ، فى تعبد وتوجد ، وتأله وتوله ، وليس البر دائمـا فيما يسر ، ولكن الأمور بخواتيمها .

وتقول خديجـة رضى الله عنها : لا تخف مكروها يا محمد ، وأنت على مـا أنت من حميد الفعال ، وخصال الخير ، فان مكارم الأخـلاق تقى مصـارع السوء . .

اقرأ باسم ربك ، بقدرته ـ وان كنت لا تعلم القـراءة ـ فاللـه الذى خلـق الانسان كله من علق ، والله الذى علم ، قد جعل من طرائق التعليم والتوصـل الى المعرفة ، الفتح من لدنه ، فمن قرأ باسم الله ، قرأ وان لم يكن بقارىء فهو

يخلق فى سجية عبده الجديرة ، القدرة على القراءة ، وعلى كل شيء فهو الأكرم ، وما من كرم كريم يخطر على قلب بشر ، الا وربك ، الذى رباك وتعهدك برسالته يا محمد ، هو الأكرم .

علم بالقلم ، والعلم بيان ، يكون فى الأذهان ، ويكون فى اللسان ويكون بالبنان ، فكرا ، ولفظا ، وكتابة ...

ومن بديع خلق الله ، وعظيم سره ، انه علم بالقلم ، وليس القلم بذى روح ، فاما شجر واما حجر ! أما أنت ، يا محمد البشر ، فباسم الله تقرأ ، وبقدرته وسره ، وهذا أولى وأجلى ، لأنك خلقت من علقة ، والعلقة مادة الدم ، والدم نسغ (١) الحياة .

قال ابن عمر : يا رسول الله ، أكتب ما أسمع منك من الحديث ؟ ! قال : نعم فاكتب فان الله علم بالقلم .

وعن النبى صلى الله عليه وسلم : أول ما خلق الله القلم ، فقال : أكتب فكتب ما يكون الى يوم القيامة ...

قال العلماء : الأقلام فى الأصل ثلاثة : القلم الأول الذى خلقه الله بيده وأمره أن يكتب . وأقلام الملائكة : (ان عليكم لحافظين . كراما كاتبين) . وأقلام الناس ، يسجلون بها كلامهم ، ويصلون مآربهم .

والكتابة ، عين من العيون ، يبصر بها الشاهد الغائب ، والخط ، آثار يده ، وفيه تعبير عن الضمير ، بما لا ينطق به اللسان ، فهو أبلغ .

قال بعضهم : الكلام ريح لا تبقى ، وقيده الكتابة قلت : بل هى أنفاس مرددة ، والبيان للانسان ، كيانه المرسل ، والكتابة جنانه المسجل .

علم الانسان ما لم يعلم ، خلقه من علق ... وجعله فى الأرض خليفة .. واستعمره فيها .. وعلم آدم الأسماء كلها .. وفى الأثر « اذا عمل الانسان بما يعلم ، ورثه الله علم ما لم يكن يعلم » .

فى « غار حراء » ، تم الحدث الأعظم ، الحدث الأعظم فى الأرض ، منذ كانت الأرض ، وفى تاريخ الانسان ، منذ كان الانسان . فرقان فى حياة البشرية كلها ، لا فى حياة أمة ولا جيل تحول فى خط الضمير الانساني ، لم يكن من قبل ولا من بعد قامت المعالم واضحة عالية ، لا يطمسها الزمان ولا الحدثان ، تخطيط الهى ، ومنهج رباني .. قل ان هدى الله هو الهدى ..

يتراءى لى ، أننا لو درسنا بعمق ، وضع العرب فى تلك الحقبة ، وانعزالهم فى الجزيرة الجافية ، والطبيعة الصافية ، بعيدا عن المدنية المترفة الهلوك ، فى امبراطوريتى الأكاسرة والقياصرة ، ودرسنا توحد محمد فى الغار ، لوجدنا توحده ذاك تألقا فى جو تلك البيئة ، ولساغ أن تشبه عزلة العرب عن محيط العالم الفاسد . بعزلة محمد عن انحرافات قومه ، وانقطاعه فى شظف وزهد ، الى التفكر والتدبر ، وهو فى غار حراء بين الأرض والسماء ! قاعدة ، وذورة ، فكما كانت عزلته المعطاء ، تصفى روحه ، وتعد نفسه للحدث الالهى الانسانى الهائل ، كانت تلك العزلة الصحراوية للعرب فى جزيرتهم ، حفاظ خصائصهم ، وادخار معدن رجولتهم ، ليكونوا بعد ـ بالاسلام ـ شعلة الهداية ، وطليعة الفتح ، والكاهل القوى ، الذى سيحمل العبء العظيم ، والله أعلم حيث يجعل رسالته ...

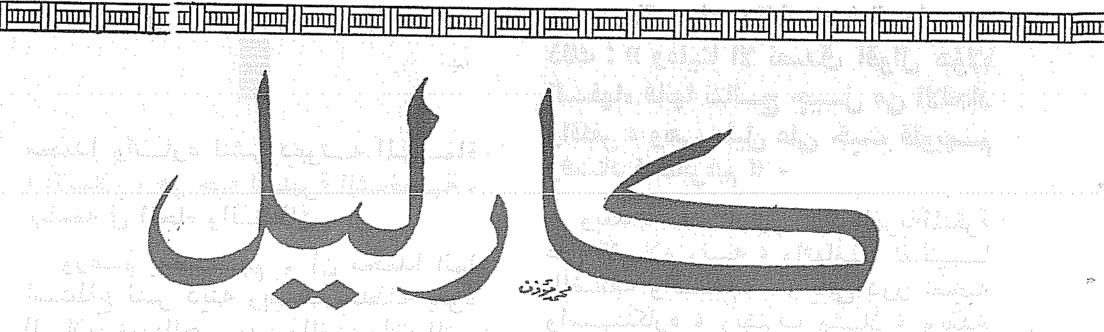
صلى الله عليك وسلم ، وصلينا وسلمنا تسليما ، أيها النبي العربى ، يا رسول الله بالاسلام يا رحمة للعالمين ..

وتحية غار حراء ، فبمحمد من الغار ، أضاء المنار ...

« انا أنزلناه فى ليلة القدر . وما أدراك ما ليلة القدر . ليلة القدر خير من ألف شهر » ....

---

(١) النَّسْغ : ماء يخرج من الشجرة اذا قطعت ، والنسيغ : العرق « المعجم الوسيط » مادة نَسَغَ



يرد أكاذيب المستشرقين

للاستاذ / احمد محمد جمال
عضو مجلس الشورى ـ بمكة

بعثني الى كتابة هذا الفصل من كتاب أعده للطبع ـ أمران .

الاول : البحث القيم الذى نشرته (الوعى) بقلم الدكتور عرفان عبدالحميد تحت عنوان « المستشرقون والاسلام »

الثاني : اشارة خاطفة جاءت فى الدراسة القيمة التي نشرتها (الوعى) ايضا للاستاذ احمد حسين عن (الرسل) الى رأى الكاتب الانجليزي توماس كارليل فى الاسلام ونبيه عليه الصلاة والسلام .

فقد رأيت أن اورد فى هذا الفصل بعض افتراءات المستشرقين على الاسلام دينا ورسولا ، وادع كارليل يدحضها برأيه وحجته . . فهو واحد منهم جنسا ، وشاهد من اهلهم ملة . ويستحيل أن يتهم بالتعصب للاسلام ، أو بالعاطفة الدينية التي تعطف المتدين نحو دينه . فدفاعه ـ أذن ـ ابلغ تأثيرا من دفاع المسلمين عن الاسلام ، وحجته ـ كذلك أقوى .

اربعة افتراءات على الاسلام ونبيه

ان مؤلفات المستشرقين ـ من الغربيين ـ تفيض بالحقد على الاسلام ، وبالافتراء المفضوح على نبى الاسلام عليه الصلاة والسلام . وبين ايدينا ـ فى هذا الفصل ـ أربعة افتراءات . . نعرضها ثم ندحضها .

فمن المستشرقين من يزعم ان دين الاسلام اكذوبة ، وان محمدا ـ وحاشاه ـ خداع مزور .

ومنهم من يقول مفتريا أى أن ما اقام

محمدا وأثاره لنشر دعوته المسماة (الاسلام) هو حبه للشهرة الشخصية ، وطمعه فى الجاه والسلطان .

وزعم بعضهم . ان محمدا انما استطاع نشر دينه وبسط سلطانه بقوة السلاح ، وبالحروب والغزوات التي شنها على معارضيه .

ومنهم من يزعم . ان الاسلام دين الشهوات والملاذ ، وان محمدا ــ وخلاه ذم ــ كان أخا شهوة جامحة .

ونكتفي بهذه الاتهامات الاربعة الرخيصة ، التي أملاها الحقد والحسد فى صدور المستشرقين .. على الاسلام ونبيه صلى الله عليه وسلم . ثم ندع واحدا منهم ــ كما اسلفنا ــ ولكنه منصف دونهم .. يتولى تأنيبهم وتكذيبهم وفضح أباطيلهم ومفترياتهم .

يقول توماس كارليل ــ فى كتابه الابطال ــ : ((اصبح من أكبر العار على أى فرد متمدن من ابناء هذا العصر أن يصغى الى الدعوى بأن دين الاسلام كذب .. وان محمدا خداع مزور .. وقد آن لنا أن نحارب ما يشاع من مثل هذه الاقوال السخيفة المخجلة . فان الرسالة التي أداها ذلك الرسول ما زالت السراج المنير ، مدة اثنى عشر قرنا لنحو مئتى مليون من الناس)) (١) .

ثم يضيف كارليل ((واأسفاه . ما أسوأ مثل هذا الزعم . وما أضعف أهله ، وما أحقهم بالرثاء والمرحمة)) .

ولا يكتفي بالأسف لهذه الفرية على الاسلام ونبيه ، وبالرثاء لمن أطلقها . وانما يرميه بالسفه والخبث فيقول بعد ذلك : ((وعلينا الا نصدق أقوال هؤلاء السفهاء فانها نتائج جيل من الالحاد والكفر ، وهي دليل على خبث قلوبهم وفساد ضمائرهم)) .

وبعد تأسف كارليل لتلك الفرية المنكرة على الاسلام ونبيه ، واتهامه لقائليها بالضعف والسخف .. يأتى دور تعجبه واستنكاره ، ويضرب مثلا ، ويقدم حجته على بطلانها حين يقول :

((عجبا والله . كيف يستطيع رجل كاذب ان يوجد دينا وينشره ؟ ان الرجل الكاذب لا يقدر أن يبنى بيتا من الطوب . فهو اذا لم يكن عليما بخصائص الجير والجص والتراب وبقية أدوات البناء ومواده .. فما هذا الذى يبنيه ببيت . وانما هو تل من الانقاض ، وكثيب من اخلاط المواد . وليس جديرا ان يبقى اثنى عشر قرنا يسكنه مئتا مليون من الأنفس . ولكنه جدير أن تنهار أركانه فينهدم كأن لم يكن)) .

ولو عاش كارليل الى اليوم لرأى أن الكيان الاسلامي يعيش الآن أربعة عشر قرنا ، وان هذا الكيان الكبير يضم خمسمائة مليون مسلم .

ثم يحمل كارليل على أولئك المفترين والحاقدين حملة شعواء ، ويصفهم بأنهم ((كفار)) مهما زخرفوا ((كذبهم)) وصوروه حقا . ومهما زوروا ((باطلهم)) حتى أوهموه صدقا . ويعد انخداع الناس فى أوروبا بهذه الأباطيل المفتراة على الاسلام . محنة كبرى ..

الرجل الكبير لا يكون كاذبا

ويبنى كارليل اعتقاده فى صدق محمد ــ عليه الصلاة والسلام ــ على نظرية

---

(١) نحمد لكارليل كلمة الحق التى قالها ولا يعنى ذلك أننا أو الكاتب الفاضل يوافقه فى كل ما كتبه عن الرسول صلى الله عليه وسلم (الوعى) .

((ان الرجل الكبير من المحال أن يكون كاذبا ، وأن الصدق هو أساس كل ما لديه من فضل ومحمدة)) فيقول :

((.. وعلى ذلك فلن نعد محمدا هذا رجلا كاذبا ، متصنعا يتذرع بالوسائل والحيل الى بغية له .. من ملك او سلطان أو غير ذلك من الحقائر والصغائر . وليست الرسالة التي أداها الا حقا صراحا ، ولا كلامه الا صوتا صادرا من العالم المجهول)) .

ويؤكد اعتقاده بصدق الرسول ، بما عرف من سيرته عليه الصلاة والسلام منذ صباه ونشأته ، فيشير الى . ((ما لوحظ عليه منذ فتائه .. انه كان شابا مفكرا . وقد سماه رفقاؤه (الأمين) أى رجل الصدق والوفاء فى أقواله وافعاله وافكاره . فما من كلمة تخرج من فمه الا وفيها حكمة بليغة)) .

حب الشهرة والسلطان

اما الفرية الثانية التي اطلقها المستشرقون وزعموا فيها . ان نبى الاسلام انما قام بدعوته ابتغاء الشهرة والجاه والسلطان فان كارليل يصف قائليها بأنهم (كاذبون) ثم يضيف :

((لقد كان فى فؤاد محمد الرسول ، العظيم النفس ، المملوء رحمة وبرا وخيرا ، وحنانا وحكمة وحجى . كان فى فؤاده افكار غير الطمع الدنيوى ، ونوايا خلاف طلب السلطة والجاه . لقد كان منفردا بنفسه العظيمة يتأمل فى حقائق الكائنات)) .

ويزيد كارليل اصحاب هذه الفرية على ما رماهم به من الكذب ــ فيصفهم بالحماقة والسخافة والهوس ، ويضاعف لهم تأنيبه ونكيره متسائلا . ((أى فائدة لهذا الرجل فى جميع بلاد العرب وفى تاج كسرى وصولجان قيصر وجميع ما فى الأرض من تيجان وصولجانات ؟ .. أفى مشيخة مكة ؟ أم فى ملك كسرى منجاة ومظفرة ؟ كلا . اذن فلنضرب صفحا عن زعم الجائرين القائلين بأن محمدا كاذب ، وأن الطمع وحب الدنيا هو الذى أقام محمدا وأثاره .

نشر الاسلام بالسيف

يرد كارليل هذه الفرية .. ردا تاريخيا واقعيا ، ومنطقيا عقليا أيضا فيقول :

ان نية محمد كانت فى البداية ان ينشر دينه بالحكمة والموعظة الحسنة فقط . فلما رأى ان القوم الظالمين لم يكتفوا برفض رسالته السماوية ، وعدم الاصغاء الى صوت ضميره وصيحة لبه .. حتى أرادوا أن يسكتوه لئلا ينطق برسالته ، عندئذ عزم على أن يدافع عن نفسه دفاع رجل ، دفاع عربى رأى القوم قد أغلقوا آذانهم دون كلمة الحق ، وشريعة الصواب ، وأبوا الا تماديا فى ضلالهم ، يستبيحون الحرمات ، ويقتلون النفس التي حرم الله قتلها ، ويأتون كل اثم ومنكر . وقد جاءهم محمد عن طريق الرفق والأناة فأبوا الا عتوا وطغيانا)) .

فماذا بعد هذا ؟ ــ فى نظر كارليل انه يرى أن ((يجعل محمد الأمر اذن الى الحسام المهند ، الى حرب لنشر تعاليم الاسلام ورد كيد المعتدين)) .

وبعد ان يتهم كارليل الذين يزعمون ان الاسلام انما انتشر بقوة السلاح ــ بالخطأ والجور .. يفلسف لنا ضرورة انتشار الحق وانتصار الخير .. بالوسائل السلمية أو بالحديد والنار ــ اذا لزم الأمر ــ لأن الحق والخير يجب أن يسودا البشرية جمعاء ..

البقية على ص ١٠٠

(١) وقد عرضوا عليه المال والملك فأبى وقال قولته المشهورة «والله يا عم لو وضعوا الشمس فى يمينى .. الخ .. « الوعى » .

جمال الدين الأفغاني

سبعون عاماً على وفاته

للأستاذ محمد صبيح

فى شهر مارس سنة ١٩٦٧ تكون قد مضت سبعون سنة على وفاة جمال الدين الأفغاني . ومن حق هذا الحكيم العظيم ، والثائر الفذ فى تاريخ الدعوة الاسلامية ، أن تنتهز الأمم التي تعرفه ، وتقدره ، هذه الذكرى ، لتحتفل به احتفالا يذكر الأجيال الحاضرة ، بكفاح الجيل الماضى ، والذى قبله ، حتى نستطيع أن نربط أيامنا بعضها ببعض ، ونرسم لمستقبلنا خط سيره مهتديا بهدى الجهاد الفذ الصادق الذى جاهده الأفغاني ومدرسته .

***

وعلى الرغم من الدراسات الكثيرة التي ظهرت عن الأفغانى وأيامه وأفكاره ، فما تزال سيرته فى حاجة الى جهد متصل من علمائنا . ولا سيما أن جديدا يظهر عنه كل فترة ، يغير النظر الى أعماله . ويمد أبعاد هذا الجهاد الى جهات عديدة ..

وقد ظهر أخيرا فى ايران كتاب ضمنه ناشروه مجموعة ضخمة من الرسائل والوثائق ، كانت موجودة لدى الأسرة التي وصل اليها صندوق « السيد » .. وهو الصندوق الشهير الذى خلفه وراءه فى مصر عندما نفاه منها توفيق ، ثم سافر وراءه ، فلم يدركه فى الهند ، ولا فى ايران ، فاستقر ثلاثة أرباع قرن ، أمانة لدى صديق للأفغانى ، حتى وجد ورثته ان ما فى الصندوق لم يصبح أمانة شخصية ولكنه أصبح ملكا عاما للتاريخ ، وللعلم والعلماء ، فنشروا الأوراق مصورة ، ومعلقا عليها باللغة الايرانية ..

وقد ظهرت من الدراسات السريعة لهذه الوثائق مسائل فى حياة الأفغانى جديرة بالنظرة . فمثلا ، كانت جوازات سفر جمال كلها ايرانية ، وتشير هذه الجوازات الى أن مولده كان فى ايران . وأنه عاش فيها فجر حياته وشبابه .



السيد جمال الدين الافغانى موقظ الشرق

وقد فضل حمل لقب « الأفغانى » حتى لا يظن انه من شيعة ايران ، فى حين أنه التزم مذهب السنة .

ولقد حرصت الأفغان على أن تسترد جثمانه من الآستانة ، فى نهاية الحرب العالمية الثانية عام (١٩٤٤) ، فسار اليها فى موكب عظيم ، خصصت له القطارات ، وسار فى ركابه الفكر الاسلامي كله فى تركيا والعراق وايران والأفغان ، والحق ان حفاوة العراق بجثمان « الحكيم » اثناء مروره بها ، كانت آية فى الجلال ، وسجلت كلمات الشعراء والأدباء بهذه المناسبة فى كتاب ، يعد مرجعا من مراجع تاريخه .

★★★

وقد روى لنا المرحوم الأستاذ / أحمد أمين ، كيف زار مع صديقه الدكتور عبد الحميد العبادى ، الآستانة عام ١٩٢٨ وكيف تعذر عليهما الاهتداء الى مثوى الرجل الذى أطلق شرارة التحرر فى أمم كثيرة ، وأوقد نيران بعثها ... فلما بلغ منهما الجهد فى البحث مبلغه ، وصلا الى قبر متهدم وعر المسلك ... وجدا أن مستشرقا أمريكيا سبقهما الى هذا المكان أسمه شارل كرين ، وأنفق من ماله مبلغا ، لكى يضع على القبر شواهد من الرخام تدل على صاحبه .

ولم يكن غريبا على السلطان عبدالحميد أن يهمل تكريم حكيم الشرق فى مثواه الأخير ، وقد عاش سنوات ، لا يقلقه شيء قدر ما يقلقه دأب الأفغاني على ايقاظ النائمين الغافلين من أبناء الأمة المحمدية ... فلما استدرجه السلطان أواخر حياته الى الآستانة ، عاش فيها ، وكأنه أسد فى قفص . ولما هم الأفغانى بمغادرة القفص الحميدى ، تنبه له السلطان ، وحال دون خروجه من بلاده .. ولما مرض الأفغانى — وكان فى التاسعة والخمسين من عمره بمرض مفاجىء فى فمه ، أضطر الأطباء الى أجراء جراحة له

انتزعت جزءا من فكه ولسانه ، فصمت الفم الذى كان يطلق شواظا من نار على الخمود والخمول أينما وجده ... وظل على صمته ثلاثة أيام لا يعبر الا بعينيه ، ولا يزوره الا صاحبه جورج كوتجى ، وأطباء السلطان . فلما أذنت رحلة الحياة بانتهاء ، أبلغ جورج قصر السلطان (المابين) وكل من أدركه من أصدقائه ، فلم يهتم غير شخص واحد بالسير فى جنازته من هؤلاء الكبراء اسمه سهل باشا .. ولعل خواطر كثيرة طافت بذهنه قبل هذه الرحلة بوقت قصير ، عندما سار هو وحده تقريبا ، يودع تلميذه عبد الله النديم فى رحلته الى لقاء ربه ، متخذا نفس الطريق ، متجها نفس الجهة ... وماذا يهم موكب المودعين ، ولا رثاء الراثين ، فكما قال شوقي ، فى رثاء المنفلوطى « ليس الغرور لميت بمتاع » .

واذا كان قد فات عبد الحميد ـ خليفة المسلمين وأمير المؤمنين وسلطان البرين والبحرين وخاقانهما ـ أن يحسن وداع الأفغانى ، يوم الثلاثاء ٩ من مارس سنة ١٨٩٧ ، فانه حرص على أن يبعث شرطته ، كى يفتشوا بيته ، وأوراقه ، ويحملوا الى عبد الحميد كل ما يريب فيها . وبذا ضاعت أوراق خمسة أعوام قضاها الحكيم فى الآستانة ... وربما عوضنا عنها صندوق أوراقه الذى أشرنا اليه ، والذى يسجل فكره ونشاطه مدة مقامه بمصر ، وقد استمرت ثمانية أعوام .

ومما يستحق التأمل فى موضوع ضياع الأوراق التاريخية ، أن جورج كوتجى ، الذى كان وثيق الصلة به فى أواخر أيام حياته ، كتب بالفرنسية رسالة من عشرين أو ثلاثين ورقة ، طبعت منها نسخ محدودة ، ودون فيها خواطره ومشاهداته أثناء الصحبة .

وقد وقعت نسخة من هذه الرسالة فى يد المرحوم الشيخ مصطفى عبد الرازق ، وقدر أهميتها ، فترجمها الى العربية .. وقد بحثنا فى مخلفات الشيخ مصطفى عن أصل الرسالة أو ترجمتها ، فلم نعثر عليها ، مع أنها تلقى ضوءا كاشفا ، من قريب ، على فترة هامة من حياة رجل الشرق الكبير .

***

والحقيقة ان فضلا كبيرا فى تسجيل آراء الأفغانى وكفاحه ، يرجع الى تلميذه الشيخ محمد عبده ، وفضلا لا يقل قيمة فى نقل هذه الآراء لنا يرجع الى دأب ونشاط السيد رشيد رضا .

وعلى الرغم من الجفوة التي حدثت بين السيد مدة مقامه فى الآستانة ، ومريده الأول الشيخ محمد عبده ، فانه لم يقصر فى املاء ما يعرفه عنه ، فخلف لنا ذخيرة ممتازة ... الا أن الأستاذ الامام حرص على أن يجنب سيرة صاحبه ما قد يكون موضوع تساؤل أو بحث ، مثل علاقة الأفغانى بالمجامع الماسونية فى مصر ، فقد ذكر أنه قطع صلاته بها ، فى حين أن كتاب الوثائق الايرانى يدل على أن هذه الصلة ظلت مستمرة فى أثناء وجوده فى باريس بعد نفيه من أرض النيل .

والواقع أن شخصية قوية مثل الأفغانى ، ما كان هو الذى تستغله الماسونية ، ولكنه هو الذى يسيرها فى سياسته ، ويوجهها حيث شاء ... فهى عنده أداة ، وهو عندها موجه ومحرك .. ولهذا فالأمر لم يكن بحاجة الى الاعتذار بذكر أشياء لم تصح .

***

واذا كان نضال الأفغانى للحكم الاستبدادى أينما وجد المسلمون ، قد بغضه لدى الرؤوس المتوجة ، فان تيجان القرن الماضى لم تدخر وسعا فى ابداء رأيها فيه .

من ذلك ما أذاعته ادارة المطبوعات **« البهية » فى عهد خديو مصر توفيق** تبرر به نفى الافغانى من مصر قالت أن حكومة الخديو « استشعرت بأن هناك **جمعية سرية من الشبان ذوى البطش ،** مجتمعة على افساد الدين والدنيا ، المضرة بالبرية، رئيسها يدعى **جمال الدين الأفغانى** ، مطرود من بلاده ، ثم من الآستانة العلية ، لما ارتكبه من أمثال هذه المفسدة ، فى ديارنا المصرية .. » .

وعندما لفت كبير من حاشية السلطان عبد الحميد ، نظر الأفغانى ، الى أنه لا يجوز له أن يحرك مسبحته وهو جالس مع السلطان ، قال له فى سخرية مرة أن السلطان يلعب بمستقبل الملايين من الأمة أفلا يحق لجمال أن يلعب بمسبحته كما يشاء » .

ولم يمض الا أقل الوقت حتى اقتنع جمال بأنه لا فائدة من اصلاح تركيا العثمانية ، وفيها كل هذا القدر من الاستبداد الحميدى . فقال عن السلطان . « عيب الكبير كبير .. والجبن من أكبر عيوبه » ووصفه بأنه سرطان فى جسم هذه الأمة .

وكذلك دارت مناقشات طويلة بينه وبين قيصر روسيا فى بطرسبرج ، وقد أقام هناك ثلاث سنوات ، اقتنع القيصر بعدها أنه لا مكان لجمال فى بلاده ، فتلطف فى اخراجه منها ، بعد أن سمع منه أن الحكم النيابى ، واشراك الشعب فى ادارة أموره هو الضمان الوحيد لصلاح الحكم . وفى هذه الفترة درس الأفغانى أحوال المسلمين فى أمبراطورية القيصر ، وأذاع فيهم قرآنا وتفسيرا طبعه هناك ، وكان عددهم يزيد عن ستين مليون نسمة .

وكان حلم الأفغانى ، أن يسعى الثوار من حوله ، الى تحرير شعب اسلامي واحد ، من الاستعمار الخارجى ، والتخلف الداخلى فى شتى صوره . وهذا الشعب يمكن أن يكون منارة هادية لبقية الشعوب الاسلامية عن طريق القدوة والأسوة الحسنة .

وقد عمل فى مصر لكى تكون هى التجربة الرائدة الأولى ، فلما انتكست الثورة العرابية ، وقامت الى جنوبها الثورة المهدية ، سارع الأفغانى الى محاولة تبنى حركة السودان التحررية وأوفد الشيخ محمد عبده الذى كان منفيا خارج مصر ، لمحاولة الاتصال بالمهدى ، وتنظيم طاقته الثورية ، وقد وصل الشيخ متنكرا حتى أسوان ، ولكن وفاة المهدى المبكرة لم تحقق هذا المشروع .

ولم تغب مشروعات ولا دفعات جمال عن ذهن المهدى ، فقد حاول أن يأخذ الانجليزى « غردون » أسيرا ، لكى يفادى به عرابى المنفى فى سيلان ، ويوجد التلاحم الواجب بين ثوار الشمال وثوار الجنوب . ولكن الزمام أفلت منه ، فقتل جنوده غردون ، وبهذا — أيضا — أخفق ما رتبه المهدى فى هذا الشأن ...

★★★

هذه خواطر سريعة ، عن الأفغانى ، الثائر الحكيم الذى جمع فى فكره بين طاقة عظماء الفقهاء من أمثال أبى حنيفة والشافعى ، وطاقة كبار فلاسفتنا من أمثال الغزالى وابن رشد ، وطاقة المناضلين المشهورين من أمثال ابن تيمية واقبال .

وأملنا كبير أن نهيب بمجامعنا الاسلامية فى كافة حواضر المسلمين أن تنظم فى شهر مارس القادم احتفالات فكرية كبيرة مليئة بالدراسة والعلم والتوجيه ، تحية وتكريما لحكيم الشرق ومحرك نهضته ، وباعث أمله . بعد أن أثمرت دعوته هذا الثمر المبارك من التحرر السياسي والفكرى الذى نرى آياته فى كثير من البلاد الاسلامية .

في عيد الهجرة

من هداها علمت سر وجودى   والطريق السوى عبر السدود
ذكريات الإسلام والحق يجتاح ظلاما طغى كايل العبيد
ذكريات الفداء والمثل الخالد يوم انتفاضة التوحيد
إيه يا هجرة النبي أعيدى   كل عام رياحنا من جديد . .
علمتنى الأحداث فيك دروسا   خالدات خلود كل مجيد
علمتنى والليل يعتصر الكون صمودا إلى الصباح السعيد
كلما تغمز النوائب عزمى   جددته رواسيا من حديد
وأرتنى بلال يعصره الظلم أبيا يغيظه بالصعود . . .
وترينى إياه في يوم بدر   جن في قلبه انتصار العبيد
وعلى الكعبة المجيدة يختال مضيئا أذانه في الوجود . .
شهدته ربوع مكة عبدا   أثخنته الجراح بين القيود
وهو اليوم قاهر أيدته   حكمة الصبر في الزمان الجحود

***

علمتني والنار تلتهم الناس   فداء لا يرتضى بالقعود
وتريني الحياة فيها عليا   وهو ما زال في نضارة عود
وإذا جنت النوازل والليل   أراه ملفلفا في البرود . .
مطمئن الجنان يغمره الحق   ضياء من الرضاء الحميد
يفتدى بالحياة خير نبى   ويبيع الشباب للمعبود
فاهبطى يا جنود من ظلل العرش   وذودى عن الفتىّ المجيد
وامنعى البغى أن يطوف بعبد   باع لله روحه بالخلود

***

وأرى الغار والسيوف عليه   كسوار مدمر معقود

للاستاذ محمد بدر الدين

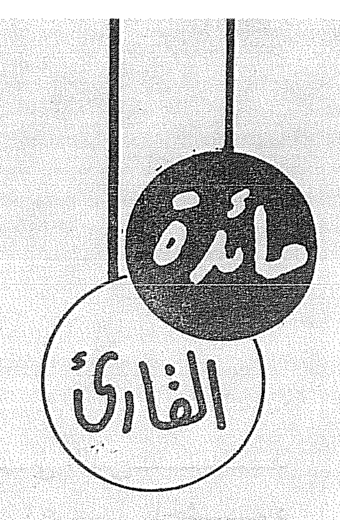
ودمـوع الصديق يذرفهـا الحب حنانا على النبي الشريـــد
وابتسامات أحمـــد عزمـــات وأمان يرف رغـــم الحشـــود
ونـــداء من اليقـين يناجـــي صاحب الغـــار في ابتسام الوليـد
انمـا الله ثالث الركـــب يحمـي رايـة الحق من لئـيم حقـود
أيـه يا نفس فاهـدئي ان قلبـا ينصر الله في أمـــان وطيـد

***

كلما ثارت الجـــراح بقلبـي طاف بي الفكر في الزمـــان البعيد
فأرى أحمـداً على الشعاب مطـلا دامـع الـروح في حنين شريـــد
رغـم هـذا القتار في كـل شِعب لم يـزل حبـه لتـلك النجـود
ويناجـي مـع الدمـــوع ديـارا طاردته سنانهـــا في جحـــود
أنت أغـلى البـــلاد مـكة مهما طاردوني وأمعنـــوا في صدودي
حـن للبيت قبلــــة وتمنـى وأطـال السجود تلو السجود . .
ويفيـض الحنين في النـوم رؤيـا لطواف وعمـرة ونشــيد . .
فاذا ذلـت الرقـــاب وأنـت مـكة من شبابهـــا المحصـــود
أطلـق الغالـب الرحيم رقابـا قاتلتـه وأفحشت في الوعيـــد
ان للأهـل والبــــلاد مكـانا فوق كيـد الوغـى وحقد الحقود

***

علمتني والحـب يخفـق في الـروح ويدعـو إلى الرضـا بالقيـــود
كلمـا أرهـق الزمـان جنـاني رغم حبي كرهت ذل العبيـــد
ولئـن كـان في لقـا الأهل عيـد فلقـاء الأحرار أكرم عيـــد
كل حـر يرى التحرر أهـــلا وبـلادا تضـم كـل شريــــد



اعدها ابو نزار

في الجنة نور

قال رجل . يا رسول الله . هل في الجنة من ليل) قال : ((وما هيجك على هذا))) قال : سمعت الله تعالى يذكر في الكتاب ((ولهم رزقهم فيها بكرة وعشيا)) والليل بين البكرة والعشى ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ((ليس هناك ليل . انما هو ضوء ونور . يرد الغدو على الرواح ، والرواح على الغدو ، وتأتيهم طرف الهدايا من الله تعالى لمواقيت الصلاة التي كانوا يصلونها في الدنيا ، وتسلم عليهم الملائكة)) .

بزر كل شيء

يروى أن قيصر الروم كتب الى معاوية بن أبي سفيان رسالة مع سفير يقول فيها :

اخبرني عما لا قبلة له ، وعمن لا أب له ، وعمن لا عشيرة له ، وعمن سار به قبره ، وعن ثلاثة أشياء لم تخلق في الرحم ، وعن شيء ، وعن نصف شيء ، وعن لا شيء .. وابعث الى فيهذه القارورة ببزر كل شيء ؟ ؟ .

فبعث معاوية بالكتاب والقارورة الى ابن عباس اعظم الفقهاء المسلمين في ذلك الوقت ، ليجيب على الاسئلة .

ورد ابن عباس قائلا :

أما ما لا قبلة له فالكعبة ، وأما من لا أب له فعيسى ، وأما من لا عشيرة له فآدم ، وأما من سار به قبره فيونس (النبي الذى ابتلعه الحوت) وأما ثلاثة أشياء لم تخلق فيالرحم . فكبشابراهيم وناقة صالح ، وحية موسى ، وأما ((شيء)) فالرجل له عقل يعمل به ، وأما نصف شيء فالرجل ليس له عقل ، ويعمل برأى ذوى العقول ، واما لا شيء فالذى ليس له عقل يعمل به ، ولا يستعين بعقل غيره .

ثم ملأ ابن عباس القاروة ماء ، وقال : هذا بزر كل شيء .

وبعث معاوية بتلك القارورة الى قيصر الروم فاعجب بها اعجابا شديدا .

يحتال في الاجابة

لما نزل خالد بن الوليد على الحيرة مثل بين يديه عبد المسيح بن بقيلة فقال له : أنعم صباحا ، فقال خالد : قد أغنانا الله عن تحيتك هذه ب (سلام عليكم) ثم قال له : من أين أقصى أثرك (مبدؤك) قال : من ظهر أبي . قال : فمن أين خرجت ؟ قال : من بطن أمي . قال : فعلام أنت ؟ قال : على الأرض . قال : ففيم أنت ؟ قال : في ثيابي . قال : ابن كم أنت ؟ قال : ابن رجل واحد . قال خالد : ما رأيت كاليوم قط . أنا أسأله عن الشيء ، وهو ينحو في غيره .

منافذ الفتنة

روى في الأثر . أن الله عز وجل قال : يا ابن آدم . ان نازعك لسانك فيما حرمت عليك ، فقد أعنتك بطبقين (فكين) فاطبق عليه ، وان نازعك بصرك فيما حرمت عليك فقد أعنتك عليه بطبقين (جفنين) فاطبق عليه ، وان نازعك فرجك الى ما حرمت عليك ، فقد أعنتك عليه بطبقين (فخذين) فاطبق .

المؤمن قوى

رأى عمر بن الخطاب رجلا مطأطئا رأسه ، فقال له : ارفع رأسك ، فان الاسلام ليس بمريض .

ونظر يوما الى رجل مظهر للنسك متماوت ، فخفقه بالدرة ، وقال : لا تمت علينا ديننا أماتك الله .

ونظرت السيدة عائشة الى رجل كاد يموت تخافتا ، فقالت : ما لهذا ؟ فقالوا : أحد القراء فقالت : قد كان عمر بن الخطاب سيد القراء ، فكان اذا قال أسمع ، واذا مشى أسرع ، واذا ضرب أوجع .

وقال صلى الله عليه وسلم . ان الله بعثنى بالحنيفية السمحة ، ولم يبعثني بالرهبانية فمن رغب عن سنتي فليس منى .

اللســان

فى اللسان تسع خصال . أداة يظهر بها البيان ، وشاهد يخبر عن الضمير ، وحاكم يفصل بين الخطاب، وناطق يرد به الجواب ، وشافع تدرك به الحاجة ، وواصف تعرف به الأشياء ، وواعظ يعرف به القبيح، ومغرد ترد به الأحزان ، وملهى يونق الاسماع .

عنوان نعم الله

وفد على معاوية سفير بيزنطة ، وكان السفير وسيما جسيما يملأ العين، فأحب معاوية أن يداعب السفير الضخم الهيئة ، فقال له : ما هذه الفدامة فيكم ؟ (الغلظة والجفاء) فأجاب السفير : انها عنوان نعم الله عندنا . فاستحسن معاوية هذا القول الذى جاء غاية فى السداد والادب لأن السفير اعتد بنفسه ، واعتبر بسطة الجسم عنوانا على نعم الله على الانسان.

بين القاضى شريح وعدى

دخل عدى بن أرطاة على شريح قاضى الكوفة ، وجرى بينهما الحديث الآتى :

ع ـ أين أنت أصلحك الله ؟

ش ـ بينك وبين الحائط .

ع ـ استمع منى

ش ـ قل أسمع

ع ـ انى رجل من أهل الشام

ش ـ من مكان سحيق

ع ـ تزوجت عندكم

ش ـ بالرفاء والبنين

ع ـ وأردت أن أرحلها

ش ـ الرجل أحق بأهله

ع ـ وشرطت لها دارها

ش ـ الشرط أملك

ع ـ فاحكم الآن بيننا

ش ـ قد فعلت

ع ـ على من حكمت ؟

ش ـ على ابن امك

ع ـ بشهادة من

ش ـ بشهادة ابن اخت خالتك .

انا لعائدون

قال عبد الله بن الزبير : ليس الناس بشىء من أقسامهم (حظوظهم) أقنع منهم بأوطانهم .

وقال معاوية فى قوم من اليمن رجعوا الى بلادهم بعد أن أنزلهم من الشام منزلا خصبا ، وفرض لهم فى شئون العطاء ـ يصلون أوطانهم بقطيعة أنفسهم ..

وقال الله ـ عز وجل ـ « ولو انا كتبنا عليهم أن اقتلوا أنفسكم أو اخرجوا من دياركم ما فعلوه الا قليل منهم » فقرن سبحانه الضن بالأوطان الى الضن بمهج النفوس .

صورة من الدبلوماس...

حديث الدبلوماسية في الأندلس ــ خاصة في الفترة الأموية ــ شيق ممتع في مطالعته وتدبره ، غير سهل في تجميع مادته أو الكتابة فيه ، وذلك لأسباب منها :

أ ــ فقدان كثير من المصادر الأصلية القيمة التي لا نعرف غير أسمائها أو بعض المنقولات عنها .

ب ــ جدته على البحث المنهجي ، وتشتت مادته التي تحتاج ــ مما تحتاج اليه ــ الى الالمام بلغات عدة .

ولقد ظهرت عنه مؤخرا بعض الأبحاث ، كما تعرض له البعض بصورة جزئية . لكنه لا يزال بحاجة الى أبحاث تكرس له ، لتسلط عليه الأضواء الكافية لتجلية الجوانب المجهولة منه .

ولا بد لدارس الدبلوماسية ــ عموما والأندلسية على وجه الخصوص ــ أن يتناول هذا الموضوع من الناحية التاريخية والفنية بالاضافة الى العلاقات العلمية (الفكرية) ، والتبادل الثقافي أو الدبلوماسية الثقافية التي تتأثر الى حد كبير بالوضع السياسي .

فالتاريخية . تقوم على ما وصلنا من النصوص ــ وكثير منها عام ، مبهم أحيانا ــ لمحاولة فهمها على ضوء الاحداث التاريخية ، وما دونه مؤرخو الأمم المعاصرون لها ، من جانبهم ، والاطلاع على ما كتبه الباحثون منهم فيما بعد ، وتمحيص كل ذلك ، ثم ايجاد العلاقة فيما بين هذه النصوص من ناحية ، وبين الأحداث التاريخية التي ترتبط بها من ناحية أخرى ، للوصول الى استنتاج معقول جهد الامكان . ولا بد من الأخذ بعين الاعتبار والدوافع التي دعت الى هذه المناشط الدبلوماسية لكلا الطرفين ، والمبادىء التى قامت عليها وأثرت فيها ، والأهداف التي عملت لها ، والخط الخلقى الذى واكبها وتحكم فيها ، ومقدار الالتزام بقيمها وعهودها ثم النتائج التي أثمرتها .

أما الناحية الفنية فتتناول :

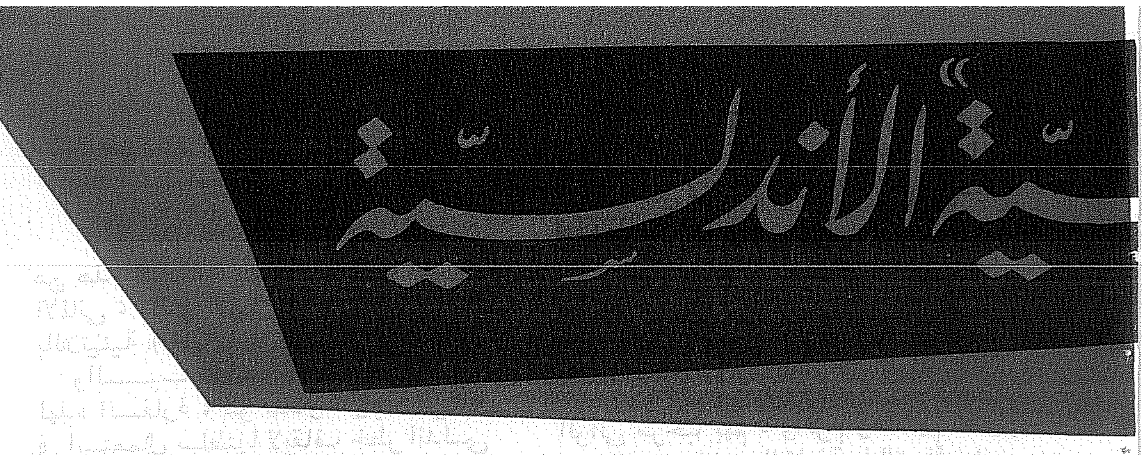
١ ــ الطريقة التي كانت تتم فيها هذه الدبلوماسية ، والتقاليد التي تبنتها وحافظت عليها مراسيم استقبال السفراء الوافدين الى بلاط قرطبة ، من مختلف الأقطار ، طريقة استقبال الأمير أو الخليفة لهذه السفارات ، الأبهاء التي كانت هذه الاستقبالات تتم فيها .

٢ ــ طريقة اختيار السلطات الأندلسية لسفرائها ، دراسة شخصية السفير ومرافقيه .

٣ ــ لغة الدبلوماسية ، وطريقة التفاهم من والى الحاكم ، بالنسبة لسفراء الأندلس الى الأقطار الأخرى ــ اسلامية أو غير اسلامية ــ أو العكس .

وهذه النقاط الثلاث ترسم لنا صورة عن التقاليد الدبلوماسية لذلك العصر .

٤ ــ محاولة المقارنة بين هذه التقاليد ،



للدكتور
عبد الرحمن علي الحجي
مدرس التاريخ الأندلسي
كلية الآداب ــ جامعة بغداد

وبين بعض مظاهر الدبلوماسية الحديثة من ناحية وجود « الفنية » فى قواعد الدبلوماسية الأندلسية « البرتوكول Protocol » والحصانة الدبلوماسية والتمثيل الدائم (١)، وكم أثرت فى الدبلوماسية الحديثة .

٥ ــ تأثر الدبلوماسية وتأثيرها بالوضع الحضاري ، ومستوى التقدم العلمي الذى تعيشه الدولة ، مع التركيز على ما يتعلق بالاندلس .

وقد يقود هذا الموضوع الى دراسة البعثات « السفارات » العلمية التي وفدت الى الأندلس ، لتنهل من منابع المعرفة فيه ، والتزود من حضارته .

ان الدبلوماسية تزدهر بازدهار الحضارة ، وتمكن الاستقرار والتقدم مما يجعل ذلك البلد خاصة فى تلك القرون ــ مقصدا للسفارات القادمة اليه من الأقطار الأخرى ، طالبة صداقته ، والاستفادة مما عنده ، يتلو ذلك توجه السفراء منه الى تلك الأقطار أو بعضها .

ولقد ازدهرت الدبلوماسية فى الأندلس ، وماج بلاط قرطبة ــ فى فترات كثيرة ــ بالسفراء من الشرق والغرب ، خاصة فى عصر قرطبة الذهبى فى القرن الرابع الهجرى / العاشر الميلادى (٢) ، خلال حكم عبد الرحمن الناصر وابنه الحكم المستنصر .

ويوجز لنا ابن حيان القرطبى ، مؤرخ الأندلس ، ذلك ــ حين الحديث عن الناصر ــ بقوله : « ان ملك الناصر بالأندلس كان فى غاية الضخامة ورفعة الشأن ، وهادنته الروم وازدلفت اليه تطلب مهادنته ومتاحفته بعظيم الذخائر . ولم تبق أمة سمعت به من ملوك الروم والافرنجة والمجوس وسائر الأمم الا وفدت عليه خاضعة راغبة وانصرفت عنه راضية (٣) » .

ومن الأمثلة التي تصور لنا بعض جوانب الدبلوماسية الأندلسية هى حضور السفارة الألمانية التي أرسلها الأمبراطور أوتو الأول (العظيم) ، Otto I The Great الذى تسميه الرواية الاسلامية « هوتو » ــ الى بلاط الخليفة الناصر .

ولا تمدنا المصادر الاسلامية عن هذه السفارة الا بمعلومات موجزة ، وهى تسمي الألمان ب « الصقالبة (٤) » لكن المصادر الأوروبية تقدم ــ بهذا الصدد ــ تفصيلات أكثر ، وان كانت تنظر الى الموضوع من وجهة خاصة قد تقودها أحيانا الى بعض الأحكام غير الدقيقة القائمة على توهمات ليس من الصعب تعرف بعدها عن الواقع . وأغنى مصدر

(١) نلفت النظر الى أن كل الهوامش مذكورة في آخر المقال .

عن هذه السفارة هو تاريخ حياة السفير الألماني ، الذي كتبه أحد تلامذة السفير باللاتينية (٥) .

والسبب المباشر ــ وربما الوحيد ــ لهذه السفارة ، هو محاولة رجاء قرطبة في استعمال سلطتها لايقاف خطر أندلسي نشأ فيما وراء جبال البرنات Pirenees

ففي حوالي ٨٩٠ م رست سفينة صغيرة الى الشاطىء الجنوبي الشرقي من فرنسا قرب مرسيليا تحمل حفنة من المغامرين الأندلسيين ، الذين ازداد عددهم فيما بعد واستطاعوا أن يؤسسوا هناك دويلة في منطقة البروفانس Provence ، شمال طولون Toulon متخذين من قلعة فراكسنيتوم Fraxinetum الحصينة عاصمة لهم ــ والراجح أن قرية كارد فرينيه Garde-Frainete الحالية تمثل مكان هذه القلعة (٦) والتي يسميها الجغرافيون المسلمون بـ « جبل القلال (٧) » .

واستمرت هذه الدويلة قائمة حوالي ٩٠ سنة ، لا نعرف عنها الا اليسير ، بل من العجب أننا لا نعرف اسم أحد من قادتها أو أفرادها ، ولا تفصيلات عن نظام الحياة فيها ، وهل استعمل سكانها لغات أخرى الى جانب العربية ، ان كانت بقيت العربية لغة لهم ؟ ولعل حياتهم الحربية لم تسمح للآخرين بالتعرف عليها ، وبالتالي لم يكن من بينهم مؤرخ يسجل لنا مجريات الأمور فيها .

ولقد اتسعت رقعة الأرض التي سيطروا عليها حتى أمتدت الى أكي Acqui شمال جنوة في ايطاليا وسنت غالن St. Gallen وخور Chur في شمال شرق سويسرا (٨) . واعتقد الأمبراطور الألماني ، أوتو الأول ، تبعيتهم للخلافة القرطبية ، فأراد التوسط لدى الخليفة الناصر بايقاف هجماتهم على تلك المناطق ، فبعث بسفرائه الى قرطبة لهذا الغرض .

تركت رسل الأمبراطور أوتو ألمانيا برا عبر فرنسا حتى مرسيليا ، حيث ركبوا البحر الى برشلونة ، ومنها كتبوا الى والي طرطوشة ــ أقرب مدينة أندلسية اليهم ــ يخبرونه بقدومهم ، فأجابهم الوالي مرحبا بهم ، وأكرم وفادتهم لدى وصولهم ، وأخبر الخليفة بذلك فأصدر الخليفة عبد الرحمن الناصر (المتوفي ٣٥٠ هـ / ٩٦١ م) أوامره بتسهيل سفرهم ، وأن يستقبلوا أحسن استقبال في كافة المدن التي في طريقهم الى قرطبة .

ووصلت السفارة الألمانية العاصمة الألمانية الأندلسية ــ للتفاوض في أمر الدويلة في جبل القلال ــ حوالي ٣٤٢ هـ / ٩٥٣ م برئاسة الحبر المتبحر « يوحنا الغورزيني John de Gorze » يحمل رسالة الأمبراطور وهداياه الى الخليفة ، واستقبلهم الناصر كريم الاستقبال ، وأنزلهم قصرا مجهزا بكل أسباب الراحة ، أعد خصيصا لهم وهو « منية الناعورة » في جنوب غربي قرطبة (٩) .

مشكلة دبلوماسية

وبعد أن أخذ الوفد الضيف راحته من عناء تلك الرحلة الطويلة الشاقة بدأت الترتيبات اللازمة والمراسيم التقليدية لتعيين يوم مقابلة الوفد الألماني للخليفة الناصر ، وعرف المكلفون باعداد التمهيدات الخاصة بالمقابلة فحوى رسالة الامبراطور وهدف سفارته ، التي ترمى كما قلنا ــ الى استعمال سلطة الخلافة الأندلسية لايقاف هجمات المغامرين في فراكسنيتوم .

ونظرا لشدة لهجة رسالة الامبراطور الألماني ، وانتقادها لبعض الآراء السياسية للخلافة القرطبية (١٠) ، قرر الناصر بأن مقابلة السفارة الألمانية له يمكن أن تتم فقط بدون تلك الرسالة ، لكن رئيس السفارة ــ يوحنا ــ رفض ، باصرار مقابلة الخليفة دون الرسالة . ولم

يستطيع المكلفون بهذا الامر اقناع السفير الألماني بالتخلي عن رأيه . فما هي يا ترى الخطوة التالية ؟ .

سفارة الى ألمانيا

استقر رأي الخليفة ـ بعد المشاورات، ومع السفير الألماني أيضا ـ على أرسال سفارة أندلسية الى الامبراطور الألماني لشرح الموقف واقناعه بتبديل الرسالة بأخرى مناسبة . وكان لا بد من اختيار سفير يقوم بهذه المهمة خير قيام، ويتحمل تبعات الرحلة الطويلة . وفي ربيع سنة ٣٤٤ هـ / ٩٥٥ م رحل الوفد الأندلسي من قرطبة لهذا الغرض قاصدا ألمانيا ، برئاسة الأسقف القرطبي ريثموندو Recemundo ، الذى تسميه الرواية الأندلسية « ربيع بن زيد (١١) » . وكان ربيع هذا أحد المستعربين Mozarabes الذين يجيدون العربية واللاتينية على السواء ، وكان ممن عملوا في بلاط الناصر وابنه الحكم المستنصر(١٢) ، وعينه الناصر اسقفا لمدينة البيرة Eluira ، مكافأة على قيامه بهذه السفارة .

سافر الوفد الأندلسي ، عبر الشمال الأسباني وبلاد الغال (فرنسا) ، الى فرانكفورت ، حيث كان يقيم الامبراطور الألماني . فاستقبل أوتو العظيم السفارة الأندلسية بجميل الاستقبال وكريم الوفادة ، ووافق على كتابة رسالة جديدة رقيقة اللهجة تحل محل الأولى .

مقابلة الخليفة

نجحت مهمة السفارة الأندلسية ، وعاد ريثموندو وصحبه الى قرطبة ، بعد غيبة استمرت حوالي خمسة عشر شهرا . ثم جرت التمهيدات ليوم استقبال الخليفة للسفارة الألمانية . وتعين يوم ٢١ حزيران (يونيو) ٩٥٦ م موعدا لذلك ، واتخذت الاستعدادات اللازمة وأقيمت الزينات وأصطف الجند بمراتبهم المختلفة وأسلحتهم المتنوعة على جوانب الطريق . وبينما يسير الوفد الألماني كانت فرق من الجند تعرض الأفانين من ألعاب الفروسية الرشيقة ، احتفالا بهذه المناسبة .

وخرج الناس ليشهدوا ـ الاحتفال بهذا اليوم ، وسار الموكب من مدينة قرطبة الى القصر الخليفي بمدينة الزهراء ، التي كانت ـ ولا تزال بقايا آثارها ـ تقوم عند أقدام « جبل العروس (١٣) » ، على بعد خمسة أميال تقريبا شمال غربي قرطبة . ولدى وصول الوفد الألماني مدينة الزهراء كان كبار رجال الدولة في استقباله .

وتقدم الموكب الى القصر الذى كانت مداخله مفروشة بالسجاد الجميل ، فوصلوا الى حيث كان يجلس الخليفة الناصر ـ متربعا على سريره ، ومتكأ على الوساد ـ في الجناح الشرقي من القصر ، في بهفو السفراء المسمى ب « المجلس المؤنس » ، الذى تم العثور عليه خلال التنقيبات في ١٩٤٤ (١٤) . فرحب الخليفة بالوفد أجمل الترحيب ، وبدأ الحديث بعبارات المجاملة والثناء على الامبراطور الألماني .

ولم يتناول الحديث في هذه المقابلة الهدف الرئيسي بالتفصيل ، فكان أشبه بلقاء التعارف ، ثم تلت لقاءات أخرى بين الخليفة والوفد الألماني ، اقتنع الوفد خلالها بوجهة نظر قرطبة ، وأنها لا سلطة لها على أولئك المغامرين في فراكسنيتوم (جبل القلال) ولا هم تابعون لها ، وبذلك أعطيت للسلطات الألمانية مطلق الحرية في اختيار طريقها لعلاج هذه المشكلة .

وفي أواسط صيف ٩٥٦ م ترك الوفد الألماني قرطبة ، بعد توديع الخليفة له شخصيا ـ عائدا الى بلده ، بعد ثلاث سنوات أقامها في قرطبة ، قيل ان يوحنا رئيس الوفد ـ تعلم خلالها العربية وحمل معه الى ألمانيا بعض المخطوطات العربية (١٥) .

ان هذه السفارة وأمثالها تلقي الضوء على التقاليد الدبلوماسية التي كانت في ذلك العصر ، وليس في الأندلس وحده

البقية على ص ١١٣

نشرنا للأستاذ أحمد حسين فى سلسلة بحثه (الاسلام ورسوله وتعاليمه بلغة العصر) مقالا عن « الجنة والنار أو الثواب والعقاب » وذلك فى العدد الثانى والعشرين (شوال ١٣٨٦ هـ) .

وقد ورد لنا تعقيب عليه من الأستاذ محمود سليم دوعر بوزارة العدل فى الكويت .

والتزاما منا بالخطة التي وضعناها للمجلة وهى فسح المجال لأصحاب الآراء فى ابداء وجهات نظرهم حول ما ينشر ، وكذلك اتاحة الفرصة لصاحب المقال فى الرد عليهم ، أرسلنا تعقيب الأستاذ دوعر للأستاذ أحمد حسين ليرسل لنا بوجهة نظره فيه .. وفى خلال ذلك جاءنا تعقيب آخر من الأستاذ صلاح الدين مجيد من الموصل بالعراق ، فيه نقد لبعض ما جاء فى المقال يكاد يتفق مع الأول ، ثم جاءنا من الأستاذ خلف محمد الحسيني مدير التعليم الثانوى السابق بأسيوط تعليق ثالث يدور حول اثبات الجزاء المادى من آيات القرآن الكريم ومن السنة المطهرة . وقد كنا نود أن ننشره لولا أن الأستاذ أحمد حسين انتهى فى رده وتوضيحه الى النتيجة التي نؤمن بها جميعا وهى الجزاء المادى فى الجنة والنار فاصبحت قضية لا خلاف عليها .

وننشر فيما يلي التعقيبين والرد الذى جاءنا من الأستاذ أحمد حسين .

مناقشة حول

يقول الاستاذ محمود دوعر : ـ

استغربت وأنا أطالع عنوان مقال السيد المحامى ، بل استغربت موضوعه ، مما جعلنى أمعن فى قراءة الموضوع ، فزادت دهشتى لهذه الأسباب : ـ

١ ـ بدأ السيد الكاتب / احمد حسين المحامى ، سطوره (وماذا عن الجنة والنار ؟ أيقربنا العلم الحديث التجريبي من تصورهما وفهمهما ؟) .

وانى لا أفهم لماذا هذا الاتجاه العكسى الذى يصر بعض المسلمين على السير به ؟ ان طريق الايمان بالله الخالق المدبر ، والايمان بالقرآن الكريم الذى لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه .. وبأن محمدا رسول الله وخاتم الرسل .. لا يحتاج الى علم تجريبي حديث ولا قديم ، لأن الايمان مسألة تفكير عميق لدى الانسان يعمل به عقله بصفاء وروية ..

وليس الايمان مادة محسوسة كالماء والحديد والنحاس .. نخضعها للتجربة ونضعها تحت المجهر لتتفاعل ثم نستنتج من ذلك مواد جديدة أو اكتشافات أخرى .. فكيف يريد الكاتب أن يخضع فكرة معينة جاءت بالكتاب العظيم متواترة لفظا ومعنى .. الى تجربتها بالمختبر .. أليس هذا خروجا عن طريق التفكير السليم ؟ .

٢ ـ ان أخطر ما قاله الكاتب : « وليس أيسر لاستيعاب فكرة الجنة والنار فى المرحلة من حديثنا أن نستبدل بهذين اللفظين مترادفين لهما وهما : العقاب والثواب) .

لعمرى ان الكاتب ـ فى سبيل الاستيعاب المراد ـ قد خرج عن الحق خروجا لا حق فيه ولا صواب ، فان فكرة الجنة والنار تدل على أن الله سبحانه وتعالى أعدهما كشيئين ماديين يدلان على انشغال حيز ، لا مجرد ثواب وعقاب . بل ان الثواب والعقاب هما ما يحكم بهما

مقال الجنة والنار

على العمل أو هما المكافأة والعقوبة .. ولكن ذلك طريق يوصل الى الجنة أو الى النار ، فعندما يستبدل الكاتب معنيين بمعنيين آخرين لا يدلان عليهما مباشرة أو بالتطابق يكون قد أخرج معنى الجنة والنار لدى أذهان المسلمين .

وأما مسألة الاستيعاب ، فليس هذا ذنب المعنى الذى يدل عليه « الجنة والنار » بل ذنب الكاتب وأمثاله ممن يعجزون عن الاستيعاب ...

٣ — ثم يسترسل الكاتب فى الخروج عن الحق (وتحرير الذهن من الصور المادية لوصف الجنة والنار .. التي يجب أن تفهم على ضوء أساليب اللغة من بلاغة .. وغيرها) . فكان واجبا على الكاتب أن يعمل عقله بالايمان العقلى بفكر مستنير يضىء له الطريق الصحيح فيكون ايمانه بالله وبالرسول وبالقرآن عقليا يقينيا .. فتكون فكرة الجنة والنار أمرا ميسورا يستوعبه كل مفكر فطين .. وأما أساليب اللغة .. فلا أظن أن محمدا عليه الصلاة والسلام أرسل للناس « نحويا أو لغويا » يعلم البشرية فنون اللغة العربية .. وانما أرسل رسولا يحمل رسالة وتشريعا للبشر .. ولكن هذه الرسالة أنزلت باللغة العربية التي لا يجوز فصلها عن الاسلام حيث لا يفهم الانسان دقائق القرآن المعجز الا بها . ولكن اللغة لها ألفاظ تدل على معان معينة وجاء الاسلام وأعطاها معانى غيرها .. لهذا أوجب الفقهاء أنه اذا وجدنا كلمة لها معنى شرعى وآخر لغوى أن نأخذ المعنى الشرعى ونهمل المعنى اللغوى واذا لم يكن لها معنى شرعى خاص يؤخذ المعنى اللغوى على أنه شرعى . كما أن علماء الأحاديث حينما كانوا ينظرون فى قوة الدليل .. كانوا يأخذون بالحديث الذى يدل على المعنى صراحة ويهملون الحديث الذى يدل على معنى بطريق التشبيه أو الاستعارة أو المجاز أو غيرها .. وذلك عندما يتعارض الحديثان .



٤ ــ ثم يقول الكاتب : (ان العقل يعرف الخطأ من الصواب ويعرف الخير من الشر ويعرف بالتالى الثواب والعقاب) ... صحيح أن الله ميز الانسان بعقله ، وصحيح أن الشرع الاسلامي جعل العقل مناط التكليف ، وان هذا العقل ان أحسن استعماله يعرف وجود الخالق من آثار خلقه .. ولكن هل عقول البشر واحدة ؟ . كلا . اذن من الحكم ؟ هو الشرع وليس غيره .. فكان واجبا أن نسلم بما جاء به الشرع وأن الخير والشر ما يدل عليهما من أدلة شرعية لا ما يدل عليهما عقلا .. لأن الشر الذى يحسبه المسلم شرا قد يحسبه الشيوعى وغيره خيرا .. وهلم جرا ..

٥ ــ نقطة أخرى لا أرى كيف أصفها .. وهي حين (جمع) الكاتب جميع الأمم والشعوب وجميع الأقطار والأمصار بل جميع العصور والأزمنة ... ووحد رأيهم (**كلهم**) !!! على معنى الجنة والنار ، كلام غريب مستهجن لا يقبله العقل . كيف ترى الهنود الحمر والبوذيين والهندوس واليهود والنصارى والمجوس وكل البشر يتساوون بمعنى الجنة والنار مع المسلمين ؟ .. بل كيف وحد آراء هؤلاء منذ العصر الحجرى حتى القرن العشرين ؟ .

لهذا كان لزاما على الكاتب المحترم وهو يتكلم عن فكرة من أفكار الاسلام أن يجعل طريق الايمان الى ذلك هو الطريق العقلي اليقيني لا طريق العلم التجريبي .

وهذا هو تعقيب الأستاذ صلاح الدين مجيد :

قرأت مقالا للأستاذ أحمد حسين المحامي بعنوان : (الجنة والنار أو الثواب والعقاب) ، وبالرغم من اعجابي بأسلوب الأستاذ وبطريقته فى الاعتماد على العلم التجريبي الحديث فى تأصيل وتأكيد عقائد الاسلام ، وهو جهد مشكور ومبرور ان شاء الله تعالى ، الا أنى أريد أن ابدى ملاحظة جديرة بالاهتمام . ان الاستفادة من العلم الحديث لدعم وتأييد قضايا الايمان كتفسير آية مثلا تفسيرا علميا اذا تم فى حدود ومع التحفظ فانى أراه أمرا حسنا .

أما ان نسترسل مع اعجابنا بالعلم التجريبي الحديث ، وحماس الشباب المثقف ، فنجعل من هذا العلم (قيما) و (حكما) تعرض عليه عقائد الاسلام ومبادؤه فما وافقه منها أخذناه وما خالفه تركناه ــ أو على الأقل ترددنا فى قبوله ــ فهذا يخالف أبسط معانى الاسلام الذى يعنى الاستسلام . والانقياد لأمر البارى عز وجل بلا اعتراض !! حتى ولو لم نجد لذلك سندا من العلم الحديث ، بل وحتى لو خالفت العلم الحديث ــ وان كنا نعتقد أنه فى حكم المتعذر أن يتعارض نص قطعى مع حقيقة علمية قطعية .

ان الذى دفعنى الى كتابة هذا التعقيب فقرة وردت فى المقال المذكور وهى : (وعندنا انه يجب النظر الى الجنة والنار دائما على ضوء هذا المعنى الأوسع والأعم ، وتحرير الذهن من الصور المادية لوصف الجنة أو النار ، والتي يجب أن تفهم على ضوء أساليب اللغة وما تنطوى عليه البلاغة من كناية واستعارة وتشبيه) .

أن وصف الثواب **المادى** لأهل الجنة ، والعقاب **المادى** لأهل النار قد ورد فى القرآن الكريم ، وكذلك السنة المطهرة ــ لا ورودا عابرا بل ان سور القرآن

الكريم وخاصة السور المكية مليئة بهذه (الصور المادية) ، ولا أدرى كيف يطلب الكاتب المحترم مع علمه بكل هذا ان نحرر أذهاننا من هذه الصور المادية ؟ .

وهذا هو رد الأستاذ أحمد حسين

تفضل الاخ الكريم الاستاذ محمود سليم دوعر فعقب على مقالنا « الجنة والنار » المنشور فى عدد شوال سنة ١٣٨٦ هـ . وانى أذ أشكره على عنايته واهتمامه ، أبادر فأطمئنه الى أننا لسنا مختلفين فيما قاله من أن طريق « **الايمان بالله الخالق المدبر ، والايمان بالقرآن الكريم الذى لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه ، وبأن محمدا رسول الله وخاتم الرسل ، لا يحتاج الى علم تجريبى حديث ولا قديم ، فالايمان ليس مادة محسوسة كالماء والحديد والنحاس، بحيث يمكن ان يخضع للتجربة ويوضع تحت المجهر » ويدهشنى كيف لم يلحظ الاستاذ اننا قلنا فى أول المقال « أيقربنا العلم الحديث من تصورهما » ولم نقل هل يقرهما العلم الحديث . وكيف لم يلحظ اتفاقنا مما جاء فى خاتمة مقالنا ، حيث لخصنا أغراضنا من هذه السلسلة من المقالات فى العبارات التالية :**

١ — أن هذا الكون لا يمكن الا أن يكون من خلق اله قديم حكيم مدبر حى قيوم .

٢ — أنه أوحى لنفر من عباده ليشهدوا بوجوده ، ويدلوا على طريقه ، ويعرفوا الناس طريق الخير والشر ، والخطأ والصواب .

٣ — ان هؤلاء الرسل الصادقين الأمناء ، قد قالوا لنا أن سيكون بعث ، وستكون جنة ونار فأصبح لا مناص من تصديقهم ، والايمان بهذه الحقائق الغيبية ، التى لا يتوصل اليها عن طريق الحواس .

ولعل هذا الذى قلناه هو عين ما يقول به الاستاذ الفاضل .

لبس

بقى أن حضرته قد تصور فيما يبدو أننا نتحدث عن الجنة والنار كما يصورهما القرآن الكريم والاسلام ، مع أننا فى سلسلة هذه المقالات التى نشر منها حتى الآن سبع فى مجلة « الوعى الاسلامى » ، لم نشرع بعد فى التحدث عن الاسلام كدين ، ولم نخصه بحديث ، وانما قصرنا كلامنا على الافكار المشتركة فى الاديان والمعتقدات الانسانية كلها ، وذلك تمهيدا لاثبات أن الاسلام هو الحاكم والمهيمن على هذه الاديان ، وهو الاولى بالاتباع .

ولعل هذا المنهاج هو الذى لا يعجب الكاتب الفاضل ، فهو لا يريد منا (فيما يبدو) أن نصل عن طريق البحث والتحليل بالاساليب العلمية الحديثة الى هذه النتيجة التى يراها قضية مسلما بها ، لا تحتمل جدلا أو نقاشا ، وربما يرى التحدث فيها تحصيل حاصل ، او جهدا يبذل فى غير نفع .

وهنا ينسى الكاتب الفاضل أن ما يتمتع به وقليل من أمثاله من نعمة الايمان الصادق الذى لا يحتاج الى دليل او برهان ، هو نعمة اختصوا بها ، ولم تعد تتوفر للكثير من أبناء الجيل الجديد فى طول العالم الاسلامى وعرضه، حيث يتلقى ملايين الطلاب فى المدارس والجامعات ، الداروينية والماركسية والوضعية ، وغيرها من المذاهب المادية ، التى ترى أن هذا الكون قد وجد بمحض الصدفة ، وأن الاديان هى أفيون الشعوب ، ومن جهالات الانسان البدائى، الامر الذى يجعل من أوجب واجبات مفكرى الاديان بعامة ، والاسلام بخاصة، أن يتحدثوا عن اثبات وجود الله ، وعن



حقيقة الدين بأسلوب علمى لا يقوم على التقرير ، والامر والنهى ، بقدر ما يقوم على الاقناع ، مستخدما آخر معطيات العلم ، ومستعينا بالمنطق والادلة التى يتقبلها العقل .

الاسلام دين العقل والمنطق

والسؤال الذى يصح أن يطرح فى هذه المناسبة ، أينكر الاسلام هذا الاسلوب والمنهاج ، أسلوب البحث العقلى ، والاخذ بالاساليب العلمية لاثبات وجود الله الحى ، والبعث والحساب والجنة والنار ، أم أن ذلك هو الاسلوب الذى جاء فى القرآن الكريم ومنهاجه لاقناع المخالفين ، ان الكاتب الفاضل يعرف أنه ما من رسول من الرسل الا وقد أرسل الى قومه مزودا بمعجزة خارقة تصدع عقولهم ، وتحملهم بالتجربة والمشاهدة والعيان على الايمان والتصديق ، الا سيدنا محمدا عليه الصلاة والسلام ، فقد جاء ومعجزته الكبرى ، معجزة عقلية ، تخاطب العقول بالدليل والبرهان ، ولذلك نرى أنه بينما أصبحت معجزات باقى الرسل تروى وتحكي ، نرى أن معجزة الاسلام باقية خالدة ، خلود العقل الانسانى .

وآيات القرآن حافلة بالتوجه الى العقل والاهابة به ان يتأمل ، وان يتفكر وأن يتدبر « أفلا تعقلون — لعلكم تتفكرون — أفلا يتدبرون » .

ونص القرآن الكريم على وجوب تقديم الدليل على كل قضية « قل هاتوا برهانكم ان كنتم صادقين » « قل هل عندكم من علم فتخرجوه لنا » .

والقرآن يقدم الدليل العقلى على وجود الله ووحدانيته « لو كان فيهما آلهة الا الله لفسدتا » .

« وما كان معه من اله اذا لذهب كل اله بما خلق ولعلا بعضهم على بعض سبحان الله عما يصفون » .

بل ان القرآن ليذهب الى أبعد من ذلك كله فى تعليمنا التماس الدليل والبرهان الحسى اذا أتيحت الفرصة للحصول عليه ، وذلك فى حكاية سيدنا ابراهيم عندما قال لله عز وجل « رب أرنى كيف تحيى الموتى قال أو لم تؤمن قال بلى ولكن ليطمئن قلبى » فدل ذلك على أن التماس الدليل الحسى فيه زيادة لاطمئنان القلب . فلا لوم علينا أو تثريب ، اذا انتهجنا نهج القرآن ، خصوصا ونحن ننتهى الى النتائج ذاتها التى جاء بها القرآن ونؤمن ويؤمن بها الاستاذ الفاضل .

اشتمال القرآن على المجاز والتشبيه والكناية

وقد تعقب الكاتب الفاضل بعض عبارات وردت فى مقالنا كطلبنا تحرير الذهن من الصور المادية لوصف الجنة والنار التى يجب أن تفهم على ضوء أساليب اللغة من بلاغة وبيان وتشبيه ، ونحن كما قدمنا انما نتكلم بصفة عامة عن حديث الجنة والنار فى تصورات مختلف الشعوب ، ولكن الكاتب الفاضل زج بالقرآن الكريم وأنه لم ينزل لتعليم

اللغة العربية . ونحن لم نقل شيئا من ذلك ، ولا بأس من أن نذكر الاستاذ الفاضل بما يعرفه جيدا من غير شك من أن الشرط الاساسى قبل الاقدام على فهم ألفاظ القرآن فضلا عن محاولة تفسيره واستنباط الاحكام منه ، هو معرفة قواعد اللغة العربية معرفة تامة على سبيل الاحاطة ومعرفة أساليبها ومناهجها ، وما اعتاد العرب استعماله من المجاز والتشبيه والكناية .

وانما كان الذى يمكن أن يؤخذ علينا بحق ، لو أننا أنكرنا أن يكون للجنة أو النار وجود مادى متحيز كما تصور حضرة الكاتب الفاضل ، مع أن المقال كله قد كتب لاثبات هذا الوجود المادى المتحيز على ضوء العلم الحديث .

الثواب والعقاب فى كل دين من الاديان

بقى أن الكاتب الفاضل لم يعجبه قولنا « أن جميع الشعوب فى جميع العصور والازمنة ، قد اتفقوا على فكرة العقاب والثواب والجنة والنار وان اختلفوا فى تصورهم الجنة والنار » . وقد أدهشنا أن يصف الكاتب الفاضل هذا القول بأنه مستهجن وليس مما يقبله العقل البشرى وقد لا يستغرب أن يكون الكاتب الفاضل لم يطلع على ديانات ومعتقدات مختلف الشعوب ، ولكن الذى استوقف النظر أنه حشر اليهود والنصارى بين من يستبعد العقل معرفتهم شيئا عن الجنة والنار .

ويظهر أن الكاتب الفاضل قد نسى أن جوهر الدين اليهودى والمسيحى هو جوهر الدين الاسلامى الذى هو دين ابراهيم ... دين الفطرة .

« شرع لكم من الدين ما وصى به نوحا والذى أوحينا اليك وما وصينا به ابراهيم وموسى وعيسى أن أقيموا الدين ولا تتفرقوا فيه » .

فاليهود والنصارى من المفروض أن يعرفوا عن الثواب والعقاب والجنة والنار مثل ما يعرف المسلمون .

وبالنسبة لاى دين من الاديان وثنيا كان او سماويا ، لا يمكن أن يقوم أساسا الا على فكرة من العقاب والثواب ، وبالتالى جنة للمحسنين ، ونار للمذنبين .

وقد فات الاستاذ الفاضل أن الله سبحانه وتعالى لم يدع البشر مذ كانوا على هذه الارض بدون نبى أو رسول .

« ولقد بعثنا فى كل أمة رسولا ؟ ان اعبدوا الله » .

« وان من أمة الا خلا فيها نذير » .

فما الذى يجعل وجود فكرة الجنة والنار عند مختلف الشعوب مما يستهجن ولا يقبله العقل .

ونلفت نظر الاستاذ الفاضل أننا نقول « فكرة » ولا نقول صورة محددة .

« وبعد » فانى أؤكد للاستاذ الفاضل أننى استمتعت بمقاله ، وأننى أشكره عليه لانه أتاح لي فرصة توضيح بعض المفاهيم ، ورفع كل لبس .

ولعله قد وجد الآن أننا متفقان فى الجوهر والهدف ، وان اختلفنا حول بعض التفاصيل والجزئيات ، وهو خلاف لا يفسد للود قضية .

يعلن كارليل فلسفته هذه عن نشر الحقائق والفضائل بأية طريقة ، وفى أى اسلوب ـ بقوله : « انا لا احفل أكان انتشار الحق بالسيف أم باللسان أم بأية آلة اخرى .. فلندع الحقائق تنشر سلطانها بالخطابة أو بالصحافة أو بالنار . لندعها تكافح وتجاهد بايديها وأرجلها واظافرها أيضا » .

وكأنى به يؤمن بالنظرية الاسلامية التى تقول : « ان الله يزع بالسلطان ما لا يزع بالقرآن » . وذلك لاختلاف النفوس والطبائع الانسانية بين القبول واللين ، والاستجابة بالشدة ، كما أكدت ذلك تجارب علم النفس وعلم الاخلاق .

شهوانية الدين الاسلامي

أما ما قيل عن شهوانية الاسلام فان توماس كارليل يراه جورا وظلما .. لأن ما اباحه محمد مما حرمته المسيحية لم يكن من تلقاء نفسه ، وانما كان جاريا متبعا عند العرب من قديم الازل (١) (!!!) وقد قلل محمد هذه الأشياء جهده ، وجعل عليها قيودا وحدودا .

ثم يقول كارليل : « ان الدين الاسلامي ـ بعد ذلك ـ ليس سهلا ولا هينا . وكيف ؟ ومعه ـ كما تعلم ـ الصوم ، والوضوء ، والصلاة خمس مرات فى اليوم ، والحرمان من الخمر » .

وهنا يفلسف كارليل اعتناق الناس لدين ما . فهو يرى أنهم لا يعتنقون دينا من الأديان ، رجاء ما فيه من لذة ومتعة ، بل لما يثيره فى نفوسهم من بواعث الشرف والعظمة .

ويأتى دور دفاعه عن نبى الاسلام عليه الصلاة والسلام فيقول فى صراحة وقوة حجة . « ما كان محمد اخا شهوات ، كما اتهم ظلما وعدوانا . وشد ما نجور ونخطىء اذا حسبناه رجلا شهويا لا هم له الا قضاء مآربه من الملاذ .. كلا . فما أبعد ما كان بينه وبين الملاذ أية كانت . لقد كان زاهدا متقشفا فى مسكنه ومأكله وملبسه ، وسائر احواله وأموره. وكان طعامه الخبز والماء ، وربما تتابعت الشهور ، ولم توقد فى بيته نار . كما كان يصلح نعله ، ويرفو ثوبه بيده . وهل بعد ذلك من مكرمة ومفخرة ؟ الا حبذا محمد من انسان خشن اللباس ، خشن الطعام ، مجتهد فى الله ، قائم نهارا ، ساهر ليلا ، واثب فى نشر دينه .. غير طامع فى دولة او سلطان أو ذكر أو شهرة » .

وبعد . فهكذا قيض الله توماس كارليل ـ من المفكرين الغربيين المنصفين ـ مدافعا عن دين الاسلام ونبيه ... دفاعا مجيدا حميدا قال عنه (رينتشارد جازيت) : « انه كان بعيد الاثر كبير التأثير فيما كتبه المستشرقون الغربيون قبله من أباطيل وافتراءات عن الاسلام ، فسكت الهجاءون الفحاشون الذين كانوا يطلقون السنتهم وأقلامهم القذرة فى محمد عليه الصلاة والسلام بالأكاذيب والاضاليل ، وانتشرت الحقائق والوثائق والأنوار الكاشفة عن عبقرية الاسلام وعظمة نبيه الكريم » .

---

(١) هذا التعليل يحتاج الى نظر وضبط . فصحيح أن الرسول لم يبح شيئا من تلقاء نفسه كما أنه لم يكن تابعا لما كان يجرى عليه العرب منذ قديم الازل .. فكل ما حرمه أو اباحه هو من عند الله . ثم ما هذه الاشياء التي يشير اليها ؟ تعدد الزواج والطلاق ؟ ان كان الامر كذلك فالذى نعرفه أن حكم الشارع الاسلامي فى هذا هى التي يمكن على هديها علاج امراض البشرية وحالاتها الاجتماعية ، على ان المعروف أن منع التعدد والطلاق انما حصلا مؤخرا فى المسيحية .

« الوعى »

((من سره أن ينظر الى عتيق من النار ، فلينظر الى أبى بكر))
ـ حديث شريف ـ

الصحابي الأول

"تحية إليه في عيد الهجرة"

للاستاذ / عبد الحميد محمد المشهدى

حلقات متتابعة من البخور ، وموجات متصلة من العطور ، ومعبد شامخ البناء ، مهيب الرواء ، وشيخ (١) يجر نصف عباءته ، ويأخذ بمعصم فلذته . يجتاز به عتبة المعبد فى بطء وخشوع ، وتأمل وخضوع ، يطوف بفتاه على الانصاب وأماكن الأزلام ، والهياكل والاصنام ، يتنقل بينها بأصبعه لأنه حرم قدرة الكلام ، ويقرأ على وجه وليده ما ينتظره من تفاعل أو الهام ، ثم يشتد حنينه ووجده ، وتذوب شجاعته وجلده ، فيطاق ولده من عقاله ، ويتركه فى المعبد بين مخاوفه وآماله ، ويلقى فى روعه بما يريده عليه ويقول .

هذه يا بنى آلهتك الشم العوالى .

وتلفت أبو بكر حوله ، فلم يجد الا أضواء مربدة ، ووجوها جامدة ، وكأن صوتا من داخل نفسه يناديه : أمثل هذه الاحجار تحيى وتصرع ، وتعطى وتمنع ، وتضر وتنفع ؟ . انه للعجب العاجب ، والبلاء الواصب ، ثم راح يتحسس معالمها بأصابعه ، ويزرع أبعادها بناظره ، ثم يسخر من عجزها العميق ، وجهلها العريق ، ثم دنا من كبيرها وسأله ساخرا .

انى جائع يا هذا فأطعمنى !!

انى عار يا هذا فاكسنى !!

انى ضعيف يا هذا فقونى !!

ولكن كان صدى الصمت ـ هو الجواب المنتظر .

فثار أبو بكر تحديا لهذا الصمت ، ورفع بين يديه حجرا ، وهوى به على أحدهم ، فانكفأ على وجهه .. ثم ساد المعبد صمت رهيب لم يكن يسمع فيه الا دقات قلبه السريعة ، ترددها أنفاس مبهورة ، ولم يقطع عليه صمته الا صوت خفى شجى يقول .

---

(١) عثمان بن عامر الشهير بأبى قحافة والد الصديق رضى الله عنه

أربا واحـــدا أم ألـــف رب
أديـــن اذا تعقـــدت الأمـــور
هجرت اللات والعـــزى جميعا
كذلك يفعل الرجـل البصـــير

فتلفت أبو بكر حوله فلم يجد حيا ولا ديارا ، فعجب لهاتف يتحـدى تعـدد الآلهة فى مستودع الآلهة . ثم راح يفتل **ذؤابته** (١) النحيلة مستغرقا فى مدى ما وصل اليه عقلُ الانسان ، يسوى حجارة ثـم يعبدهـا ، ولم يفقه مـن تفكـيره الا صخب يزحـف حوله ، وضـوضـاء وقهقهـة ، وعربـدة وضجيج ، فأرسل بصره ليتبين الامر ، فاذا هو بالقرب من مخمور مهلهل الثياب يتمايـل ويترنح ، ويبـكى ويفـرح ، وينكمش ويمـرح ، والاطفـال حـوله بالضحك يضجون ، والشبان يتمازحون ويسخـرون ، والشيـوخ يضجـرون ويعبثون ، وكلما وقعت عين المخمور على **روث أو عذرة** (٢) **حمل** منها وأدناها من أنفه ، ثم ألقى بهما فى وجه من حوله ، فيفرون ثم يعودون . فيهـدر عليهـم غاضبا لاعنا دين الاولين والآخرين .

خرج أبوبكر مـن المعبـد مستغرقا بذهنه فى مدى ما وصل اليه الحال فى البلد الحرام ، من تفشى الظلم والظلام والجهل والعداء ، وانتشار الخمـور **والفسوق** ، **بين السـادة والدهماء** (٣) وسيطرة الربا والاستبداد والكبرياء .. وكان السـائر بالقرب من أبى بكر يسمعه وهو يردد قول زيد بن عمر وابن نفيل (٤) .

كل دين يـوم القيامـة الا
ما قضى اللـه والحنيفة بور

« ٢ »

« ان صدق الله رؤياك يابنى فانه يبعث نبى من بنى قومك تكون وزيره فى حياته . وخليفته بعد وفاته » .

ـ بحيرا الراهب ـ

رجل أبيض الوجه كث الشعر ، أجنأ الظهر (٥) **خفيـف العارضـين** ، غائـر العينين ، دقيق الحدقتين . نحيـل الجسم ، بارز الجبهة ، ضامر الحقويين (٦) يسير فى شوارع بصرى (٧) الواسـعة تفيض بالسكارى ، وتغص بالسيـدات **والعذارى** ، وتمتلىء **بحانات الخمـر** والمرابين وتحتشـد بالشـطار (٨) والمقامرين ، وتسبح بمواكب عيد الميلاد والمهرجـين ، تتشابك فيها الزهـور والاغصـان ، وتتناثر فيها أحـواض **الغثيان** (٩) **فلا يكاد يطالع التماثيـل** الفارعة ، والاشجار اليانعة ، حتى تقع عينه على الكنائس الفخمة والنواقيس الضخمة ، ولايكاد يشهد المبانى الشارعة ، والملاعب الواسعة ، حتى يقف شاردا أمام القمم السامية ، والمروج الزاهيـة ، والجداول الصافية ، والاسواق المترامية ، والنزل العالية ، ولا يكاد يرى صريعا للثيران ، أو ضحية كبوة بين الفرسان ، أو مغمى عليه بين السقاة والندمان ، أو لصا يدعه رجال القوة والصولجان ـ حتى يتحسس دراهمه ودنانيره ، وينطوى على نفسه ، متجعدة أساريره ، ثم راح يقلب وجهه فى السماء . ويضرب كفا بأخرى ... وكان السائر بالقرب منه يسمعه يتمتم ويقول : تزاحم الاصنام ، وانتشار الفسق والخمر والميسر ، واستشـراء

---

(١) ما ينبت من شعر فى أسفل الذقن . (٢) فضلات الانسان (٣) عامة الناس
(٤) زيد بن عمر وابن نفيل العزى القرشى العدوى كان يتعبد على دين ابراهيم ولا يأكل الدم والميتة ولحم الخنزير ولا يذبح للاصنام . (٥) منحن قليلا . (٦) مفرده حقو .
(٧) هى غير البصرة بالعراق وهى مدينة من مدن الشام (٨) الفتوات .
(٩) كان من عادة الرومان أن يأكلوا ليتقيأوا ثم **يأكلوا** ليتقيأوا استمتاعا بمضغ الطعام ولذائذه . لهذا كانت المنازل والشوارع مزودة **بأحواض الغثيان** .

الجحود والظلم والربا ، وتفشى الصلف والاستعباد والجهل والظلام ، والحمق والحروب والضلال . انه فى الشام كما هو فى البلد الحرام .. ولكن .. لا بد لهذا الليل من آخر .

ثم سار نحو مخيمه مهموما يجر قدميه ، ويرفع ازاره الى ما فوق حقويه، ثم آوى الى مضجعه لا يحدث أحدا بما يجول بخاطره .

وما انتصف الليل حتى استيقظ على صوت هاتف يقول :

يا عبد الله ... ياعتيق ... يا أبابكر الرحيل . . الرحيل . فقام من نومه يمر بيده على جفونه ، ثم يفرك يدا بأخرى . ثم يضغط على صدره بذراعيه ، وقد تبدل صمته ابتساما ، وخوفه اطمئنانا ، وهواجسه ثقة وأيمانا ، ولم يكن هذا التبدل فرحا بنفاذ بضاعته ، أو نجاح تجارته ، أو حنينا الى الاهل والوطن ، أو قرارا مما يرى من تفشى التحلل والاستهتار والوهن . بل لرؤيا رآها بين النوم والوسن .

صحراء خرساء ، ناعسة لعساء ، تلفعت بأفواف السماء ، وقامت على حراستها جبال شماء . وتعهدتها بالسقى سحب الشمال بصافى الماء . وقبة عالية تنبض بدقات النواقيس ، وتزفر كواتها بأنفاس الفراديس ويتحدث سكانها بلغة النواميس ، وتحتل فى الصحراء مكان الثدى من صدر العذراء ، وتسترد ابل القوافل أنفاسها فى ظلها ، وتطفىء ظمأها من مائها ، ويداعب النوم جفون المسافرين فى أمنها ، وراهب شاحب الوجه فاره البناء ، ناصع الشعر ، طويل اللحية وضىء الرداء ينصت الى محدثه مغمض الجفون ، جياش الشجون ... ثم شخص الى محدثه وقال له .

ما اسمك يا بنى .

ابو بكر — عبد الله بن عثمان الشهير بأبى بكر .

الراهب بحيرا — من أى القبائل ؟

أبوبكر — من قريش .

الراهب بحيرا — من أيها ؟

أبوبكر — من تيم بن مرة (١) .

الراهب بحيرا — ماذا تزاول من أعمال ؟

أبو بكر — التجارة بين مكة والشام وبين مكة واليمن .

بحيرا الراهب — اسمع يا بنى ان صدق الله رؤياك . فانه يبعث نبى من قومك تكون وزيره فى حياته ، وخليفته بعد وفاته .

أبوبكر — ينحنى على نفسه فرحا — ويقول لبحيرا لقد حدثنى بمثل ذلك شيخ بنى أزد وعالم اليمن الكبير .

بحيرا الراهب — يابنى احفظ عنى ما سمعت ، واكتم عن الناس ما علمت،حتى يحين هذا الزمان ، ويبعث هذا النبى فى الارض الحرام ، وسيلقى من قومه شدة وعنتا . وسيبتلى أصحابه فى أموالهم وأنفسهم . وسيهاجرون الى بلد آخر . وهناك يبسم لهم النصر . وسيكون لك فى كل هذا دور خطير .

(٣)

« ما دعوت أحدا الى الاسلام الا كانت منه عنده كبوة وتردد . الا ما كان من أبى بكر ، ما عكم (٢) عنه حين ذكرته له وما تردد فيه » . حديث شريف .

شاب وسيم مسجى فى شبه غيبوبة فوق ثوب تسير بأطرافه الرجال الى حى بنى جمح ؛(٣) ووجوه الرجال على جانبى الطريق بين جازعة وشامتة ، وعيون النساء بين باكية وصامتة ، وأصداء الولولة والنحيب ، تستقبل المشهد الاليم ، وسيوف غاضبة تسارع الى بيت أبى بكر فى بيد بنى تيم ، وهمهمة وغضبات ، وتمتمة وتهديدات ، وغبار

---

(١) بفتح وسكون — بطن من قريش (٢) تباطأ

(٣) حيث نزل أبو بكر رغم أنه من تيم



يسبح فى الدروب والطرقات . وأم (١) تنكفىء بوجهها على ولدها ناشجة وهى تقول :

بأبى أنت وأمى يا بنياه . ما الذى دهاك يا فلذتاه ؟ .

زيد بن قيس — ان أبابكر — يا عمتاه — قد عرض أمر الجهر بالدعوة الاسلامية على رسول الله . فقال له الرسول . ان عدد المسلمين لا يزيد اليوم عن تسعة وثلاثين . ومثل هذا العدد لا يقع موقع القوة من قريش . فلنصبر قليلا حتى يؤيد الله الاسلام بأحد العمرين . ولكن أبابكر ما زال برسول الله يرجو ويلح حتى استجاب له ، فثار المشركون عليه وعلى من فى المسجد من المسلمين ، وضربوهم ضربا موجعا ، ودنا عتبة بن ربيعة من أبى بكر وجعل يضربه بنعلين مخصوفين ، حتى لم يعد يعرف مكان أنفه من وجهه .

فنحيناهم عنه ، وحملنا أبابكر الى فراشه كما ترين .

أم جميل (٢) تنكب عليه باكية — وهى تقول .

— ان قوما نالوا منك . لأهل فسق . وانى لأرجو أن ينتقم الله لك .

لؤى بن زيد — والله لئن مات أبوبكر لنقتلن به عتبة بن ربيعة ، وسنعلنها على الناس فى المسجد ودار الندوة ، وفى كل مكان حتى يعلم الكل اننا نحن الناس .

زيد بن قيس — لم تحتمل قريش أن يفجعها أبو بكر باسلامه . حتى فاجأها بشراء الموالى واعتاقهم . فأصيبت أعمال قريش بالبوار . ثم باغتهم وتحداهم بعلانية الدعوة فى المسجد ، فكان الذى حدث .

لؤى بن زيد — لقد ظنت قريش أن الدعوة الجديدة ستظل محصورة بين الاحداث ، (٣) مثل على بن أبى طالب (٤) والزبير بن العوام ، (٥) أو بين من لا عصبية لهم ولا مال ، كياسر وعمار وسمية وصهيب وزنيرة وأم عيسى ولكن اسلام أبى بكر ، ثم اسلام عثمان بن عفان ، وعبد الرحمن بن عوف ، وسعد ابن أبى أبى وقاص ، وطلحة بن عبيد الله وعامر بن عبد الله بن الجراح(٦)، وعثمان ابن مظعون ، والارقم بن أبى الارقم ... اسلام هؤلاء جميعا على يد أبى بكر وهم فى مكان الذروة من قريش — قد أحنقهم على أبى بكر فبيتوا له بليل .

فهر بن صفوان — ان قريشا لم يحنقها شىء بقدر ما أحنقها أن محمدا يسوى بدعوته بين العرب والعجم . وبين العبيد والسادة ، وبين السوقة والأشراف ، ويدنى حقوق النساء من حقوق الرجال حتى كادت تتم التسوية بينهما ، ويكره الميسر ويعافه ، وهو ملهاة قريش وسلوتها . وقد يحرم الخمر غدا وهو مرحها ونشوتها . ويعلن أن عباد الاصنام منها فى النار وفيهم آباؤها وأمهاتها .

— لم يقطع حبل الحديث — الا تأوهات موجعة من سرير المصاب تلتها غمغمة . فتبعتها صحوة وتساؤل من أبى بكر .

— مافعل رسول الله ؟

سلمى — سالم ... صالح .

أبو بكر — أنى هو الآن ؟

فاطمة بنت الخطاب — فى دار الارقم ابن أبى الارقم .

سلمى — وفى يدها قعب فيه لبن — بنفسى أنت يابنى . أرفع هذا الى فمك شرابا خالصا سائغا يبل أوامك ، ويطفى ظمأك .

---

(١) هى سلمى بنت صخر أم أبى بكر
(٢) كنية فاطمة بنت الخطاب
(٣) صغار السن
(٤) أسلم وسنه ٩ سنين
(٥) أسلم وسنه ١٢ سنة
(٦) الشهير بأبى عبيدة بن الجراح

أبو بكر : ان لله على آلية ألا اذوق طعاما ولا شرابا أو آتى رسول الله .

أبو قحافة : بنفسى أنت يا بنى — غير أنى اراك تعتق رقابا ضعافا . فلو أنك اذ فعلت ما فعلت اعتقت رجالا جلـدا يمنعونك ويقومون دونك .

أبو بكر : يا أبت انى أريد مـا عند الله (١) .

أبو قحافة — ولماذا رغبت عن ديـن الاولين يابنى (٢) .

أبو بكر : بينا أنـا جالس — يا أبت — فى فىء شجرة فى الجاهلية ، اذ تدلى على غصن من أغصانها حتى صار على رأسى . فجعلت أنظر اليه وأقول ما هذا . فسمعت صوتا من الشجـرة ، يقول : هذا النبى يخرج . فقم وآوه . تكن من أسعد الناس . فقلت ما أسم هذا النبى ؟ قال محمد بن عبد الله بن عـــبد المطلـب بن هاشـــم . فطار قلبى فـــرحا بالنبـأ ، ثم سـمعت بعد ذلك من ينادى : يا بن أبى قحافة .. جد وشمر .. قد جاء الوحى ورب موسى . لا يسبقك الى الاسلام أحد ، ثم رأيت رؤيا فى بصرى بالشام ، وأولها الراهب بحيرا بما يطابق ما سمعت من داخـل الشجرة ثم رأيت مثلها فى رحلة اليمن . ثم سكت أبو بكر ليسترد أنفاسه ثم عاد يقول :

ولما علمت بدعوة رسول الله طرقت عليه بابه ، فلما ظهر لى ، قلت له : ما الذى بلغنى عنك فقال (ان ربى جعلنى بشيرا ونذيرا ، وجعلنى دعوة ابراهيم ، وأرسلنى الى الناس أجمعين ، فقلت له : والله ما جربت عليك كذبا . وانك لخليق بالرسالة لعظم أمانتك ، وصلتك لرحمك ، وحسن فعالك . ولكن هل أطمع فى مزيد من دليل جديد) . فقال : (الرؤيا التى رأيت فى الشام) فعانقته وقبلته بـين عينيه . وأعلنت شهادتى بين يديه ثم بهرت أنفاسه وسكت عن الكلام .

فاطمة بنت الخطاب — دعوه حتـى يستعيد راحته وهدوءه ، حتى اذا هجع الليل ذهبنا به الى رسول اللـه حيث يكون .

ابتلعت الضوضاء أجـواف المنازل ، ولاذ الليل بأستار الصمت ، وأطل القمر على صفحـة الكـون يضىء ظلمتـه ، ويؤنس وحشته ، وأخذت النجوم أماكن القيادة فى السـماء ، لهداية الناس فى مسالك الارض ، وفوق أمواج المـاء . وطافت بمكة نسمات ندية وئيدة تمسح العرق عن المتعبين ، وتبعث الانتعاش فى نفوس المحـرورين ، وتوقـظ الاوراق الناعسة فوق الغصـون ، وتحسست الانامل الرقيقة باب الارقم بن أبى الارقم ، ثم دقت عليه برفق فأز ثم انفرج . وكان اللقاء الحار بـين الحبيبين : محمد بن عبد الله ، وأبى بكر الصديق . فيهوى عـلى رسول الله تقبيـلا ، ويتحسس جسده اطمئنانا عليه ، والتف المسلمون حولهما مهنئين .

وكان السائر بالقرب من باب الارقم يسمع أبا بكر وهو يقول :

بأبى أنت وأمى يارسول اللـه ... ليس بى الا ما نال الفاسق من وجهى .. وهذه أمى برة بوالديها وأنت مبارك فادعها الى اللـه ، وأدع لهـا عسى أن يستنقذها بكمن النار،فرفعرسول الله وجهه الى السماء ودعالها ، ثم ناداهـا ودعاها الى الله ورسوله ، فابتسمت ومدت يدها اليه فبايعته ، وأسلمت بين يديه ... فانحنى أبو بكر عليها يقبل يدها ، ويبكى من شدة الفرح ، ثم اعتدل رافعا يده فى الفضاء وأقسم : ليبنين فى فناء بيته مسجدا يعلن فيه بالدعـوة ، ويجهر بالقرآن ، والقرآن كفيل بتخضيد شوكـــة المعانـدين ، وتقويـة ظهـــر المستضعفين ، ولتفعلن قريش ما تشاء .

---

(١) وقد نزلت فيه « فأما من أعطى وأتقى . وصدقبالحسنى . فسنيسره لليسرى » .

(٢) كان اسلام أبى قحافة والد الصديق أبى بكر يومالفتـح .



ترد قصة هذا البطل في سورة واحدة من القرآن العظيم ، وقد خلدت ذكره مرتين ، مرة في عنوانها الذي حمل وصفه الجامع المانع : (المؤمن) وأخرى في عرض موضوعه الذي استوعب ما بين الآيتين السابعة والعشرين والخامسة والاربعين .

وقصة هذا المؤمن تنزل في سياق السورة منزل الرئتين من الجسد ، ذلك لان السورة باجمعها معرض مدهش للمعركة الخالدة بين الحق والباطل ، ودعاة كل من الفريقين وجنودهما ... تشتد وتعنف على المفسدين المكذبين ، وتلطف وترق على المؤمنين المصدقين ، وفيما بين هذا وذاك تفتح الجوارح كلها على مصاير هؤلاء وهؤلاء ... فهنا الفئة المؤمنة تنعم بالقربى التي ربط الله بها بينهم وبين حملة عرشه (يسبحون بحمد ربهم ويستغفرون للذين آمنوا ربنا وسعت كل شيء رحمة وعلما فاغفر للذين تابوا واتبعوا سبيلك وقهم عذاب الجحيم . ربنا وأدخلهم جنات عدن التي وعدتهم ومن صلح من آبائهم وأزواجهم وذرياتهم انك أنت العزيز الحكيم) .

وهناك الذين كذبوا برسالات الله وردوا دعوة أنبيائه ، بارزين تكاد العين تقتحمهم (اذ الاغلال في أعناقهم والسلاسل يسحبون . في الحميم ثم في النار يسجرون ..) سورة غافر .

وقبل أن ننتهي الى موقف البطل المؤمن نجتاز بعض المشاهد الممهدة المثيرة ، تقرعنا قرعا بذكريات العواقب التي لقيها المكذبون بآيات الله ، وتدفعنا دفعا الى مشاهدة آثارهم التي لا تزال تتحدث بفواجعهم .. ثم تواجهنا ببعض مواقف نبي الله موسى عليه السلام ، اذ يعرض بينات رسالته على فرعون وكبار المجرمين من أعوانه .. فيجمعون على القول بانه (ساحر كذاب) .. ثم لا يجدون وسيلة لمواجهة الحق سوى البطش والفتك ، فنسمعهم يصدرون أوامرهم الرهيبة بتصفية الجماعة التي استجابت لدعوة الله ((اقتلوا أبناء الذين آمنوا معه واستحيوا نساءهم ..)) وينفرد فرعون باقتراحه قتل موسى ، الذين يرى فيه وحده ذريعة الخلاص من تلك الدعوة ، التي جاء بها فأوشكت أن

من بطولة الإيمان

للاستاذ محمد المجذوب
المدرس في الجامعة الاسلامية بالمدينة المنورة

تزلزل الارض تحت عرشه ، وتهدد بالاخطار مصالح هؤلاء الطغاة ، اذا ترك لها سبيل الاتصال بعقول الناس ! .. وهو لا يكتم غرضه من وراء ذلك ،فيذكر حاشيته الباغية : انه انما يدعوهم الى قتل موسى لوأد دعوتهالمحررة ، ولحماية النظام الذي يمهد لهم سبيل التسلط على رقاب الملايين ، وبذلك يأمنون على منافعهم المشتركة ، فلا يفلت من أيديهم الزمام ، ولا يفاجئهم ما يعتبرونه افسادا لهذهالمنافع : (اني أخاف أن يبدل دينكم، أو أن يظهر في الارض الفساد ..) ! .

ومن هنا نخلص الىقصة البطل ...

لقد كان ـ كما نتصور ـ فى حاشية فرعون الذين اجتمعوا للتداول فى شأن موسى ، وسمع ما أفضى به المتآمرون من اقتراحات مجرمة ..ويظهر أنه استطاع ضبط أعصابه حتى ذكر فرعون اعتزامه قتل رسول الله عليه الصلاة والسلام فخشي أن تحصل الموافقة على رأيه ، فتفوت فرصة الاعتراض والمناقشة ، لذلك رأيناه ينطلق فى خطابه البليغ مجادلا محاجا محذرا :

(أتقتلون رجلا أن يقول ربي الله وقد جاءكم بالبينات من ربكم وان يك كاذبا فعليه كذبه وان يك صادقا يصبكم بعض الذي يعدكم ان الله لا يهدي من هو مسرف كذاب . يا قوم لكم الملك اليوم ظاهرين فى الارض فمن ينصرنا من بأس الله ان جاءنا ! ..) .

وكانت الحجة صريحة صراحة الحق، وقوية الى حد الاخراس ، فهو يذكرهم بموقف موسى ـ كما هو ـ بريئا من كل سوء ، وفوق كل تهمة ، بل ذنبه فى في نظرهم رفضه العبودية لغير الله ربه وربهم ورب كل شيء .. وهو لم يسلك سبيله هذه جريا معالهوى ،بل استجابة للحق الذي جاءكم ببراهينه من ربكم .. فأبيتم الا تكذيبها عنادا ، واستكبارا ، مخالفين بذلك قلوبكم التي استيقنت ما أنكرتم .. ومع ذلك فتعالوا نتحاكم الىالعقل .. انكم تتهمونموسى بالكذب، والكذب أعجز من أن يواجه الحقيقة ، فدعوا له حرية القول ، واقرعوا دعواه بالحجة الصادقة ، فذلك أسرع الوسائل فى هزيمة الكاذبين .. أما اذا كان صادق الدعوة بخلاف ما زعمتم ، فتذكروا ما وراء تكذيب الحق من المثلات التي طالما ضرب الله بهما مكذبي أنبيائه ! .. ومهما يكن من أمر فالكاذب من الفريقين: أنتم وموسى ، منته حتما الى السقوط



والفضيحة على مشهد الملأ ، لان سنة الله فى هـذا الكون ألا تستمر شعوذة المسرفين الكذابين ! ..

ويحاول أن يحرك ضمائرهم فيذكرهم بقدرة الله التي لا يعجزها شيء ، والتي هي القانون الذي لا يفلت مـن عدالته شيء : يا قوم ! .. انكم مخدوعون اليوم بقوتكم التي تدفعكم الى هذا الاستخفاف بالحق وأهلـه ! .. فتذكروا أننا لسنا أحرار فى تصرفاتنا ، فالملك لله وحده ، ونحن جميعا مستعملون فيه لتحقيق أمر مالكه ، فاذا ما زغنا عن الطريق الذي يريد كنا جديرين بانتقامه الذي لا يدفع ، وليس منه محيد ! .

وكأن فرعون قد خاف أن يعمل هذا المنطق عملـه فى ضمـائر المستمعين ، فيتهيبوا الاقدام على تنفيذ مقترحـه ، فيكون ذلك سببـا لاضعاف هيبتـه ، وانتقاص سلطته ، لذلك لم يدع للبطل أن يواصل خطابـه ، فقاطعه بقولـه لأولئك المؤتمرين :

ان هذا الذي تسمعونه كلام يقبل النقد والنقض ، فلا يصرفكم عن كلامي الذي لا يحمل الا الواقع الذي أحسـه وأوقن به .. وليس لي من أرب فيـه سوى الحفاظ على مصالحكم ، وحياطة مناصبكم .. وهما لكم منفعة محققـة لا يشك عاقل فى صحتها أبدا ! . : « قال فرعون ما أريكم الا ما أرى وما أهديكم الا سبيل الرشاد » .

ولكن الرجل المؤمن لـم يدع كذلك للقوم مجالا للانصراف عن ملاحظة حججه ، فتابع بيانه دون أن يعير كلمة فرعون أي اهتمام مباشر : « .. يا قـوم .. اني أخاف عليكم مثل يوم الاحزاب . مثل دأب قوم نوح وعاد وثمود والذين من بعدهم .. وما الله يريد ظلما للعباد .. ويا قوم .. اني أخاف عليكم يوم التناد . يوم تولون مدبرين مالكم من اللـه من عاصم ومن يضلل الله فما له من هاد . ولقد جاءكم يوسف مـن قبل بالبينات فما زلتم فى شك مما جاءكم به حتى اذا هلك قلتم لن يبعث الله من بعده رسولا كذلك يضل الله من هو مسـرف مرتاب » .

يناديهم بشعار المودة والقربى (يا قوم ..) ليشعرهم بتخوفه عليهم .. وما هذا الذي يخافه ؟ .. انه العبر الماضية التي تجلت فى عواقب المتآمرين مثلهم على أهل الحق ، من أقـوام نوح وهود وصالح وأشياعهم ، ممن استحقوا نكال الله ، ولا تزال أخبارهم ملء الاسماع والصدور .. ثم ماذا ؟ .. ثـم أهوال (يوم التناد) الذي يساق فيه الناس الى ساحة الحشر ، ليتلقوا جزاء أعمالهم ، فترتفع النداءات من كل صوب ، نداء باسماء المذنبين والابرياء ، ونـداء الاستغاثة من هول ذلك البلاء ، ونداء الخصوم بعضهم على بعض فى جـدال لا جدوى منه ولا شفاء .. الى آخـر ما توحي به كلمة (التناد) من أهـوال ذلك اليوم ! .. ولا ينسى أن يصور لهم مصيرهم أثناء ذلك ، وهم يحاولون الفرار فلا يجدون اليه سبيلا .

ثم يعود الى تذكيرهم باقرب الاحداث اليهم ، أيام جاء يوسف آباءهم بدعـوة الحق ، مؤيدة بالبينات القاطعة لكـل شك ، فاستكبروا عن تصديقه ، حتى استوفى أجله ، وانتزعه الموت من بين ظهرانيهم ، فاذا هم يستيقظون بعـد فوات الفرصة ، ولكنهم بدلا من أن يثوبوا الى الرشد ، وطنوا أنفسهم على رفض الحـق ، بانكار الرسالات المستقبلـة جميعا ! .. وليس لهم من حجة فى ذلك سوى العناد الاحمـق .. وطبيعي أن من كان هذا شأنه مـع الله ورسولـه لا يستطيع أن يفتح قلبه للحق ، وأعدل عقوبة له فى الدنيا أن يكافأ على كبريائه بحرمانه نعمة الهداية الى نور الحق ! ..

ومرة أخرى يتهيب فرعون مغبة هذا المنطق العجيب ، فيحاول صرف الاذهان عن متابعته .. ولكنه بدلا من مواجهة الخطيب بالاعتراض المباشر عمد الى أسلوب الشعوذة ، فوجه الكلام الى مساعده الاكبر هامان يقول له : ان هذه الدعوى التي يطلع علينا بها موسى غريبة، لا يجوز الاهتمام بها الا بعد التحقيق المناسب فيها ، فعليك أن تكلف المهندسين وضع تصميم لبناء شامخ ، يمكنني من رصد ما يدعيه ، واستطلاع أمر هذا الاله الذي يتكلم باسمه .. وان كنت أقرب الى اليقين بانه لا وجود له البتة ! ..

ومع أن فرعون على يقين من أن مثل هذا التهويل لا مكان لقبوله فى العقول السليمة ، فهو لم يستح من الاستعانة به ، لانه معتاد ألا يجد لكلامه ، مهما بلغ من السخف والتفاهة ، معارضا بين هؤلاء الذين ألغوا عقولهم وعودوا أنفسهم الانحناء لكل بادرة منه .. حتى أصبح لا يشعر بأية مسئولية على قوله أو عمله ! .

ومن أجل ذلك رأينا الرجل يسلك بأفكاره طريقا آخر ، طريق المجابهة لاضاليل فرعون ، اذ يكشف الستار عن ايمانه المكتوم ، فيفاتحهم بكلمة الحق صريحة دامغة مدوية : (.. يا قوم .. اتبعوني أهدكم سبيل الرشاد . يا قوم .. انما هذه الدنيا متاع وان الآخرة هي دار القرار . من عمل سيئة فلا يجزى الا مثلها ومن عمل صالحا من ذكر أو أنثى وهو مؤمن فأولئك يدخلون الجنة يرزقون فيها بغير حساب . ويا قوم .. مالي أدعوكم الى النجاة وتدعونني الى النار . تدعونني لاكفر بالله وأشرك به ما ليس لي به علم وأنا أدعوكم الى العزيز الغفار ! . لا جرم أن ما تدعونني اليه ليس له دعوة فى الدنيا ولا فى الآخرة ، وان مردنا الى الله وأن المسرفين هم أصحاب النار . فستذكرون ما أقول لكم وأفوض أمري الى الله أن الله بصير بالعباد ...) .

ويبدأ موعظته الحارة بالشعار الرقيق نفسه : (يا قوم ! ..) ثم يعلن المجابهة فيؤكد لهم رغبته فى انقاذهم من الشر الذي يجرهم فرعون اليه ، فلقد وقفوا بين دعوتين : احداهما للضلال المتلف ــ اذا استجابوا لهذا المضل المتكبر، والثانية الى الهدى والرشاد ، وهي التي يمثلها الرجل المؤمن فى هذا المجلس ! ... ولا جرم أن كلا من الاتجاهين منته بصاحبه الى غاية معاكسة لغاية الآخر تماما ، فالاتجاه الفرعوني شهواني محض، هدفه المتاع الزائل من جاه مزيف ، ونعيم مزور لا بقاء له الا ببقاء هذه الحياة القصيرة الزائلة ، أما طريقه هو فهو الجادة الموصلة الى دار المقامة ، التي هي وحدها دار القرار .. ولكن سلوك هذا الطريق يقتضي الاستعداد لتحمل المسئولية أمام مالك الملك ، فلا مثوبة الا بعمل ، ولا عقوبة الا بذنب ، والناس كلهم، أبيضهم وأحمرهم وأنثاهم وذكرهم، سواء فى هذه المسئولية ، لا نصيب لهم من الجنة الا بقدر مجهودهم فى نطاق العمل الصالح ..

وهنا يلتفت لمناقشة مقترح فرعون القاضي بقتل موسى ، والذي ينتظر موافقة المؤتمر عليه ، فيطلق عليه هذه الحزمة من سهام السخرية : يا قوم !.. ان أمري وأمركم لعجيب ! . أنا أدعوكم الى العدالة والانصاف فى معاملة هذا الرجل الذي يدعوكم الى ربكم ، بينما أنتم تدعونني الى قتله ! .. ولو فكرتم قليلا لادركتم أن قتله حرب لله الذي أرسله ، وأن توقيره وتكريم دعوته انما هما تعظيم لذى العزة التي لا تسلب ، والمغفرة التي لا سعادة الا بها .. انكم تدعونني لتسخير عقلي ومشاعري الى شيء وهمي لا قوة له ولا حجة ، بل هو كأي مخلوق مسئول مثلي عن كل ما يدع وما يذر .. ولا شك أن أسوأ المخلوقات مصيرا يوم الحساب هم أولئك

الذين أسرفوا فى ادعائهم ما ليس لهم من حق ، حتى فرضو ضلالهم على عباد الله ، وأحلوا قومهم ببغيهم دار البوار ..

وكأن البطل قد استشعر هول الخطر الذى عرض نفسه له بهذه المكاشفة البالغة ، فختم موعظته الأسرة بهذه التذكرة الباهرة :

لقد أبلغتكم الحق الذى أومن به ، تبرئة للذمة وأداء للأمانة ، والحق سر من الحق لا بد تارك آثاره فى أعماق الفطر الانسانية ، فلئن تنكرتم له الآن ، وتجاهلتموه تحت ضغط المنافع والمصالح ، ليأتينكم يوم تستعيدونه وتندمون على مخالفته ..

أما ما وراء ذلك من ردود الفعل التي قد ينزلها الحمق بدعاة الحق ، فأقل ما يتوقعه المؤمنون ، ويستعد لتحمله المجاهدون ، الذين يعلمون أن أمرهم الى الله ، الذى لا مرد لقضائه .. والذى لا يخفى عليه شيء من أسرار عباده وعلانيتهم ..

والى هنا تنتهى صولة البطل المؤمن .. فينقطع عن الحديث ، وقد تركنا نتطلع فى قلق الى مصيره ! ..

ولكن الله تبارك وتعالى لا يسمح لهذا القلق بالاستمرار الى غير نهاية، فيطالعنا بهذه البشرى التي يسكن بها كل اضطراب : لقد جزى الله عبده المؤمن على موقفه العظيم ، بأن منحه الوقاية ضد كل مكروه كان متوقعا أن يتعرض له ! .

ولم تقف البشرى عند هذا الحد المطمئن ، فاذا هى تنقلنا بلمحة خاطفة الى منظر أعدائه وقد انتهوا الى عذاب مستمر .. يحتضنهم منذ فراقهم الدنيا ، ثم لا يفلتهم حتى تقوم الساعة ، فيحتلوا منازلهم من جهنم فى أشد العذاب ! ... « فوقاه الله سيئات ما مكروا وحاق بآل فرعون سوء العذاب .. » .

دروس وعبر :

فى قصة هذا المؤمن آيات من البيان المعجز .. ودروس من العبر البالغة ، أن تعذر استيفاؤها كلها ، فلا ينبغي أن يفوتنا الكلام على بعضها ..

ففي الناحية البيانية نلاحظ دقة العبارة فى تصوير الحالات النفسية المختلفة ، التي عاشها هذا الرجل ، أثناء ذلك المؤتمر الرهيب ..

فهناك الفكر المنطقي الذى يعرف كيف يعالج مغاليق القلوب بمفاتيح الفطرة ، فلا يزال بها حتى يشعرها جلال الحق ومهابة الفضيلة ، حتى اذا أعجزها الخوف عن الصدع بهما ، لجأت الى الصمت ، تستتر به صراعها الداخلي ، فينمى فى جوانحها شيئا فشيئا بذور الحقد ضد الطغيان وأهله ، لتكون معدة للانفجار عند أول فرصة ! .

ثم هناك الثورة الوجدانية تغلي فى أعماقه شفقة على نبى الله موسى ، وغيرة على دعوة الحق التي يحملها من ناحية ، ونقمة على فرعون الذى يبارز الله بجهله وبطره ، فيجرؤ على التفكير بقتل أولياء الله وحملة هدايته الى عباده من ناحية أخرى ! . ثم احتقارا لاذعا لأولئك الأذناب الذين باعوا آخرتهم بدنياهم ودنياه ، فهم يتسابقون الى مرضاته باختراع الحيل لمحاربة الحق ، وبالانحناء لكل اشارة يصدرها ، مهما أسرفت فى السوء ، وبالغت فى التفاهة ! .

والنقاط التي تلفت نظر الباحث البياني فى اسلوب كلامه ، وأشكال عباراتها كثيرة ، سيفوتنا كثير من الخير اذا لم ننتفع باستجلائها والوقوف عند بعضها .

فنحن نستغرب جد الاستغراب تماسك فرعون وعدم ثورته ، وهو الأخرق الأحمق على ذلك البطل المؤمن الجرىء يعلن كلمة التوحيد ، ويصدع بحكم الحق على مسمع منه ، وعلى مشهد من كبار أعوانه ! ....

فهناك أكثر من تأويل لهذه الجرأة ، ولذلك التماسك .. من ذلك ما ذكره الحافظ ابن كثير

فى تفسيره ، اذ قال فى تعـريف هذا المؤمن : (انه كان قبطيا من آل فرعـون) .. بل يقول : (كان ابن عم فرعون) اذ لو كان اسرائيليا لأسكت وعوجل بالعقوبة ..

ومثل هذا التعليل مقبول الى حد ، لأن الفرد من الأسرة المالكة لا يعدم أنصارا يجعلون لكلمته وزنا ، ويكسـبونه حماية .. ولكن هذا وحده لا يسوغ للأمير مثل هذا التحدى ، الذى يشكل هجوما على النظام الاجتماعي ، الذى تتحصن به الأسرة المالكة كلها ! .

ولكن التعليل المعقول والأقوى هو أن اللـه سبحانه قد أحاط الرجل بمهابة ألجمت أفواه الطغاة ، وزلزلت قلوبهم ، فنسوا ما يملكون من القوة ، ووجدوا لكلمة الحق سلطانا يطغى على كل سلطان ! . ثم يأتينا موضوع النكتة البلاغية فى توجيه البطل المؤمن سـؤاله التعجبى الى مجموع المؤتمرين (يا قوم .. ما لى أدعوكم .. وتدعونني .. ! ..) بدلا من أن يخص به فرعون صاحب الاقتراح وحده ! ..

وفى ظني أن هناك تعليلين ، أما الأول فيرجع الى حكمة المؤمن فى تجنب الاصطدام المباشر مع فرعون ، لما قد يجره ذلك من فتنة من شأنها أن تزيد فى محنة المؤمنين ، ومن يدرى فقد يكون بين أنصاره أفراد آخـرون يكتمون مثله ايمانهـم ، فيتعرضون بذلك الى ما لا تحمد عقباه العاجلة ..

وأما الثاني فهو اعتباره جميـع المؤتمرين مشتركين فى التحضير لهذه الجريمة ، اما بالاتفاق المسبق ، واما بالتأييد المطلـق ، الذى عـودوه الطاغية ! .. ولعله كان يرجو أن يؤثر فىضمائرهم فيدفع بعضهم على الأقل الى الوقوف فى صفه !..

وهنا نصل الى التذييلات العجيبة الكثيرة فى هذه الآيات ، لنستبين الحقائق الخالدة التي تشير اليها وتعالجها من قريب ومن بعيد . اقرأ معي مرة أخرى :

(وما كيد الكافرين الا فى ضلال ..)
(ان اللـه لا يهدى من هـو مسرف كذاب ..)

(وما الله يريد ظلما للعباد ..)

(ومن يضلل الله فما له من هاد ..)

(كذلك يضل الله من هـو مسرف مرتاب ..)

(كذلك يطبع اللـه على كـل قلب متكبر جبار ..)

(ان الله بصير بالعباد ..)

اننا هنا تلقاء قوانين اجتماعية، لا تقل دقة وواقعية عن القوانـين الكونيـة فى الكهرباء والمغناطيس ، والتفاعـلات الكيماوية .. فالكافـرون يكيدون أبدا للمؤمنين ، ولكن كيدهم وتدبيرهـم وتصرفاتهـم فى مقاومـة النظم الالهية الثابتة منتهية الى الاخفـاق الحتمى ، لأنها مخالفة للفطرة ومجافيـة للأسس الكونية العامة .

وهؤلاء المسرفون فى الظلـم والادعاء ومحاولة تغيير الحقائق ، كأولئـك الكافرين صائرون حتما الى الاخفـاق الفاضح ، بقـوة الحـق الذى لا يهادن الباطل أبدا .

وهذه المثلات التي يضرب بها القدر رؤوس الظالمين والمتعاونين معهـم على نصرة الباطل ، وخذلان الحق ، لا موضع فيها لظلم أو غبن ، بل هى أحكام عادلة ، صدرت عن الحكم العدل ، الذى لا يظلم الناس شيئا ، ولكن الناس أنفسـهم يظلمون .

والانسان — فردا أو جماعة — لكي يستقيم لهم طريق الخير ، لا بد لهم من التزام التوجيهات الالهية ، فاذا أبوا الا الانحراف عن الجادة فقد أسلموا أنفسهم الى مهاوى الضلال ، وبذلـك يحرمون أنفسهم نعمة الهداية ، لأنهم عرضـوا انفسهم باختيارهم الى غضب الله .

وكما استحق هؤلاء السقوط فى ظلمات الضلال ، استحق المسرفون فى عداء الحـق المستسلمون للارتياب فى حقائق الوحي، مثل ذلكالمصير الخطير .

والتكبر نفخة من الشيطان تحجب عن صاحبها ضـياء الهداية ، وبالتالي

تؤدى به الى التجبر والبغى على عباد الله ، فيستبيح الدماء البريئة ، وينتهك الحرمات المصونة .. ومن كان كذلك فقد أغلق قلبه دون نفحات السماء ، وبذلك يستحق الحرمان الأبدى من نور الله ..

وعندما نمعن نحن البشر الفكر فى هذه القوانين الالهية نستشعر الاطمئنان الأتم الى عدالتها ، لأن الذى قدرها وقضى بها هو الذى لا يعزب عن علمه شئ من أحوال عباده ، فاذا أشقى بعضهم فبعدله ، واذا أسعد بعضهم فبفضله ... فله الحمد على كل حال ، وفى كل مآل ..

أسلوب معجز ، يأتلف فيه اللفظ والمعنى ، والشكل والمضمون ، ائتلاف العطر والماء فى عنقود الفاغية ، فلا تدرى من أين يطالعك الجمال ، ومن أين يغمرك بالجلال ! .. ولكنك تحس بكل جوارحك أنك مندمج فى جو العرض ، تشهد وتسمع وتلمس ، فتستغرب كيف يظل بين هؤلاء المخاطبين من يستهويه العناد ، فيؤثر الضلالة على الرشاد ! .

ولعل أروع ما يهزنا نحن مسلمي اليوم ، ونحن نمعن الفكر بهذه الآيات المعجزات ، عمق تصويرها لنماذج من البشر لا نزال نشهد مثلهم فى غدونا ورواحنا .. ولا عجب فى شيء من ذلك كله ..

انه القرآن العظيم ، الذي يتغير كل شيء من حوله وهو ثابت فى قمة الحياة ، منارا يهدى الى شاطئ السلامة ، كما تفعل الابرة المغناطيسية ، حين تثبت باتجاه القطب ، وقد اضطرب فى رؤوس الناس كل مقياس ..

انه المعجزة الخالدة ، التي أنزلت لتحكم تصرفات الانسان ، فتنقذه من شر نفسه وتنقذ من شره بني جنسه ، لتتجه بالحياة البشرية دائما الى الأعلى ..

فما أحوج الجيل المسلم، وقد أحاطت به الظلمات ، وتنازعته من كل صوب مخالب المفسدين والمفسدات ، أن يفتح قلبه لهذه الأشعة الربانية ، التي لامست من قبل صدور المجهولين ، فجعلت منهم خير أمة أخرجت للناس ، ولا تزال صالحة لاحداث المعجزة ، التي تجعل من هذا الجيل المضلل الحائر هادى البشرية ومنقذ الانسانية ..

(وان الله لهاد الذين آمنوا الى صراط مستقيم) .

شكر وتهنئة

هيئة تحرير المجلة ـ وقد غمرها القراء الكرام بفيض من رسائل التهنئة والتمنيات الكريمة بعيد الأضحى المبارك ، وبدخول المجلة فى عامها الثالث ـ تقف أمام هذا الوفاء وهذا التقدير عاجزة عن شكرهم ، وتتقدم اليهم باصدق التهاني ببدء العام الهجري الجديد ، راجية من الله تعالى أن يشد أزرنا ، ويأخذ بيد المسلمين جميعا الى ما فيه عزهم ومجدهم .

ولكن فى تلك الدول التي تبادلت واياه النشاط الدبلوماسي ، الأمر الذى يحتاج الى جهود كبيرة من الدارسين لهذا الحقل الذى لا يزال بكرا . والأمل الآن أن تظهر عنه ـ قريبا ـ الى عالم التأليف من البحوث ما تتناسب وأهميته وجماله البالغين .

المصادر والتعليقات

١ ـ عثرت على مثال للتمثيل الدبلوماسى الدائم بين الأندلس والشمال الأسبانى . فقد ذكر ابن حيان القرطبى أن الخليفة الحكم المستنصر عين كلا من أحمد بن عمروس العريف وسعيد سفيرين دائمين لدى مملكة ليون Léon (جليقية Galicia) .

انظر ابن حيان ، المقتبس ، مخطوط الأكاديمية التاريخية بمدريد ، مجموعة كوديرا Codera رقم ٢ ، الأوراق ٤٢ أ ـ ب ، ٨٨ أ . وقد نشر هذا الجزء من المقتبس أخيرا ، فى بيروت ، ١٩٦٥ . وقصة التمثيل الدائم المذكورة آنفا تقع فى ص . ٧٦ ، ١٤٧ .

٢ ـ وصفت الشاعرة الألمانية Hroswitha (القرن العاشر الميلادى) قرطبة بأنها « جوهرة العالم » أنظر E. Léui - Prouencal La civilisation Arabe en Espagne,Paris,1945,p.114

٣ ـ القرى . نفح الطيب (طبعة محمد محيى الدين عبدالحميد ، القاهرة ، ١٩٤٩) ، ٣٤٣/١ .

٤ ـ ابن خلدون ، العبر (بيروت ، ١٩٥٨) ، ٣١٠/٢/٤ ، ابن عذارى ، البيان المغرب (طبعة كولان وليفى بروفنسال ، ليدن ، ١٩٥١) ، ٢١٨/٢ .

٥ ـ أنظر . P.h. Hitti, History of the Arabs. ondon,1960,p.590.

٦ ـ شكيب أرسلان ، تاريخ غزوات العرب (القاهرة ، ١٣٥٢ هـ) ، ص ١٦١ ـ ١٦٢ . ويحتوى هذا الكتاب على تعليقات كثيرة قيمة ، وأكثره مترجم عن الأصل الفرنسى لكتاب رينو الذى ترجم الى الانجليزية .

J. Reinaud. Muslim Colonies in France, Northern: Italy and Switzerland (E.N.G, 7 R. H.K. Sherwani) Lahore,1964.

وقد نشر تقريظا لكتاب رينو هذا بقلم محمود السمرة فى مجلة « العربى » « العدد ٢٤ » (١٩٦٠) ، ص ١٤١ ـ ١٤٤ ـ كما اعتمد أرسلان فى كتابه على كتاب آخر ألمانى .

٧ ـ ابن حوقل ، كتاب صورة الأرض طبعة J.H. Kramers ، ليدن ، ١٩٣٨) ، ٢٠٤/١ ، شكيب أرسلان ، نفس المصدر ، ص ١٦٢ ـ ١٦٥ .

٨ ـ Liudprand (BP, of Cremona) The Work of liudprand of Cremona G.M,TR.

٩ ـ عن هذه المنية راجع . ابن حيان ، المقتبس (طبعة Melchor M. Ant una, Paris,1937 ص. ٣٨ .

١٠ ـ قارن شكيب أرسلان ، نفس المصدر ، ص. ١٧٧ ، عنان (محمد عبد الله) دولة الاسلام فى الاندلس (القاهرة ، ١٩٦٠) ، ٤١٥/٢ .

١١ ـ ابن خلدون ، نفس المصدر والصفحة .

١٢ ـ انظر . عنان ، نفس المصدر ، ص ٤١٦ .

١٣ ـ المقرى ، النفح ، ٦٥/٢ .

١٤ ـ عنان، نفس المصدر ، ٤٠٣/٢ .

١٥ ـ حتى ، نفس المصدر والصفحة .



الأسير

للأستاذ علي أحمد باكثير

ـ ١ ـ

(فى بيت من بيوت سراة مكة) .

(الصبى عامر يقبل مسرعا الى أمه الجالسة فى الحجرة) .

عامر : (صوته قبل ظهوره فى الحجرة) يا أمه . يا أمه .

جليلة : عامر . ما خطبك ؟ .

عامر : (يدخل لاهثا) ان خالى عقبة قد جاء بأسير معه .

جليلة : أين يا عامر ؟ .

عامر : ادخله المربد فحبسه فيه . يقولون انه من أصحاب محمد .

جليلة : من أصحاب محمد ! ما الذى جاء به الى خالك ؟ .

عامر : لا أدرى . (ينظر الى جهة الباب) ها هو ذا خالي عقبة فاسأليه .

(يدخل عقبة بن الحارث) .

جليلة : من هذا الذى جئت به يا عقبة ؟ .

عقبة : هذا قاتل ابينا يا جليلة . قاتل الحارث ببدر .

جليلة : خبيب بن عدى ؟ .

عقبة : أجل . . انك لتعرفين اسمه يا أخية .

جليلة : كيف لا وما من امرأة فى قريش أصيب لها أحد فى بدر الا اجتهدت أن تعرف اسم قاتله فحفظته عسى أن تنتقم يوما منه .

عقبة : فها هو ذا قد جئت به اليك فانتقمى منه وعذبيه .

جليلة : أى والله لاشفين صدرى منه . أمكنى منه يا عقبة فلاقطعنه بهذا المشقص فِلذة فِلذة .

عقبة : كلا يا أختاه لا يحل لنا قتله الآن حتى تنقضي الأشهر الحرم . ولكن عذبيه عذابا لا يقضي عليه .

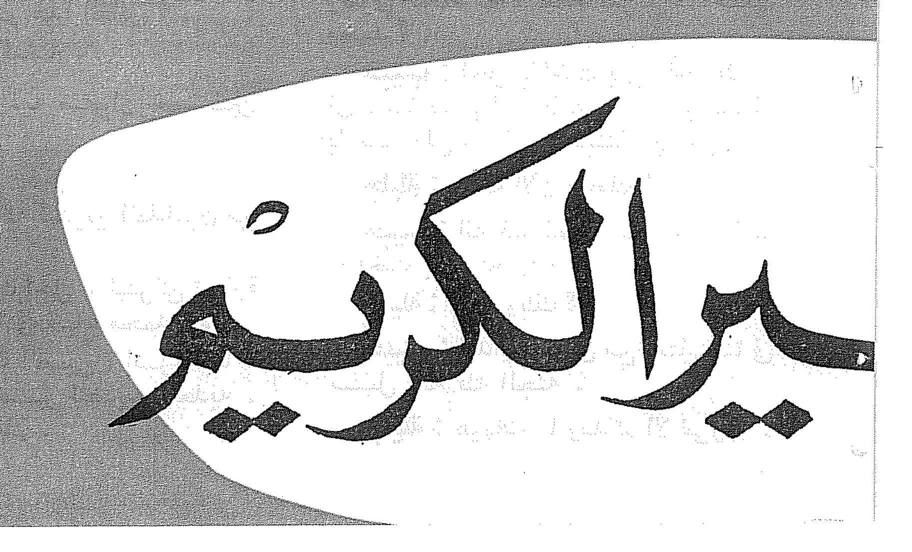
جليلة : كأنك جئت به لتحبسه عندنا حتى ينقضى هذا الشهر المحرم ؟ .

عقبة : هو ذاك .

جليلة : خيرا سيتاح لنا بذلك أن نفتن فى تعذيبه .

عقبة : أجل . . افتنى فى تعذيبه ما شئت . أرينى براعتك يا جليلة ووفاءك لأبيك .

جليلة : ثق يا أخي انني سأريه الويل أفانين . ولكن كيف تمكنت منه يا عقبة ؟ .



عقبة : كان محمد قد بعثه فيمن بعث الى بنى هذيل ، ليعلموهم الاسلام فوثب بهم الهذليون وباعوهم الينا .

جليلة : واشتريته انت منهم ؟ .

عقبة : بخمسين من الابل .

جليلة : خمسين من الابل ؟ .

عقبة : استكثرتيها ؟ والله لو طلبوا به مائة بعير لأعطيت . انه دم أبينا الحارث يا جليلة .

جليلة : صدقت ، كل مال يشترى به دم أبينا فهو قليل .

عقبة : هاتى له شيئا من الطعام يا جليلة .

جليلة : تريد أن تطعمه ؟ أتطعم قاتل أبينا يا عقبة ؟ .

عقبة : لا بد من اطعامه حتى لا يموت قبل أن ننزل به العقاب الأشد . قد اتفقت أنا وصفوان بن أمية على ذلك .

جليلة : وما شأن صفوان بن أمية ؟ .

عقبة : انه هو أيضا اشترىمنهم قاتل أبيه لينتقم منه .

جليلة : قاتل أمية بن خلف ؟ .

عقبة : نعم .

جليلة : وما اسم هذا القاتل ؟ .

عقبة : زيد بن الدثنة .

جليلة : ودفع فيه صفوان خمسين من الابل ؟ .

عقبة : نعم .

جليلة : اذن والله ليثرين الهذليون من ذلك .

عقبة : (يضحك أجل . ليتركن تجارة الانعام ، ويتجرنّ فى اتباع محمد ! .

جليلة : (لابنها الصبى) انـزل بنا يا عامر الى هذا الأسير لنضربه ونعذبه . خذ تلك العصا معك .

عامر : لكن يا امه . .

جليلة : أليس برجليه القيد ؟ .

عامر : بلى يا أمه .

جليلة : فأى شىء تخشى منه ؟ .

عامر : لست أخشى شيئا منه ولكنه لا يستحق الضرب . انه رجل طيب .

جليلة : ويلك هذا قاتل جدك الحارث يا لكع .

عامر : ماأحسب مثل هذا الرجل يقتل أحدا يا أماه . لقد نظرت اليه من الباب فلما رآنى حيانى وابتسم .

جليلة : اسكت . لو سمعك خالك عقبة تقول هذا لأدبك فأوجعك .

هيا خذ تلك العصا وانزل معى الى المربد .

(يأخذ عامر العصا وهو كاره ويخرج خلف والدته) .

— ٣ —

((فى المربد .. مكان ضيق مظلم له باب محكم . خبيب جالس على الأرض وفى رجليه القيد الثقيل وجليلة وابنها عامر يضربانه بالعصى)) .

خبيب : (يردد كلما ضرب ضربة) الحمد لله . الحمد لله .

جليلة : (فى غيظ) . ويلك . تضرب وتقول الحمد لله ؟ أهكذا أمركم صاحبكم محمد ؟ .

خبيب : أجل يا أخت بنى الحارث . ان نبينا صلى الله عليه وسلم أوصانا بالصبر على ما نلقى فى ديننا من مكروه .

جليلة : فدعه الآن ينفعك ! .

خبيب : انه قد نفعنا وسينفعنا دائما يا أخت بنى الحارث .

جليلة : كيف ويلك ؟ .

خبيب : لقد وعدنا أن من يقتل منا فى سبيل الله فله الجنة .

جليلة : هيهات ما وعدكم الا غرورا .

خبيب : يا أخت بنى الحارث لو قد سمعت من محمد كما سمعنا ما قلت هذا . أتحبين أن أسمعك شيئا مما جاء به من عند الله ؟ .

جليلة : (تضربه) كلا لا أريد أن أسمع شيئا .

خبيب : اذن يفوتك خير كثير .

جليلة : اسكت والله لأضربنك حتى تكفر بصاحبك .

خبيب : هيهات . انك لن تجنى من ضربى غير أن تكل يدك .

جليلة : (تضربه بقوة) اضرب يا عامر .

خبيب : .. وتكل يد صبيك هذا .

جليلة : لا شأن لك . اضرب يا عامر .

عامر : هأنذا أضربه يا أمه (يضربه على كره) .

جليلة : اضربه بشدة .. بكل قوتك .. (تمضى فى ضربه) .

خبيب : الحمد لله . الحمد لله . الحمد لله .

جليلة : امسك عن هذا القول ويلك .

خبيب : لو أمسكت عنه لأوجعنى ضربك . انه هو الذى يدرأ عنى الوجع . ما بالك وقفت عن الضرب ؟ أو قد كلت يدك ؟ أريحيها قليلا ثم عاودى ما أنت فيه .

جليلة : (فى غيظ) الساعة يأتى عقبة أخى فيضربك ويوجعك .

خبيب : أجل يا أم عامر .. دعى أخاك يفعل ذلك فهو أقوى منك ومن هذا الصبى الذى دفعته الى ضربى فأرهقتيه .

― ٤ ―

عامر : (يجىء الى المربد متلصصا ويدخل رأسه من الباب) . هل لى أن أدخل عندك أيها الأسير ؟ .

خبيب : (فى حنان) عامر . ادخل يا بنى .

عامر : ولا تؤذيني أو تبطش بي ؟ .

خبيب : معاذ الله يا بنى . انى لأعلم أن أمك هى التي دفعتك الى ضربى وأنت كاره .

عامر : أجل انها هى التى أكرهتني . وقد قلت لها انك رجل طيب فلم تصدقنى . خبرني أحقا قتلت أنت جدي الحارث بن عامر ؟ .

خبيب : نعم يا بنى . جدك أراد قتلى فقتلته .

عامر : وكنت تعرف أنه جدى ؟ .

خبيب : لا يا بنى . ما كنت أعرف أنه جدك .

(يدخل عامر حتى يقف قريبا من خبيب) .

عامر : ما دمت لا تعرف أنه جدى فليس بينى وبينك شىء .

خبيب : أجل ليس بينى وبينك غير المودة والمعروف .

عامر : أنت تحبنى ؟ .

خبيب: اى والله يا عامر .

عامر : ان كنت تحبنى حقا فاحك لى قصة الرجل الذى حمته الزنابير .

خبيب : أو قد سمعت أنت عنها ؟ .

عامر : سمعت طرفا منها وأريدها كاملة منك . ألست كنت معه ؟ .

خبيب : بلى يا بنى . ذاك رئيسنا عاصم بن ثابت الأنصارى ما زال يقاتل بنى هذيل الذين غدروا بنا حتى قتل ، فأرادوا أن يجتزوا رأسه، ليقدموه لامرأة فى مكة كان قد قتل لها ابنين فى بدر ، فجعلت لمن يأتيها برأسه مائة ناقة .

عامر : أنا أعرفها يا عم . اعرف تلك المرأة . هى سلافة من آل عبد الدار التي نذرت ان قدرت على رأسه لتشربن فى قحفه الخمر . لكن ما قصة الزنابير ؟ أحقا كانت كبيرة جدا كل واحد منها فى حجم الحدأة ؟ .

خبيب : لا تصدقهم . انها زنابير فى الحجم المعتاد . طفقت تذب عن جسد عاصم وتلسع كل من يقترب منه الى أن

جاء السيل فاحتمله ، وذهب به حيث أراد الله .

عامر : يقولون انه ساحر .

خبيب : لا تصدقهم يا عامر . بل هو رجل مؤمن شجاع دعا ربه دعوة فاستجابها له .

عامر : ماذا دعا ؟ .

خبيب : كان قد قاتلهم طول النهار فلما أيقن بالموت وخشي أن يمثلوا بجثته دعا ربه فقال : اللهم انى حميت دينك صدر النهار فاحم جسدى آخره .

عامر : ما دام ربه يستجيب له فلماذا لم يدعه أن ينقذه من القتل ؟ .

خبيب : انه آثر أن يموت شهيدا فى سبيل الله ليدخله الله الجنة .

عامر : خبرنى ماذا فى الجنة يا عم ؟ .

خبيب : فيها مالا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر .

عامر : هل أستطيع أنا أن أدخلها ؟ .

خبيب : نعم اذا آمنت بالله وبرسوله وعملت عملا صالحا .

عامر : (بعد صمت يسير) اسمع يا عم .. ليس فى البيت أحد فهل لك فى شيء أحضره لك ؟ .

خبيب : نعم احضر لي شفرة يابنى .

عامر : شفرة .. ماذا تصنع بها ؟ .

خبيب : انهم سيقتلوننى غدا فأريد ان استحد بها وأتطهر حتى ألقى ربى وأنا فى هيئة حسنة .

عامر : وأين تلقى ربك ؟ .

خبيب : فى الجنة ان شاء الله .

عامر : انتظر قليلا .. سأحضرها لك (يخرج) .

ـ ٥ ـ

« نفس المنظر السابق . خبيب يسوى شعر لحيته وشاربه بشفرة فى يده ، وبجانبه عامر يصغى الى قصة يقصها عليه » .

عامر : أجميل هو ؟ .

خبيب : جميل جدا وطيب جدا وشجاع جدا . آه لو رأيته صلى الله عليه وسلم لاحببته يا عامر ولو رآك هو لأحبك .

(يسمع صوت جارية من الخارج وهى تصيح فى رعب) .

الصوت : سيدتى . سيدتى . ابنك عامر قاعد عند الأسير وفى يده شفرة ماضية .

جليلة : (صوتها) فى يد من ؟ .

الجارية : (صوتها) فى يد الرجل .

جليلة : (صوتها) يا ويلتا سيثكلنى الولد كما اثكلنى الوالد . انطلقى الى سيدك عقبة فادعيه (تدخل جليلة وهى مرعوبة) .

جليلة : ويلك ماذا تصنع بولدى ؟ .

خبيب : (يجذب عامرا اليه) قد أمكننى الله منكم مرة أخرى يا أخت بنى الحارث .

جليلة : كلا لا تفعل . حنانك انه صبى صغير وليس لى غيره . أليس فى قلبك رحمة ؟ .

عامر : لا تخافى يا أمه . انه انما يمزح معك .

جليلة : أيمزح وفى يده الحديدة ؟ .

خبيب : لا تراعى يا أم عامر . انما أردت أن أريك أننى قادر عليه لو شئت . ولكن دينى ينهانى عن ذلك ، وما كنت لأفعله ، ولو لم ينهنى دينى . اذهب يا بنى الى أمك .

عامر : لا . . حتى أسمع بقيةالقصة .

جليلة : ويلك تعال يا شقى .

خبيب : اذهب اليها يا بنى وسأتم لك قصتى فيما بعد .

(يدنو الصبى من أمه فتحتضنه فى فرح وهى لا تكاد تصدق أنه حى بعد) .

— ٦ —

« فى العراء خارج مكة وقد نصبت خشبة من جذوع النخل ليصلبوا خبيبا عليها فى نشز مرتفع من الأرض . خبيب يسوقه عقبة واثنان آخران . خلفهم جليلة وعامر الصبى . ومن خارج المشهد تسمع أصوات الجمهور من الخلق الذين خرجوا ليشهدوا صلب خبيب وقتله » .

خبيب : ان كنتم تريدون قتلى الساعة ، فدعونى أصلى ركعتين قبل أن تقتلونى .

أصوات : كلا لا تجيبوه الى طلبه ! اقتله يا عقبة ! اقتله يا عقبة ! .

جليلة : مهلا يا عقبة . أجب هذا الرجل الى طلبه . فمن حقه أن يجاب

(همهمة استنكار من الجميع) .

عقبة : ما خطبك يا أم عامر .

جليلة : ان له يدا عندى يا عقبة . كان فى وسعه أن يقتل عامرا ابنى فلم يفعل .

عامر : أجل يا خالى أجبه الى طلبه .

عقبة : صل يا هذا ما شئت وأسرع .

خبيب : (يكبر للصلاة) الله أكبر .

— ٧ —

خبيب : (يسلم من صلاته) السلام عليكم ورحمة الله . السلام عليكم ورحمة الله . (ينهض قائما) .

عقبة : هلم ارق هذه الخشبة .

خبيب : ويلكم أتريدون أن تصلبونى ؟

عقبة : نعم . هل جزعت ؟ .

خبيب : يا هذا ان المسلم لا يجزع من الشهادة .

(عقبة وصاحباه يشدونه الىالخشبة بالحبال) .

خبيب : الحمد لله . الحمد لله . (يهم عقبة بقتله) .

أصوات : مهلا يا عقبة . دعنا نسأله أولا . أتحب يا هذا أن محمدا يكون مكانك ؟ .

خبيب : لا والله ما أحب أن يؤذى محمد بشوكة فى قدمه .

أصوات : ارجع عن الاسلام لنخلى سبيلك ولا نقتلك .

خبيب : ساء ما قلتم يا جند الباطل . (يدعو) اللهم احصهم عددا ، واقتلهم بددا ، ولا تبق منهم أحدا .

عقبة : سمعتم ما يقول كيف يدعو عليكم ؟ انى لن أقتله وحدى . . هلموا كل من بيده رمح فليطعنه معى .

أصوات : أجل دعونا نتعاوره برماحنا من كل جانب .

خبيب : اللهم انه ليس هنا أحد يبلغ رسولك عنى السلام فبلغه انت عنى السلام ! .

عامر : ذبى عنه يا امه ! لا تتركيهم يقتلونه ! .

جليلة : ليتنى أستطيع يا عامر ! .

خبيب : (يعلو صوته من خلال الضوضاء والرماح تتعاوره) بلغه أنت يا ربى عنى السلام .



يسر المجلة ولجنة الفتوى بالوزارة أن تتلقى أسئلة القراء وتجيب عنها .

نقل الدم لا يحرم الزواج

السؤال :

هل تثبت بنقل الدم من رجل الى امرأة ، أو من امرأة الى رجل حرمة الزواج بينهما ــ كما هو الشأن فى الرضاع .

(عبد الكريم محمد ــ كميلة شاكر)

الاجابة :

من المقرر شرعا : أن الأصل فى الأشياء الحل ما لم يرد دليل بالتحريم . فكل مسكوت عنه حلال . وكل ما ورد دليل بمنعه فهو حرام ، ويجب اجتنابه وهذا من فضل الله ورحمته بعباده وهو من يسر الشريعة الاسلامية وسماحتها .

وقد نص الكتاب الكريم على أن الرضاع (بشروطه) سبب من الأسباب المحرمة للزواج .

أما نقل الدم من انسان لآخر فهو مسكوت عنه ولم يرد دليل على أنه سبب من الأسباب المحرمة للزواج .

فضلا عن انه عمل انساني جليل يدعو اليه ديننا الحنيف لما فيه من انقاذ حياة المريض ، فلا يترتب عليه تحريم كما يترتب على الرضاع المنصوص عليه ، وعلى ذلك يحل لكل من المنقول اليه والمنقول منه الزواج من الآخر . فلا تحريم الا بنص ولا يجوز قياسه على الرضاع .

* * *

فى الميراث

السؤال :

توفي أخوان لأب فى حادث سيارة ، ولم يعرف أيهما توفي أولا ، ومات أحدهما عن : زوجة وبنت وأم .

ومات الآخر عن : زوجتين وبنتين وأخ لأم وأم وأخت لأب .

(حسين علي ــ العراق)

الاجابة :

بوفاة الأخوين لأب فى حادث سيارة وعدم معرفة أيهما توفي أولا يكون لا ارث لأحدهما من الآخر ــ لأنه يشترط لاستحقاق الارث تحقق حياة الوارث وقت موت الموروث .

وبوفاة احدهما عن زوجة وبنت وأم يكون تقسيم التركة على الوجه التالي :

للزوجة الثمن فرضا ، وللبنت النصف فرضا ، وللأم السدس فرضا ، والباقي

يرد على البنت والأم بنسبة سهام كل واحدة منهما ، ولا يرد على الزوجة شيء ، بل تأخذ فرضها فقط .

وبوفاة الآخر عن : زوجتين ، وبنتين ، وأخ لأم ، وأم وأخت لأب يكون توزيع التركة على الوجه التالي :

الثلثان للبنتين فرضا مناصفة . والثمن للزوجتين فرضا مناصفة ، والسدس للأم فرضا والباقي للأخت لأب تعصيبا لصيرورتها عصبة مع البنين ، ولا شيء للأخ لأم لحجبه بالفرع الوارث وهو البنتان .

السؤال :

توفيت امرأة عن : زوج وأم وخنثى شقيق . فما نصيب كل وارث ؟ .

(محمد علي ــ البصرة)

الاجابة :

الخنثى المشكل هو انسان لا يعرف أذكر هو أم أنثى أى لا توجد فيه علامة تدل على الذكورة الكاملة أو الأنوثة الكاملة فينظر فى نصيبه على أنه مذكر وعلى أنه مؤنث ويعطى أقلهما ، وعلى ذلك يكون توزيع تركة المتوفاة على ورثتها المذكورين على الوجه التالي :

للزوج النصف فرضا $\frac{1}{2}$ لعدم وجود الفرع الوارث ، وللأم الثلث $\frac{1}{3}$ لعدم وجود الفرع الوارث أو جمع من الأخوة ، وللخنثى الباقي وهو السدس $\frac{1}{6}$ على اعتبار انه عصبة (أخ شقيق) اذ لو فرض أنثى لورثت النصف ، والمقرر شرعا أن الخنثى يعطى أقل النصيبين وهو هنا السدس .

★ ★ ★

فى الرضاع

السؤال :

أرضعت زوجة جارى بنتا لي لم تبلغ الحولين رضعات كثيرة ، ولهذه السيدة ولد كبير لم يرضع مع ابنتي ، فهل يحل شرعا أن يتزوج هذا الولد ابنتي .

(عبد الكريم أسعد ــ الكويت)

الاجابة :

كل من أرضعت طفلا ذكرا أو أنثى فى مدة الارضاع وهى حولان خمس رضعات متفرقات مشبعات كما عليه الفتوى من مذهب الشافعى تثبت امومتها لمن أرضعته ، وبالتالي تثبت أخوة الراضع لأولاد المرأة المرضعة الذين ولدتهم جميعا سواء كانوا أولاد الرجل الذى كان سببا فى ادرار اللبن أم من رجل آخر قبله أو بعده ــ ومن ثم فلا يحل للولد كما لا يحل لأى ذكر من أولاد المرضعة أن يتزوج هذه البنت قال تعالى : « حرمت عليكم أمهاتكم وبناتكم وأخواتكم وعماتكم وخالاتكم وبنات الأخ وبنات الأخت وامهاتكم اللاتى أرضعنكم واخواتكم من الرضاعة » .

لذلك نفتيك انه برضاع هذه البنت من المرأة المذكورة يكون أولادها جميعا ذكورا واناثا تقدمت ولادتهم على الرضيع أو تأخرت اخوات لها من الرضاعة ولا يحل للولد الأكبر الزواج منها .



اشراف رضوان البيلي

الصخرة المشرفة مكانها لم تتحرك .

آثار أقدام الأنبياء على الأحجار لم تثبت

تلقينا من الأخ فرحان القاعي بالخبر الرسالة التالية .

هل صحيح ما يقال من أن الصخرة المقدسة فى بيت المقدس قد لحقت بالنبي صلى الله عليه وسلم عندما عرج الى السماء ، فقال لها . اهدئى فهدأت ، وبقيت معلقة بين السماء والأرض ، وأن قدم رسول الله الشريفة لها أثر فى أعلى الصخرة .

الصخرة المشرفة ـ يا سيدى ـ من الآثار المعروفة المشهورة لدى المسلمين وغير المسلمين من قديم الزمان ، ومكانها معلوم مشهود ، والطريق اليها سهل معبد ، وقد زارها الملايين من الناس ، ورأوها وعاينوها ، فوجدوها ثابتة فى مكانها . لم تتحرك ، ولم ترتفع بين السماء والأرض . كما يزعم الدجالون ، ويتخرص المتخرصون ، وأى دجل وتخرص أقبح وأجرأ من التجنى على الحقيقة ، وانكار الواقع المحسوس ، ولم يرد فى الكتاب الكريم ، ولا فى السنة الصحيحة ما يشير تصريحا أو تلميحا الى أن هذه الصخرة تحركت ، أو ارتفعت لحظة واحدة ليلة الاسراء والمعراج ... وانا لا نقول ذلك استعظاما لهذا على قدرة الله عز وجل ، فالله الذي رفع السماء بغير عمد ترونها ، قادر على كل شيء ، ولا نقول ذلك ضنا بالرسول الكريم عن أن يؤيده ربه بالمعجزات الحسية ، كما أيد من سبقه من اخوانه النبيين والمرسلين ، فقد أيده ربه بالكثير منها ، كما أيده بما هو أعظم وأنفع ، وأبقى وأخلد على الزمن من المعجزات الحسية وهو القرآن الكريم معجزة المعجزات ، وآية الآيات .

وانما نقرر هذا انصافا للحقيقة ، وتطبيقا لتعاليم ديننا الذى قام على المنطق والصدق واتباعا لهدى الرسول الكريم فى محاربة الظنون ورد الشائعات والأوهام ، فقد صحح رسول الله صلى الله عليه وسلم ما سبق الى ذهن بعض أصحابه حين انكسفت الشمس ، وصادف ذلك موت ابنه ابراهيم عليه السلام ، فظن بعض أصحابه أن ذلك مشاركة من السماء للرسول فى حزنه وفى فجيعته فى ولده ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم « ان الشمس والقمر آيتان من آيات الله تعالى لا ينكسفان لموت أحد ولا لحياته فاذا رأيتم ذلك فصلوا وادعوا حتى ينكشف ما بكم » .

فهذا الافتراء على الله ورسوله والتاريخ والواقع ما أظنه الا من أساليب الدس الرخيص الذى حاول أعداء الاسلام أن يشوهوا به جمال هذا الدين ، ولم يفت كبار

الصحابة أن يفطنوا لهذا ، وأن يسدوا منافذ الفتنة على المفترين ، فقد روى الامام احمد ان عمر بن الخطاب رضى الله عنه كان بالجابية ، فذكر فتح بيت المقدس قال . قال أبو سلمة . فحدثنى أبو سنان عن عبيد بن آدم قال . سمعت عمر بن الخطاب يقول لكعب . أين ترى ان اصلى ، فقال . ان أخذت عنى صليت خلف الصخرة فكانت القدس كلها بين يديك ، فقال عمر . ضاهيت اليهودية ، ولكنى أصلى حيث صلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فتقدم الى القبلة . فصلى ، ثم جاء فبسط رداءه وكنس الكناسةفى ردائه ، وكنس الناس ، فلم يعظم عمر الصخرة بالصلاة وراءها وهى بين يديه كما أشار عليه كعب الاحبار لانه من قوم يعظمونها حتى جعلوها قبلتهم .

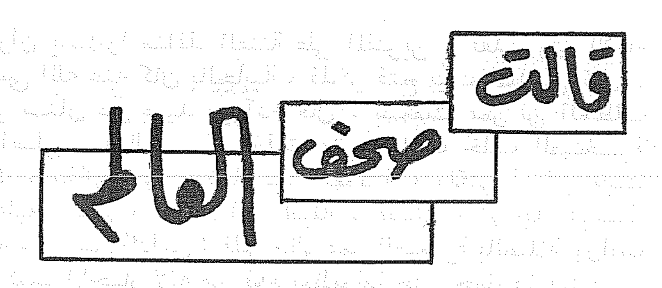
هذا يا سيد فرحان هو الرد على ما جاء في رسالتك عن الصخرة المشرفة ...
أما ما يقال عن أثر القدم الشريفة فى أعلى الصخرة فهو أيضا لم يثبت ولم يصح ، وقد كان للآثار النبوية نصيب كبير مـن جهود العلماء المسلمين ـ كدأبهم فى كل ما يتصل بالرسول الكريم ، فقد عكف المؤرخون منهم على دراسة هذه الآثار وتتبعها على ممر العصور ، وفى مختلف الاقطار ، وأفردوها برسائل ومؤلفات تكلموا فيها على عددها ووصفها والاماكن التى توجد فيها ، وانبرى المحققون منهم ببيان ما صحت نسبته للرسول منها وما لم يصح ، واستأثر بعنايتهم البالغة ما يقال عن آثار القدم النبوية على الاحجار ، فقد أحصوا هذه الاحجار ، والمعروف منها سبعة : أربعة فى مصر . الاول فى مسجد أثر النبى المطل على النيل فى مصر القديمة ، والثانى بجوار قبر السلطان الاشرف قايتباى بقرافة المجاورين ، والثالث فى ركن من أركان القبة المقامة على ضريح السيد البدوى بطنطا ، والرابع بجوار قبر أويس القرنى بقرية البرنبل بمحافظة الجيزة ، أما الخامس فهو محفوظ بالقسطنطينية فى قصر ((طوبقبو)) والسادس فى الطائف والسابع حجر قبة الصرة المشرفة ، وكل هذه الاحجار سـوداء تضرب الى الزرقة . عليها آثار أقدام متباينة فى الصورة والقدر لا يشبه الواحد منها الآخر ، ولهذا قطع المحققون بعدم صحة ما يقال عن هذه الاحجار وأنه لا سند لما يروى عنها ، ونقل عن الامام ابن تيمية أنها من اختراع الجهال ، وأن ما يروى من تأثير قدمه صلى الله عليه وسلم اذا وطىء عليه من الكذب المختلق .

وعلى الرغم من وضوح هذا الاختلاق والكذب ، فقد خدع كثير من المسلمين ولا يزالون يخدعون بما ينشره ويروجه الجهلة والمغرضون ، فأقاموا القباب على هذه الاحجار ، وأحكموا لها الابواب وصفحوها بصفائح الذهب والفضة ، وأطلقوا عندها البخور والعطور ، وازدحم عليها العامـة معظمـين متبركين ، ولـم يفت الشعـراء والقصاصين ان ينظموا فيها القصائد ، وينسجو احولها من خيالهم ما يستهوي السذج من الناس .

وهذا الافتعال من الروائيين والقصاصين فيما يتصل برسل الله وأنبيائه داء قديم استثاروا به عواطف الدهماء على اختلاف عصورهم وبلادهم وأديانهم .

فقد زعم هؤلاء المتزيدون أنه توجد فى بعض البلاد آثار أقدام منسوبة الى الرسل الكرام . كأثر آدم عليه السلام فى جزيرة سرنديب ، وأثر قـدم الخليل عليه السلام بالحرم المكى ، وأثر قدم موسى عليه السلام بظاهر دمشق ، وأثر قدم عيسى عليه السلام بطور زيتا فى بيت المقدس ، وأثر قدم ادريس عليه السلام ببيت المقدس ، وأثر قدم أيوب عليه السلام بقرية قرب ((نوى)) بالشام .

وكم وددنا ان يستيقظ وعي المسلمين الديني ، وأن يعرضوا عليه ما يسمعون وما يقرأون ويميزوا به بين الصحيح والزائف والحق والباطل . هذا ـ وحده ـ هو الكفيل برد افتراء المفترين والحائل دون رواج الاباطيل والخرافات .



عيدنا الوطني .. منطلق جديد للسير

وسط مظاهر الفرح والبهجة التي عمت البلاد فى عيدها الوطني السادس كتبت مجلة الكويت تقول :

تحتفل الكويت يوم ٢٥ فبراير بعيدها الوطني السادس الذى كان وما يزال مجمع انجازاتنا الوطنية ومنطلق سيرها نحو غد أفضل ورمز الألفة والوفاء بين أفراد الأسرة الواحدة التي تجمع الأمير وشعبه للسير قدما نحو بناء البلاد والوصول بها الى أوج التقدم والمجد .

وفى هذا اليوم الخالد ـ يوم العيد الوطني ـ يسعد كل مواطن أن يتوجه الى الله العلي القدير بالدعاء الخالص أن يحفظ للكويت أميره ورائد نهضته ، ليبلغ بهذه البلاد الخيرة ما يصبو اليه شعبها من ازدهار وسؤدد . وأن يمد العاملين المخلصين بقوة متجددة من عنده ، ليواصلوا قيادة المسيرة الهادفة الى ارساء قواعد النهضة الصاعدة على أسس ثابتة من الايمان بحق الوطن ومصلحة الشعب ، وعلى رأس هؤلاء جميعا حضرة صاحب السمو الشيخ صباح السالم الصباح أمير البلاد المفدى وقائدها الأعلى الى كل ما فيه خيرها وازدهارها وسعادتها .

نماذج من التفسير النبوى

وطالعتنا مجلة رابطة العالم الاسلامي المكية بمقال تحت هذا العنوان : نقتطف منه ما يلي :ـ

كان رسول الله صلى الله عليه وسلم سريعا الى تصحيح ما يتوهمه المسلمون من الخطأ فى تفسير بعض آيات الله ، وان كان فى صيغة سؤال ؟ فما يكاد يصل الى سمعه بعض ما جاء فى غير موضعه من القول ، حتى يبادر الى احقاق الحق ، فقد قرأت عائشة رضى الله عنها ذات مرة قول الله عز وجل ((والذين يؤتون ما ءاتوا وقلوبهم وجلة أنهم الى ربهم راجعون)) فسألت رسول الله . أهم الذين يشربون الخمر ويسرقون فقال لا يا بنت الصديق ولكنهم الذين يصومون ويصلون ويتصدقون وهم يخافون الا يقبل منهم ! فكأن عائشة قد ظنت الوجل لدى هؤلاء من حدوث الذنب ! وغفلت عن سياق الآيات ، ولكن النبى صلى الله عليه وسلم لا يبتر قطعة من نص ليستشهد بها دون النظر الى جميع الكلام فهو يعلم أن الآية سيقت فى مجال الحديث عن المؤمنين التقاة اذ يقول الله عنهم فى سورة (المؤمنون) ((ان الذين هم من خشية ربهم مشفقون .والذين هم بآيات ربهم يؤمنون . والذين هم بربهم لا يشركون . والذين يؤتون ما ءاتوا وقلوبهم وجلة انهم الى ربهم راجعون . أولئك يسارعون فى الخيرات وهم لها سابقون)) .

وواضح أن الذين يسرقون ويشربون الخمر ليسوا هم الذين من خشية ربهم يشفقون ، وليسوا ممن يسارعون فى الخيرات ، ولو تدبرت عائشة النص الكامل للآية ما سألت سؤالها البعيد ، أما الخوف والوجل مع هذه الأعمال الصالحة فخشية الا يتقبلها الله ! وهذا ما عبر عنه القرآن بالاشفاق فى مجال آخر حيث قال عن المؤمنين فى الجنة ((وأمددناهم بفاكهة ولحم مما يشتهون . يتنازعون فيها كأسا لا لغو فيها ولا تأثيم . ويطوف عليهم غلمان لهم كأنهم لؤلؤ مكنون . واقبل بعضهم على بعض يتساءلون . قالوا انا كنا قبل فى أهلنا مشفقين .فمن الله علينا ووقانا عذاب السموم . انا كنا من قبل ندعوه انه هو البر الرحيم)) .

الاسلام فى تايوان

وتتحدث مجلة نداء الاسلام العراقية عن النشاط الاسلامي فى جزيرة فرموزا ، فتقول :

على طريق سن شنغ الجنوبية فى مدينة تايبى ، ترتفع المآذن الرشيقة للمسجد الجديد الذى تم بناؤه عام ١٩٦٠ ليشهد على الجهد المخلص وروح التضحية عند المسلمين الذين قدموا الى تايوان منذ عشر سنوات خلت لكى يحتفظوا بحريتهم فى عبادة الله .

ولقد كانت (جمعية المسلمين الصينية) هى القوة الموجهة لهم فى هذا السبيل،وقد دأبت هذه الجمعية وتابعت أوجه نشاطها فى تايوان ولقد انجزت هذه الجمعية عملا آخر مرموقا وهاما . الا وهو ترجمة معانى القرآن الكريم الى اللغة الصينية . ولقد انكبت على انجاز هذا المشروع هيئة خاصة للترجمة كرست لها الجهود مدة سبع سنوات وتم بعدها طبعه ونشره فى سفر يشتمل على ٤٠٠٫٠٠٠ كلمة .

وتقوم الجمعية أيضا بتحرير مجلة باللغة الصينية واسمها (مجلة الجمعية الاسلامية الصينية الشهرية) ولقد حصرت هذه المجلة نطاق رسالتها فى تكريس الجهود على المقالات المتعلقة بالدين والعقيدة وتقصى الأخبار من الأقطار الاسلامية وكذلك المعلومات حول نشاط الجمعيات الخاصة .

وبالاضافة الى ذلك فالجمعية تشرف على برنامج اذاعى اسبوعي توجيهى ديني لشرح مبادىء الاسلام وأخلاقه .

وهناك مدارس صينية لأبناء المسلمين الذين يتجاوزون الثانية عشرة من العمر تشرف عليها دائرة رعاية الشباب التابعة للجمعية . وتقوم هذه الدوائر بتزويد الكتب والمجلات للمسلمين العاملين .

ولقد قام المسلمون بارسال خمس ارساليات للحج الى مكة المكرمة فى السنوات الستة الماضية وبعد الزيارة يقوم الحجاج بزيارة الأمم الاسلامية الأخرى التي يمرون فيها فى طريق عودتهم الى تايبى ... وهناك مجموعات عديدة من حجاج تايوان زاروا مثل هذه الأمم الاسلامية فى ليبيا . والسودان . وتركيا . والأردن ولبنان . والباكستان . وسنغافورة . والملايو .

الزكاة على الأموال المدخرة

وجه الى الملحق الدينى الذى تصدره صحيفة الجمهورية القاهرية هذا السؤال :
(اذا وفرت فى بنك الادخار جنيها واحدا فى الشهر لمدة سنة فسيصبح المجموع (١٢) جنيها ، فهل ينطبق على هذا المبلغ فريضة الزكاة ؟) .

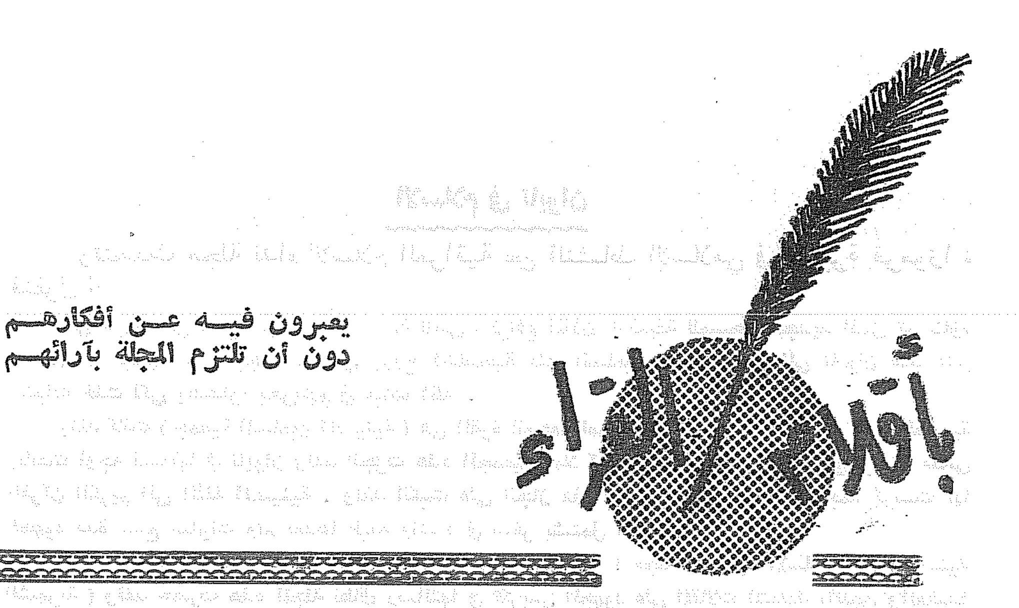
وقد أجاب فضيلة الشيخ زكريا البرديسي أستاذ الشريعة بكلية الحقوق جامعة القاهرة فقال :

ان النبى صلى الله عليه وسلم قدر النصاب الذى تجب فيه الزكاة بمائتى درهم على أساس قيمتها فى عصره صلى الله عليه وسلم وقد بين الصحابة رضوان الله عليهم هذه القيمة بعشرين مثقالا من الذهب فينبغي جعل هذه القيمة أساس التقدير فى كل العصور ، وبذلك يتوحد النصاب فى كل الأقطار الاسلامية ، ولا يعد هذا تركا لتقدير النبى صلى الله عليه وسلم وانما هو اعمال له فى أوسع مدى ، وجعلنا الذهب هو الاساس فى نصاب الزكاة لانه العملة التى بها تقاس قيم الاشياء ومنها الفضة .

والأوراق النقدية الآن تعد نقودا حالة محل الذهب ، وقيمتها فيما تدل عليه من قيمة ذهبية فى أسواق الذهب العامة .

فالعبرة فى وجوب الزكاة بالنسبة للأوراق النقدية قيمتها بالنسبة للذهب ، وبما أن العشرين مثقالا من الذهب تساوى ٣٠ درهما من الذهب ، لان المثقال درهم ونصف فلا تجب الزكاة فى الاوراق النقدية الا اذا وصلت قيمتها الى ما يساوى ثلاثين درهما من الذهب ، والدرهم الآن يساوى ثلاثة جنيهات وكسور ، فلا تجب الزكاة الا فيما يزيد على ٩٥ جنيها مصريا ويجب فى هذا القدر ربع العشر أى ٢و٥٪ اذا مضت سنة كاملة على هذا القدر دون أن ينقص ، ويكفى فى ذلك النماء التقديرى ، فالنقود المدخرة فى المصارف والخزائن تجب فيها الزكاة اذا بلغت نصابا وحال عليها الحول اذ هي معتبرة نامية بقوتها النقدية .

وعلى ذلك فهذا السائل الذى تجمع لديه فى بنك الادخار بعد مضي سنة مبلغ (١٢) جنيها لا تطبق عليه شروط فريضة الزكاة لأن هذا المبلغ لم يصل الى النصاب ولم تمض على جميعه سنة كاملة .



يوم الهجرة

تحت هذا العنوان كتب الاستاذ احمد عبد اللطيف حسب الله المدرس بمدرسة كفر الدوار الصناعية ـ ج ٠ع ٠م يقول :

ان يوم الهجرة ليوم مشهود ، وذكر باق على وجه الخلود ، لا ينطمس أبدا ، ولا تضيع معالمه ، هو دائما جديد فى ثوب أربعة عشر قرنا ، وما أدركه البلى ، وما أثرت فيه المحن ، وما أخافته النوازل، بل كان القوى الشامخ ، العزيز الكامل .

كان يوما فاصلا بين الحق والباطل ، يشعر فيه الانسان بظلال الرهبة تجرى فى أوصاله ، ويحس فيه خطر الموقف يسرى فى أعصابه ، حيث تقابلت فيه قوتان . قوة الايمان الذى يبغى الانطلاق ، وقوة الشرك الذى يأبى الا العناد .

وحيث تلاقت فيه ليلة لها ما بعدها ، وأمر الوجود متوقف عليها ، فالبدر يرنو بعين القلق ، والانجم حيرى من الخوف والوجل ، والتلال الشوامخ أصابها الهول فارتعدت ، والسكون شامل فلا ذئاب تعوى ، ولا ريح تصرصر ، فاليوم يكتب التاريخ فاما حياة ليس بعدها موت ، واما ممات ليس بعده حياة ...

هى ليلة أمر فيها الله ولله جنده ، وكاد فيها الشيطان وللشيطان كيده . اجتمع فيها النور والهداية ، واجتمع فيها الظلام والغواية ، فاما أن ينفذ النور من خلال الظلمات فيعم الحياة باشعاعه ، ويملأ الدنيا باضوائه ، وتسرى الهداية من جنبات الغواية تحت الخطا صوب من غفل فنام ، وتدعو الى الله ، وترغب فى الآمان ، وتنشر السلام ، وتنشر لواء الحب ، وترفع علم الاخاء ، واما أن يقضى على هذا النور فى مهده ، ويحين عليه الحين قبل نفاذه ، وتكشف الهداية للغواية فتنال منها منالا ، فلا يعبد الله فى الارض ولا يرفع له فى الكون ذكر . ولكن مكروا ومكر الله ، ودبروا ودبر الله وقدروا وقدر الله (ويأبى الله الا أن يتم نوره ولو كره الكافرون) .

أهل الواجب

ويتحدث السيد محمد صالح بربندى بالادارة القانونية بوزارة المعارف السعودية عن حاجة الامة الماسة الى طراز خاص من الرجال يجددون شبابها ، ويردون عليها امجادها فيقول :

هم البررة المخلصون لامتهم وأوطانهم ، وعليهم يرتكز عماد الوطن وتقدمه وازدهاره ، ولاغرو فهم الصفوة المختارة من الناس التى تقوم بواجبها دون كلل أو ملل ، أو تذمر أو استياء فالاخلاص يبدو فى أفعالهم ، والصدق يظهر فى أقوالهم ، انهم يحاسبون انفسهم أمام الله ، فى كل خطوة يخطونها وفى كل عمل يقومـون بـه .

قلوبهم كبيرة ونفوسهم عظيمة ، لانهم يضعون الواجب أسمى هدف مقدس لهم فى أعمالهم ، فاذا سول هاجس السوء لهم فعلا منكرا قال ضميرهم الحى فى قرارة نفسه (انى اخاف الله رب العالمين) ، واذا توانوا عن القيام بفعل الواجب نبههم وازع الخير المتيقظ فى أعماق نفوسهم الى وجوب بذل المزيد من من الاعمال النبيلة لاوطانهم ، انهم يفخرون بجراحهم لا بأوسمتهم ، وبجهودهم لا بالقابهم ، وبايثارهم لا بزينتهم والبستهم ، هم جنود مجهولون تلمس أعمالهم دون بروز شخصياتهم .

ولم تتقدم أمة من الامم ، ولم يعل شأنها فى مضمار المجد والرقى الا باعمال هؤلاء الذين دأبوا على حب الواجب فى كل أفعالهم ، والتاريخ يسجل آثار هؤلاء المخلصين بفخر واعتزاز ويعطى أبلغ مثال على ايثارهم وتضحيتهم وتفانيهم فى خدمة أمتهم وبلادهم .

ان تاريخنا الاسلامى العربى حافل بأمثلة من هؤلاء الذين هم عاملون دائبون ، يضحون بانفسهم وأبنائهم ، ويبذلون ما يملكون فى سبيل القيام بواجبهم المتمثل بنصرة دينهم واعلاء شأن أمتهم .

ان كل انسان اذا أخلص فى عمله وجعل دأبه خدمة الصالح العام قبل مصالحه الخاصة ، وحاسب نفسه فى كل كبيرة وصغيرة يخطوها فى حياته فهو من أهل الواجب الذين هم نبلاء فى أفعالهم ، كرماء فى أقوالهم ، والذين لا يهتمون بما يأكلون من الطعام ، ولا بما يلبسون من الثياب ، ولكنهم يهتمون بما يقدمونه لأمتهم من خدمات وتضحيات عامة خالدة .

هؤلاء هم المؤمنون حقا برسالتهم فى الحياة الدنيا يصفهم الله تعالى فيقول . (انهم فتية آمنوا بربهم وزدناهم هدى) ويقول تعالى . (ويؤثرون على انفسهم ولو كان بهم خصاصة) ، لأن نفوسـهم قد ملئت تقوى واخلاقا وعلما وتضحية ، وهم يعنون بعظائم الامور وجلائلها ، ويقضون حياتهم جميعها فى الكفاح والنضال . ولم تخل أمة من الامم من هؤلاء ولكن تقدمها وازدهارها فى بناء المعالم والمكارم ، يقاس بكثرتهم وازدياد عددهم .

مآسي الإنسان المعاصر

ويستعرض الاخ عماد الدين خليل بجامعة الموصل بالعراق الآراء العلمانية والالحادية التى شقى بها الانسان فى العصر الحاضر ويخلص من ذلك كله الى أن سعادة الانسانية فى اتباع المنهج الذى ارتضاه الله لعباده فيقول .

تفتح الوعى المفكر فى القرن العشرين فجاة ، وبعد حربين طاحنتين ، وأخرى تدق لها الاجراس ، تفتح على حقيقة صارخة وهى ان البشرية فقدت جوهرها ... فقدت مثلها ومبادئها وأهدافها العليا ، وتاهت فى غمرة الصراع الذى أوقدته الانانية ، لقد ردمت قنبلة (هيروشيما) منابع الخير الانسانى أخيرا ... فلم يعد هنالك خير ، بل سحقته الشهوة ، شهوة الانتصار المادى والتحكم العرقى .. قنبلة (هيروشيما) هى الرمز الاكبر لبشاعة الحقد البشرى ، ... لقد طغت أصوات الرصاص على نداءات الروح ، حتى لقد انكمشت هذه ، تضاءلت ، وجرفها التيار ، وغدت تماثيل وأنصاب ... كل المبادىء التى تذكر البشرية (بانسانيتها) ، والاصوات التى تنادى بالعودة الى طريق الله ، أرغمت على ان تسكت

والا اسكنتها القوة الطاغية . الخير .. الايمان .. الحب .. العدالة ... المساواة ... وحدة الاصل ... دفقات الروح ... صعدات الفكر .. انسانية الفن ... كلها تاهت .

ما معنى هذا ؟ ما معنى ضياع المثل الانسانية ؟ وما نتيجته ؟ ضياع المثل الانسانية يعنى ان البشرية بابتعادها عن منهج الله انحرفت عن الطريق ، وانحدرت من القمة لتتخطفها الطير أو تهوى بها الريح الى قرار سحيق .. ومن ثم فقدت جوهرها وهدمت كيانها الانسانى .

ونتيجة هذا هو هذا الانسان المشتت المبعثر الذى حطمه القلق انسان القرن العشرين .

دعــوات

ويجيش صدر الاستاذ حسن التل بوزارة الاعلام الاردنية ــ عمان ــ بهــذه الدعوات الحارة فيقول :

يا رب كما تهزم عتمة الليل باشراقة الفجر بدد من صدورنا حب الدنيا والنزوع اليها واغســل قلوبنا بفيض نورك الذى أشرقت به الظلمات ، واجعلها دائما تنزع الى أعلى مترفعة عن الدنايا مترفعة عمن سواك متفانية فى ذاتــك .

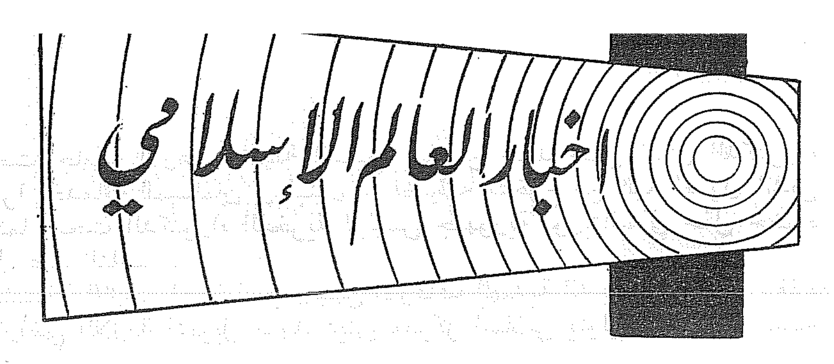
يا رب : اننا نستشعر الغربة ونحن بين ذوينا وأهلينا ، فلقد ضجت المادية من حولنا واستحوذت حتى على أزواجنا وبنينا ، فافتح اللهم بيننا وبين قومنا بالحق ، واجمعنا على أمرك واهدنا سبيلك ..

يا رب : لقد همز الناس ولمزوا ، وتقاطعوا وتنابذوا ، وعضوا على الدنايا بالنواجذ ، ونسوا العدو الرابض على كلاكلهم ، وتركوا أسباب الوحدة الى دواعى الفرقة ، وارتدوا عن طريق المجد الى دروب الهوان فاكشف اللهم عن قلوبهم وأبصارهم وخذ بأيديهم الى المعالى ، وألهمهم أن العمل الصالح أخلد من المال وأنفع ، وأن الذى يفــنى عمره فى جمع المال لا يسأل عن مصدره حلالا كان أو حراما سيمضي الى عالم غير هذا العالم ، وسيبقى ماله هنا يبدده من لم يتعب بجمعه بينمــا ينتظر الكانزون مكاوى مــن نــار تكوى بها جباههم وجنوبهم ((هذا ما كنزتم لانفسكم فذوقوا ما كنتم تكنزون)) .

يا رب : أذقهم حلاوة البذل ولذة العطاء ومتعة الكرم كما جرعهم الشيطان غصة البخل وغلظة السحت .

وهذه المواكب من الشباب والشابات تقذف بها الحياة كل يوم فى هذا التيه الذى لا يرون فيــه معالم توحي الى الدرب ولا شموعا تبدد غياب الظلام ، الى متى يبقون سائرين فى هذا الظلام وهم عيالك خلقتهم ليعبدوك فاختلطت عليهم السبل فضاعوا فى التيه وراء سراب حتى اذا جاءوه لم يجدوه شيئا انك تراهم وقد وصلوا الى هذه النهاية المؤسفة يقلب كل منهم كفيه أسفا على الايام التى أهدرها فى سبيل طواغيت منوه بحياة أفضل فانحرفوا بقدمه عن الجادة وسلموه الى هذا اليأس القاتل واستحالت أحلامه عدما مريعــا .

يا رب : ان فى كل نفس خلقتها نزوعا اليك لو أحسن توجيهها لأعطت عطاء خيرا فاصفح اللهم عن سقطاتهم ، ويسر لهم الرجال الذين يحسنون توجيههم ليعودوا الى الجادة التى أردتها لهــم عبــادا لك يسبحون بحمدك ، ويفنون فى سبيلك ، وأنت القائل ((يا عبادى الذين أسرفوا على أنفسهم لا تقنطوا من رحمة الله ان الله يغفر الذنوب جميعا)) .



الكويت

* قضى صاحب السمو الشيخ راشد بن سعيد المكتوم حاكم دبى أربعة أيام فى زيارة الكويت بدعوة من أخيه صاحب السمو أمير البلاد .

* أجرى وفد الكويت برئاسة الشيخ عبد الله الجابر الصباح وزير التجارة والصناعة مباحثات هامة فى العراق لتوثيق الروابط الاقتصادية بين الكويت والعراق .

* وافق مجلس الوزراء على انشـاء كليتين جديدتين فى جامعة الكويت كلية الحقوق وكلية التجارة . وبذلك يصبح فى جامعة الكويت أربع كليات .

* تلقى معالى وزير الأوقاف والشؤون الاسلامية كتاب شكر من رئيس جمعية النجاة الأهلية بالزبير ـ العراق على تبرع لجنة المعونات الاسلامية بمبلغ عشرة آلاف دينار للجمعية ..

* عقد فى مارس ١٩٦٧ مؤتمر منظمـة المدن العربية فى الكويت وقد اتخذت لجانه التوصيات والقرارات اللازمة لمعالجة مشاكل المدن العربية ..

* تلقت الجهات المختصة من الأمانة العامة لجامعة الدول العربية مذكرة تطلب فيها اعلامها بما تم تنفيذه من توصيات مؤتمر التعريب الذى عقد فى المغرب خلال ابريل ١٩٦١ لتنسيق التعريب فى الدول العربية .

* القى فضيلة الشيخ علي الخفيف محاضرتين موضوعهما (الاسلام عقيدة وشريعة) ، (المجتمع الاسلامي وروابطه) وذلك بدعوة من وزارة الأوقاف والشؤون الاسلامية ، ومن قبل ألقى الأستاذ يوسف العظم محاضرتين موضوعهما : (الاسلام عقيدة أمة ونظام حياة) ، (وأين محاضن الجيل المسلم) .

* بعثت جامعة الدول العربية مذكرة تتضمن قرار الجامعة فى دورته السادسة عشرة بشأن تعليم المكفوفين كما تطلب موافاتها بقبولهم فى الدراسات الثانوية والعالية .

* طلبت الجامعة العربية من الكويت تزويدها بالمطبوعات والافلام والاسطوانات الثقافية والدينية والاسلامية بناء على طلب مكتب الجامعة فى داكار ـ السنغال ـ .

* مر وفد السفراء المسلمين لجمع التبرعات لبناء مسجد ومركز اسلامي فى الولايات المتحدة الامريكية وقابل المسئولين لهذه المهمة .

* أفادت سفارة الكويت فى الهند أن رئيسة وزراء الهند قد أمرت بحذف الفقرات الماسة بالدين الاسلامي من كتاب الأبطال لتوماس كارليل اسـتجابة لطلب الحكومات والهيئات الاسلامية العالمية .

الجمهورية العربية المتحدة

* زار رئيس جمهورية موريتانيا مختار ولد داده القاهرة بدعوة من السيد الرئيس جمال عبد الناصر . وموريتانيا دولة اسلامية ١٠٠٪ .

* يجرى الآن اعداد تنظيم جديد لنشر الدعوة الاسلامية وتقويتها في الداخل والخارج وتزويد العالم الاسلامى باحتياجاته من العلماء والمدرسين لنشر الاسـلام واللغة العربية ..

* منحت جامعة الأزهر فضيلة الشيخ حسن خالد مفتى لبنان الدكتوراه الفخرية تقديرا لخدماته للمسلمين فى لبنان . فضيلته متخرج من كلية أصول الدين بالازهر .. كما منحت الدكتوراه الفخرية لرئيس جمهورية موريتانيا في حفل حضره الرئيس جمال عبد الناصر .

تلقت مشيخة الأزهر اخطارا من رئيس الاوقاف الهندية أنه بدىء فعلا فى وقف العقارات والاراضي اللازمة لتمويل معهد دينى ومركز اسلامي يتولى التدريس فيه علماء أزهريون .

* صادرت مشيخة الأزهر ثلاث طبعات من مصحف محرف من خارج العربية المتحدة .

* فرغ الامام الأكبر شيخ الأزهر من دراسة تقرير لمجمع البحوث الاسلامية ، يتضمن قيام الأزهر بتصدير واهداء عدد كبير من المصاحف والكتب الاسلامية الى مختلف أنحاء العالم الاسلامي .

* طلبت مشيخة الأزهر مصادرة قصتين سينمائيتين ووافقت على (١٢) سيناريو وموضوع اسلامي .

المملكة العربية السعودية

* تبرعت المملكة العربية السعودية بمبلغ ١٠٠٠ر١٠ جنيه استرليني لبناء مدارس اسلامية في توجو .

افتتح جلالة الملك فيصل الطريق الجديد (المسلفت) من الدمام الى مكة مارا بالرياض .

* اقترح السفير السعودى بنيجيريا اقامة مراكز اسلامية قدر المستطاع فى شرق أفريقيا وغربها ووسطها .

* زار الرياض معالي وزير الاشغال الكويتي ومعالي وزير المالية للمباحثات فى كل ما يهم الدولتين الشقيقتين .

بغداد : قام الرئيس العراقى عبد الرحمن محمد عارف بزيارة لايران استغرقت عدة أيام بحث أثناءها كل ما يهم البلدين .

* علم أن الرئيس اللبنانى شارل حلو سيزور العراق في أواخر ابريل القادل تلبية لدعوة من الرئيس عارف .

عمان : تجرى الاتصالات الآن لدمج لجنة شئون الحج الاردنية بدائرة القضاة .

* أصدرت الهيئة العلمية الاسلامية بيانا تذكر الأمة فيه بواجباتها الدينية وتدعوهم الى المواظبة على صلاة الجمعة .

بيروت : استقبل الشيخ حسن خالد مفتى لبنان عند عودته من القاهرة استقبالا رسميا وشعبيا ..

* اشترك فى أواخر مارس الماضي حوالي (٧٠) دولة فى المؤتمر الثالث للكتاب الآسيويين والافريقيين . الذى افتتحه دولة رئيس الوزراء .

* يبحث المسئولون زيادة عائدات مرور النفط مع شركة النفط العراقية على غرار سوريا .

الجزائر : قرر مجلس تضامن الشعوب الآسيوية والافريقية عقد مؤتمره الخامس فى مدينة الجزائر في وقت لاحق من هذا العام بدلا من بكين كما كان مقررا في الاصل .

صنعاء : تقرر انشاء جامعة سبأ وهى أول جامعة تقام فى تاريخ اليمن وستوزع كلياتها وهى الطب والهندسة والزراعة وكليات أخرى على مدن اليمن .

الفلبين : قامت مظاهرة عنيفة فى مطار مانيلا بمناسبة مرور أبا ايبان وزير خارجية (اسرائيل) مما اضطره للفرار من باب جانبى للمطار .

((الى راغبى الاشتراك))

تصلنا رسائل كثيرة من القراء بقصد الاشتراك فى المجلة . ورغبة منا فى تسهيل الامر عليهم ، وتفاديا لضياع المجلة فى البريد ، رأينا عدم قبول الاشتراكات عندنا من الان ، وعلى الراغبين فى الاشتراك ان يتعاملوا رأسا مع متعهد التوزيع عندهم ، وهذا بيان بالمتعهدين ،

القاهرة : شركة توزيع الاخبار — ٧ شارع الصحافة

مكة المكرمة : مكتبة الثقافة للصحافة . صب ١٤٦

المدينة المنورة : مكتبة ومطبعة ضياء — السيد محمد زين العابدين ضياء

الرياض : مكتبة المدينة — صب ١٩ — السيد احمد باصريح

الطائف : مكتبة الثقافة للصحافة — عمارة ابن الملوح — صب ٢٢

جده : مكتبة الصلاح العالمية — عمارة البنك الاهلى صب ٦٣٥

بغداد : مكتبة المثنى — السيد قاسم محمد الرجب

الخبر : مكتبة النجاح الثقافية — صب ٧٦ — السيد محمد سعيد بابيضان

البحرين : المكتبة الوطنية وفروعها — المنامة — السيد فاروق ابراهيم عبيد

قطر : مكتبة العروبة ص.ب : ٥٢

عدن : وكالة الاهرام التجارية — السيد محمد قائد محمد

المكلا : ص ب ٢٨ — حضرموت — مكتبة الشعب المحدودة

دبى : ساحل عمان — صب ٢٦١ — السيد عبد الله حسن الرستمانى

مسقط : المكتبة الاهلية ص ب ١٥٧

عمان والقدس : وكالة التوزيع الاردنية — السيد رجا العيسى

دمشق : الشركة العامة للمطبوعات صب : ٢٣٦٦

بيروت : الشركة العربية للتوزيع ص ب ٤٢٢٨

السودان : — الخرطوم — السيد حسن نجيله ص ب ٤٢٤

بور سودان : السيد عطا المنان . مكتبة كررى صب : ٣٠٣

مراكش : الدار البيضاء — مكتبة الوحدة العربية — السيد احمد عيسى

ليبيا : طرابلس الغرب صب ١٣٢ — السيد محمد بشير الفرجانى

بنغازى : مكتبة الوحدة العربية صب ٢٨٠ — السيد الشعالى الخراز

الكويت : مكتب منار للتوزيع ٢١ شارع فهد السالم صب : ١٥٧١

ونوجه النظر الى أنه لا يوجد لدينا الان نسخ من الاعداد السابقة من المجلة

صدر بالإنكليزيّة عن
وزارة الأوقاف والشؤون الإسلاميّة في الكويت

ISLAM THE MISUNDERSTOOD RELIGION

- أوّل ترجمة أمينة إلى اللغة الإنكليزيّة لكتاب شبهات حول الإسلام
- طبع باللغة العربيّة ستّ طبعات في القاهرة، وثلاث طبعات في بيروت
- ترجم إلى أكثر من أربع لغات أجنبيّة بعد أن ذاع صيته في العالم كلّه ولقي إقبالاً عظيماً من قرّاء العربيّة في كل مكان ...
- ... لأنّه كتاب يغني عن كثير من الكتب والمؤلّفات ولا يغني عنه غيره ...
- كتاب لا بدّ من قراءته لكلّ متطلّع إلى الحقيقة الناصعة والحجّة القاطعة ..
- وهو الكتاب الذي لا بدّ لكلّ مثقف عربيّ أو غير عربيّ، مسلم أو غير مسلم أن يقرأه ويحبّه ويكرّر قراءته مرّات. لأنّه واجد فيه ضالّته المنشودة ...
- من قرأه بوعي وإنصاف وقف على طريق النور والهداية ثم لا يضلّ أبداً بإذن الله ...

PUBLISHED BY MINISTRY OF AWQAF & ISLAMIC AFFAIRS
STATE OF KUWAIT

مطبعة حكومة الكويت